جامعة محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

الثقافة الإسلامية

إعداد

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

(النسخة التجريبية)

2024م- 2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَة

الطبعة الأولى
1445هـ - 2024م

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بكافة طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي أو المسموع أو استخدامه حاسوبيا بكافة أنواع الاستخدام وغير ذلك من الحقوق الفكرية والمادية إلا بإذن خطي من الناشر

www.mbzuh.ac.ae

mbzuh MBZ university for humanities mbzuh.ac.ae

الثَّقَافَةُ الإِسْلَامِيَّةُ

إعداد

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

2024م - 2025م

(النسخة التجريبية)

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله خاتم النبيين، وعلى أبيه سيدنا إبراهيم، وعلى أخويه سيدنا موسى وعيسى، وعلى جميع إخوانه المرسلين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية لتفخر بتصدير هذا الكتاب الجامعي الذي يغطي المساق الأكاديمي المعتمد في الثقافة الإسلامية لمؤسسات التعليم الجامعي في وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة، حيث عمل على إعداده وتأليفه ومراجعته وتدقيقه نخبة من الباحثين المتخصصين، وفق منهجية علمية ملتزمة بالهوية الوطنية للخطاب الديني، تحقق منظومة القيم كما عرفتها وثيقة مبادئ الخمسين الإماراتية بأنها قيم أصيلة "قائمة على الانفتاح والتسامح، وحفظ الحقوق وترسيخ دولة العدالة، وحفظ الكرامة البشرية، واحترام الثقافات، وترسيخ الأخوّة الإنسانية، واحترام الهوية الوطنية".

وقد تم التركيز على بناء قيم العلم، والتزكية، والحكمة، والرحمة، والسلام، والمواطنة؛ للإسهام في تكوين إنسان مؤمن بخالقه، مزكى في نفسه، معتدل في فكره، مبادر في مجتمعه، متسامح في ثقافته، نزيه في تعامله، مدرك لمسؤولياته تجاه وطنه، محب في إنسانيته، حضاري في إنجازاته، رائد في تفكيره، تنافسي في ارتقائه، محافظ على عاداته وتقاليده الأصيلة، يعتز بتراثه وانتمائه الوطني، ويتفاعل إيجابيًا مع الثقافات، ويحترم الخصوصيات والاختلافات.

وصف المساق:

يتناول هذا المساق مفهوم الثقافة الإسلاميّة، وأهميتها، وأهم خصائصها، ومصادرها، ومكوناتها، وآثارها ويَعْرض لأهم القيم التي ركّزت عليها التعاليم الإسلاميّة، كالعلم، والرحمة، والسلام، والمواطنة، وقيم التسامح، ويناقش أهم التحديات التي تواجه المجتمع؛ كتحديات الأسرة، وظاهرة التطرّف، والعنف المسبّب لزعزعة الأمن الفكريّ، وأثرها على الحياة الإنسانية.

أهداف المساق:

1. التعريف بالثقافة الإسلامية، ومصادرها الحضارية، وخصائصها الإنسانية.
2. بيان مكونات الثقافة الإسلامية؛ الإيمانية والعبادية والقيمية، ومفاهيمها المعتدلة.
3. تحديد صلة الحضارة الإسلامية بالعلوم الإنسانية والكونية، وبيان إسهام الثقافة الإسلامية في بناء الحضارة الإنسانية.
4. توضيح مكانة القيم الإنسانية والأخلاقية في بنية الثّقافة الإسلاميّة.
5. ترسيخ أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الهوية الفكرية السليمة، وبناء المنظومة السلوكية المعتدلة.

مخرجات المساق:

يتوقّع من المتعلم بعد دراسة المساق أن يكون قادرًا على أن:

1. يعرّف الثقافة الإسلاميّة، ويوضح خصائصها، ويبيّن مصادرها وأهم مضامينها.
2. يبيّن أهم مكونات الثقافة الإسلاميّة ومفاهيمها المعتدلة، وأثرها في علاقة الإنسان بالخالق والمخلوق.
3. يظهر أثر الثقافة الإسلاميّة في تحقيق الأمن الفكريّ، والاعتدال السلوكيّ.
4. يتمثّل تعاليم الثقافة الإسلاميّة في التفاعل الإيجابيّ البنّاء مع الأعراف المجتمعيّة، والقيم الإنسانيّة المشتركة.
5. يوظّف مضامين الثقافة الإسلاميّة في تواصله وانفتاحه على الحضارات الأخرى.

الوحدات الرئيسة للكتاب ومنهجية تصميمها:

تم تصميم الكتاب وفق النموذج المعتمد لمساق الثقافة الإسلامية، وتناول وحداتِهِ الرئيسة الآتية:

الوحدة الأولى: مدخل إلى الثّقافة الإسلاميّة.

الوحدة الثانية: منابع الخطاب الشّرعيّ.

الوحدة الثالثة: مكونات الخطاب الشّرعيّ وقضاياه.

الوحدة الرابعة: التّحصين الفكريّ: أسُسه، ووسائلُه، وثمراتُه .

وتم توزيع وحداته وموضوعاته ومحتواه العلمي على (16) ستة عشر أسبوعًا؛ بمعدل (3) ثلاث ساعات تدريسية أسبوعيًا، وقد روعي في تصميم المحتوى إعطاء مساحة واسعة لتطبيق استراتيجيات تعلم بناءة تعزز من فهم الطلبة، مع التركيز على التفاعل النقدي والمناقشة، وتنويع وسائل التدريس والأنشطة التفاعلية بالإضافة إلى تشجيع الطلبةعلى قراءة المقالات الإثرائية؛ التي تعزز فهمهم لموضوعات المساق، وتدعم عملية التعلم الذاتي والمستدام.

والحمد لله أولًا وآخرًا

المحتويات التفصيلية لكتاب
مساق الثقافة الإسلامية

- **مدخل إلى الثقافة الإسلامية**
  - مفهوم الثقافة الإسلامية وأهمّ ملامح الخطاب الشّرعيّ
- **منابع الخطاب الشّرعيّ**
  - **القرآن الكريم**
    - **تعريفه ومقاصده**
    - منهج فهمه
  - **الهدي النبوي والسّيرة العطِرة**
  - **الفقه الإسلاميّ والفتوى**
  - **الحضارة الإسلامية**
    - **تعريفها – مكوناتها - أخلاقياتها**
    - صلتها بالعلوم الإنسانية والكونية
    - إسهامات المسلمين في بناء الحضارة الإنسانيّة
  - **القوانين والأعراف**
    - القوانين المحلية
    - المواثيق الدّوليّة
    - الأعراف والتّقاليد
- **مكونات الخطاب الشّرعيّ وقضاياه**
  - **الإيمان**
    - مفهومه – أركانه - أثره في حياة الإنسان
    - معرفة الله سبحانه وتعالى، ودلائلها العقلية والعلمية
    - الإيمان بالكتب السماوية
    - الإيمان بالرسل عليهم السلام
    - من الخصال الخلقيّة للنّبيّ محمّد ﷺ

- **القيم الإنسانية**
  - مفهومها – خصائصها - أبعادها
  - نماذج من القيم الإنسانية

أ- قيمة التزكية

ب- قيمة العلم

ت- قيمة الحكمة

ث- قيمة الرّحمة

ج- قيمة السلام

ح- قيمة المواطنة

- **التّحصين الفكريّ: أسسه، وسائله، وثمراته**
  - تعريف التّحصين الفكريّ وأهمّيّته
  - أسس التّحصين الفكريّ
  - وسائل التّحصين الفكريّ
  - ثمرات التّحصين الفكريّ

- **الخاتمة**
- **الفهرس**

مدخل إلى الثقافة الإسلامية

الثقافة الإسلامية

تعريفها، وأهمّ ملامح الخطاب الشّرعيّ

تعريف الثقافة الإسلامية:

الثقافة: لغة: تأتي بمعانٍ عدة، هي على النحو الآتي:

1. **الحذق، والفهم، والفطنة، والذكاء:** قال ابن منظور: "ثَقِفَ الشيءَ ثَقْفًا وثِقافًا وثُقُوفةً: حَذَقَه. ورجل ثَقْفٌ وثَقِفٌ وثَقُفٌ: حاذق فَهِمٌ، وهو غلام لَقِنٌ ثَقِفٌ، أَي: ذو فطنة وذكاء، والمراد: أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه".
2. **سرعة التَّعلم:** قال الأزهري: "يُقَال: ثَقِف الشَّيْء؛ وَهُوَ سُرعة التَّعَلُّم"[1].
3. **ضبط الأمور، والقيام بها:** يقال: رجلٌ ثَقْفٌ؛ إذا كان ضابطًا لما يحويه قائمًا به، قاله ابن السكيت[2].
4. **إدراك الشيء، والظفر به:** يقولون: ثَقِفَه في موضع كذا: أَخَذَهُ، أو ظَفَرَ به، أو أَدْرَكَهُ[3].

وهذه المعاني كلها لازمة لبعضها، ففهم الشيء والحذق به؛ طريق إلى سرعة تعلمه، مؤدٍّ إلى ضبطه وإدراكه والظفر به.

واصطلاحًا: عرفت بتعريفات كثيرة؛ كلها ترجع إلى جملة العلوم والمعارف التي يطلب فهمها، وتعلمها، وضبطها، وإدراكها، والظفر بها، ومن هذه التعريفات:

1. "كل ما فيه استنارة للذهن، وتهذيب للذوق، وتنمية لملكة النقد والحكم؛ لدى الأفراد أو في المجتمع، وتشتمل على المعارف، والمعتقدات، والفن، والأخلاق، وجميع القدرات التي يسهم فيها الفرد في مجتمعه"[4].
2. "جماع السمات الروحية، والمادية، والفكرية، والعاطفية؛ التي تميز مجتمعًا بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون، والآداب، وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم، والتقاليد، والمعتقدات"[5].

---

(1) الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، 81/9، (ثقف).

(2) السابق.

(3) ابن مالك، جمال الدين محمد الجياني، **إكمال الأعلام بتثليث الكلام**، 88/1- 155، (ثقف).

(4) مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، ص 58، (ثقف).

(5) اليونسكو، إعلان مكسيكو للثقافة، المؤتمر العالمي الخاص بالثقافة، المكسيك، 1982م.

وانطلاقًا من هذه التعريفات اللغوية والاصطلاحية للثقافة عمومًا؛ يمكن تعريف **الثقافة الإسلامية** بأنها: **"مجموعة من العقائد، والمعارف، والفنون، والمثل، والتقاليد، والمهارات؛ تنبعُ من الخطاب الشّرعيّ، وتستوعب قضاياهُ، وتتواءَمُ مع القيم الإنسانيّة المشتركة، وتضمن الحصانة الفكريّةَ والاستقامةَ السّلوكيّة في المجتمعات المسلمة"**.

ملامح الخطاب الشّرعيّ:

لمّا كان الخطابُ الشّرعيّ صلبَ الثّقافة الإسلاميّة، لزمَ البدءُ بالحديث عن مجمل ملامحه، على النّحو الآتي:

أولًا: العقلانية: وهي استخدام العقل في التفكير والحكم على الأمور، فالخطابُ الشّرعيّ عقلانيّ النّزعة في بِنيَةً ومقصَدًا، فهو يخاطبُ ذوي العقول والألباب، يسعى إلى إقناعهم، ويدعوهم إلى التّفاعلِ معه والاستجابةِ لمقتضياته. ولأجل ذلكَ نجدهُ يعلي قيمةَ العقل ويرفع مكانتَه، ويحضّ على إعماله، في كثير من آيات القرآن العظيم، وأحاديث النبي الكريم، فقد استخدم القرآن الكريم لفظة العقل في صيغها ومتصرفاتها في (49) موضعًا، من ذلك قول الله تعالى: ﴿**قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [الحديد: 17]، كما حث على ممارسة المهارات العقلية؛ كالنظر، والبحث، والتفكر، والتدبر، والتأمل، والتبصر، والاجتهاد، والاستنباط في أكثر من (696) موضعًا، من ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: 164].

وقد ذم القرآن الكريم التقليد الأعمى؛ المعطل للعقل، والكابح لملكة التفكير؛ لأنه يؤدي إلى التراجع الفكري، والتدهور الحضاري، فالعقل أداة فهم الخطاب الشّرعيّ الذي تضمّنته نصوص القرآن الكريم والسّنّة المشرّفة، يُتوصل به إلى صحيح المعرفة، وإلى الإدراك السليم، الذي هو طريق التقدم في مختلف جوانب الحياة.

ثانيًا: الإنسانية: فالإنسان هو غاية الوجود، ولأجله سخر الكون، وأنزلت الرسالات، وتأكيدًا على ذلك سُمّيَتْ إحدى سور القرآن الكريم: "سورة الإنسان"، وذُكر باللفظ والمعنى في سبعة وتسعين (97) موضعًا من الكتاب العزيز؛ ووُجّهَ الخطاب إلى الناس كافة في مواضع كثيرةٍ، فجاءَتِ الرّسالةُ المحمّديّةُ متعلّقةً بالنّاسِ أجمعين؛ قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ**﴾ [سبأ: 28].

ومن مظاهر الإنسانية في الدّين الإسلاميّ: تكريم النفس البشرية، والتأكيد على احترامها وتقديرها، قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ [الإسراء: 70]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ [المائدة: 32]، وهذا التّكريمُ يستوي فيه جميع النّاس بغض النظر عن أجناسهم، و أعراقهم، و معتقداتهم.

ثالثًا: الواقعية: فالدّين الإسلاميّ يوجّه خطابَه إلى الإنسانِ؛ لتحقيق جودة حياته والارتقاء بها إلى أعلى المستويات الممكنة، بجميع الوسائل المتاحة والأدوات المتوفرة، من خلال إدراك ماهية الواقع باستصحاب مكوناته ومتغيراته، وفهم تأثير معطياته؛ بمراعاة تعاملات الزمان وإكراهات المكان في فهم الأحكام الشرعية المتعلقة به، وفي معرفة منهجية تنزيلها والعمل بها بناء على العلاقة بين النصوص والمقاصد وبين الواقع[6].

وما نزول القرآن الكريم منجما مفرقًا على مدار ثلاث وعشرين سنة إلا بمثابة التّأسيسِ لهذا المنهج والدعوة إليه، فقد كانت الآيات القرآنية تنزل وفق الأحداث المستجدة، والوقائع الطارئة، والنوازل الحادثة، تفاعلًا مع واقع الناس، ورعاية لمصالحهم، وحلا لمشكلاتهم، وإجابة عن تساؤلاتهم، قال تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل: 89]، وكان نبينا ﷺ يبين ما في القرآن الكريم؛ منطلقًا من فقه عميق للنص القرآني، وفهم دقيق للواقع، وتجلياته، وتحدياته، وأحداثه.

ومما يؤسس لواقعية الخطاب الشّرعيّ: مراعاتُه قدراتِ الناس وإمكاناتهم، وملاءَمَتُهُ لفطرهم وما جبلوا عليه؛ قال تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: 286]، وقال جل جلاله: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا**﴾ [الطلاق: 7].

ومن مظاهر هذه الواقعيّة التخفيف عن أصحاب الأعذار، **بإباحة الفطر للمسافر والمريض:** قال الله تعالى: ﴿**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: 185]. **وبقصر الصلاة للمسافر**؛ قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ**﴾ [النساء: 101].

رابعًا: التوازن: يتميّزُ الخطابُ الشّرعيُّ بحرصه على تحقيق التوازن بين جوانب الحياة كلها، في جميع مناحيها وأبعادها. ومن مظاهر ذلك:

أ. **التوازن بين متطلبات النّفس واحتياجات الجسد:** فالخطابُ الشّرعيُّ يجمعُ بين العبادات التي تغذي الروح وتنميها، وبين التشريعات التي تراعي حق الجسد؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ قال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، وقال بعضهم: أصوم فلا أفطر، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[7].

(6) ابن بيه، عبد الله بن الشيخ المحفوظ، **تنبيه المراجع على تأصيل فقه الواقع**، ص 123.

(7) البخاريّ، **الجامع الصّحيح**، رقم الحديث: 5063، 2/7؛ ومسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 1401، 129/4، واللفظ لمسلم.

فالخطابُ الشّرعيّ حريصٌ أشدّ ما يكون الحرصُ على ضمان التوازن بين تحصيلِ مصالح الدنيا والعمل للآخرة، قال تعالى: ﴿**وَ ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ [القصص: 77]، وأثنى سبحانه على من يدعونه بقولهم: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً**﴾ [البقرة: 201] فقال سبحانه عنهم: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [البقرة: 202].

ب. **التوازن بين الإيمان والعقل**: فالخطاب الشّرعيّ إذ تضمّن الدعوة إلى الإيمان بكل أركانه؛ فإنه يقيم عليه الأدلة العقلية والمنطقية؛ فالعقل يوصل إلى الإيمان، والإيمان يستجيب لداعي العقل، نجد ذلك في آيات كثيرة من القرآن الكريم، من مثل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: 21-22]، فأمر سبحانه بالعبادة، وثَنَّى بالبرهنة العقلية والحسية على دلائل وجوده، واستحقاقه إخلاصَ العبادةِ له سبحانه.

ت. **التوازن بين الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله:** وهذا هو المفهوم الصحيح للتوكل على الله تعالى، فهو يعني الأخذ بأسباب النجاح التي وضعها عز وجل بين أيدينا، وأمرنا باستعمالها، مع الإيمان واليقين بأن هذه الأسباب إنما تحقق مُسَبَّبَاتِهَا بأمره سبحانه وتعالى، كما فعل نبي الله يعقوب عليه السلام، حين أمر أبناءه بالأخذ بالأسباب مع الاعتماد على قدرة الله تعالى، قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ [يوسف: 67].

خامسًا: محورية القيم والأخلاق: فالقيم الراقية، والأخلاق العالية، تشغَل حيزًا كبيرًا في الخطاب الشّرعيّ، ومن مظاهر ذلك:

أ. **الدعوة إلى التخلق بمكارم الأخلاق، وإشاعة محاسن القيم**؛ فالشريعة الإسلامية جاءت بذروة الفضائل، وصفوة الكمالات، وخلاصة الأخلاق؛ من رحمة وحكمة، وتسامح وسلام، ومحبة وتعاون، وغيرها، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَ إِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: 90]، حتى كأن رسالة الإسلام منحصرة في الأخلاق مقتصرة عليها، قال رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ**»[8].

ب. **جعل القيم والأخلاق مقصدًا لجميع العبادات والمعاملات:** فالعبادات والمعاملات تحمل بعدًا أخلاقيًّا قِيمِيًّا؛ فما من عبادة ولا معاملة إلا تنطوي على قيمة كريمة، أو تثمر خلقًا حميدًا، قال الله تعالى عن

(8) مالك، **الموطأ**، رقم الحديث: 3357، ج. 5، ص. 1330.

الصلاة: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ [العنكبوت: 45]، وقال جل جلاله عن الزكاة: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾ [التوبة: 103]، وقال سبحانه عن الصيام: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: 183]، وقال تبارك اسمه عن الحج: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ [البقرة: 197].

وجميع المعاملات في الإسلام مبنية على السماحة، والصدق، والأمانة، والوفاء، قال ﷺ: «**رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى**»[9]. فإن تمثل هذه الأخلاق في المعاملات يحفظ تآلف الأفراد، ولحمة المجتمع، لذا نجد الشريعة الإسلامية تنهى عن كل ما يضاد هذه المقاصد الأخلاقية وينافيها من المعاملات؛ من مثل: بيع الرجل على بيع أخيه، وسومه على سومه، وخطبته على خطبته، وغير ذلك ...

سادسًا: الانفتاح وقبول الآخر: فالخطاب الشّرعيّ يدعو إلى الانفتاح على الحضارات الإنسانيّة، إفادة لها واستفادة منها؛ ولذلكَ تفاعلَ المسلمون مع مختلف الثّقافات والحضارات الإنسانيّة، وخدموا مختلف ما أبدعته من المعارفِ والعلومِ، ترجمةً ونشرًا وتطويرًا، ومن أبرز ما وقع من ذلك، ما كان في زمن العباسيّين من ترجمة لكتب المعارف اليونانية إلى العربية؛ فإن المأمون كتب إلى ملك الروم بشأن ترجمة بعض العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلده؛ من كتب الفلسفة، والهندسة، والموسيقى، والطب، وغيرها، فأجاب إلى ذلك، فاختار المأمون لذلك جماعة من العلماء تحت إشراف بيت الحكمة فنقلوا تلك الكتب إلى العربية[10].

وممّا يشهدُ بدعوة الخطاب الشّرعيّ إلى الانفتاح وقبول الآخر ما يأتي:

أ. **دعوة القرآن الكريم إلى التواصل والتعارف، لتبادل المعارف والخبرات**، وذلك انطلاقًا من أن الاختلاف بين البشر تنوع محمود يثري الحضارة الإنسانية وينهض بها، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ [الحجرات: 13].

ب. **إخبار القرآن الكريم بقصص الثقافات والحضارات المختلفة**، كالحضارة المصرية، وحضارات عاد وثمود وسبأ، مع ذكره لبعض مظاهر هذه الحضارات، كتميز عاد في مجال علوم البناء والصناعة، وتقدمهم في أساليب امتلاك القوة، وتفوق مملكة سبإ في التقدم الزراعي، وفي هندسة الري، والهندسة المعمارية[11].

(9) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، رقم الحديث: 2203، ص 473.

(10) انظر: النديم، **الفهرست**، ص 301.

(11) انظر: نواف، أحمد عبد الرحمن، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ص 52.

ت. **استعمال القرآن الكريم لألفاظ من الثقافات الأخرى:** فقد استعمل القرآن الكريم ألفاظًا من لغات كثيرة غير العربية، حتى قال بعض العلماء: "ما من لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن"[12]. ومن نماذج ذلك: ﴿**أباريق**﴾، وتعني: طريق الماء. و ﴿**ابلعي**﴾، وتعني: اشربي. و ﴿**أخلد**﴾، التي تعني: رَكَنَ. و ﴿**الأرائك**﴾، ومعناها: السُّرُر. و ﴿**أسفار**﴾، وتعني: الكتب. و﴿**حصب**﴾ التي تعني: حطب. و﴿**الرقيم**﴾ ومعناه: اللوح. و﴿**سَرِيًّا**﴾، معناه: النهر. إلى غيرها من الكلمات التي تتبّعتها مصادر علوم القرآن[13].

ث. **التواصل النبوي الحضاري مع العالم:** من خلال رسائله ﷺ إلى الملوك والأمراء، وكتبه إلى بعض القبائل، وقد أوصل بعض العلماء هذه الرسائل إلى ستة وعشرين وثيقة[14]، وبلغ بها بعضهم أكثر من ذلك بكثير، كما كان ﷺ حريصًا على تعلم رسله لغات الملوك الذين يرسل إليهم، أو يستقبل الرسائل منهم، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود". فكان يكتب للنبي ﷺ، ويقرأ له إذا كُتِبَ إليه[15].

وبهذا نجد أن الخطاب الشّرعيّ الذي تأسّست عليه الثّقافة الإسلاميّة قد اتسم بسمات رفيعة، تعكسها ملامحه العامّة التي تمثّلت في تقدير العقل ورفع مكانته، وتكريم الإنسان ورعاية مصالحه، مستوعبًا واقعه ومتغيّراتِه، حريصًا على تحقيق التوازن والتكامل بين حاجات روحه وجسده، فبنى بذلكَ ثقافةً منفتحةً على مختلف الحضارات الإنسانية تنهل منها وتُثريها، في تكامل تام وانسجام كامل.

* * *

(12) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، 103/1.

(13) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 129/2 وما بعدها.

(14) انظر: ابن طولون، محمد بن علي، **إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين**، ص 2-53.

(15) السّجستانيّ، **سنن أبي داود**، رقم الحديث: 3645، 318/3.

منابع الخطاب الشّرعيّ

القرآن الكريم

تعريفه – مقاصده – منهج فهمه

يتبوّأُ النّص القرآني منزلةً رفيعةً في نسق المعرفة الشّرعيّة؛ إذ هو المصدر الأول لها، عليه يُشادُ بناؤُها، ومنه تُسْتَمَدُّ مبادئها، وتستخلص موضوعاتها، وتستخرج مكوناتها؛ سواء في المجال الإيماني، أو العبادي، أو الخُلُقِيّ السلوكي.

تعريف القرآن الكريم:

أ. القرآن في اللغة:

مصدرٌ على وزن فُعلان، كغُفران وشُكران ورُجحان، بمعنى: الجمع والضم. ومنه قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ [القيامة: 17]، أي: تأليف بعضه إلى بعض[1]، وقد اختلف في اشتقاقه، فقيل: "هو اسم غير مشتق من شيء".[2] وقيل: هو مشتق:

1. من (قرأ)، ومنه قول العرب: قرأت الماء في الحوض، أي: جمعته[3]. وقريت: لغة فيه[4].
2. "وقال قوم: هو مشتقّ من قرنت الشيء بالشيء، إذا ضممت أحدهما إلى الآخر.

وسمي به لِقِرَانِ السور والآيات والحروف فيه.

وقال الفراء: ... لأن الآيات منه يُصدِّق بعضها بعضًا. وهي قرائن"[5].

وأيا ما كان الأمر، فهو مصدر سمّي به القرآن الكريم، "ولا يسمّى به شيء من سائر الكتب غيره"[6].

ب. وفي الاصطلاح: هو "كلام الله تعالى المعجز ولو بسورة منه، المنزّل على سيدنا محمد ﷺ، بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس"[7].

---

(1) النيسابوري، الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، 29/1، وأبو عبيدة، معمر بن المثنى، **مجاز القرآن**، ت 2/1، والطيبي، شرف الدين الحسين، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)**، 164/16.

(2) الزركشي، بدر الدين محمد، **البرهان في علوم القرآن**، 1/ 373.

(3) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، 2/ 329.

(4) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، 5/ 204.

(5) السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، 2/ 329.

(6) أبو عبيدة، **مجاز القرآن**، 1/ 1.

(7) انظر: السمين الحلبي، شهاب الدين أحمد، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، 3/ 286؛ والزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 1/ 19؛ وأبو شهبة، محمد بن سويلم، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، ص 8.

شرح التعريف:

كلام الله: خرج به كل كلام لغير الله تعالى؛ سواء في ذلك حديث النبي ﷺ، أو غيره من الإنس والجن والملائكة، فكل ذلك لا يسمى قرآنًا.

المعجز ولو بسورة منه: فالقرآن معجز بجملته، كما أنه معجز بأي سورة منه، قال الله تعالى: **(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)** [الإسراء: 88]، وقال تباركت أسماؤه: **(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ)** [البقرة: 23].

المنزل على النبي ﷺ: احتراز عما أنزل على الأنبياء السابقين، كالتوراة، والإنجيل، والزبور، وغيرها، فلا يسمى شيء منها قرآنًا، وإن كانت جميعها من عند الله معظمة مكرمة.

المكتوب في المصاحف: وهذه مزية للقرآن أنه دوّن وحفظ بالكتابة منذ عهد النبي ﷺ، بإشرافه واعتنائه الزائد، ثم جمع بعد ذلك في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم عثمان رضي الله عنه، كما سيأتي.

المنقول بالتواتر: نقله جمع عظيم غفير لا يمكن تواطؤهم على الكذب، ولا وقوع الخطأ منهم صدفة، وذلك يفيد العلم اليقيني القاطع بأن هذا القرآن هو كلام الله تعالى.

المتعبد بتلاوته: فمجرد تلاوة القرآن عبادة يثاب عليها المؤمن، كما أن الصلاة لا تصح إلا بتلاوة شيء منه، وهذا القيد يخرج من اعتبار القرآن: القراءات غير المتواترة، لأنا غير متعبدين بها، وكذا الأحاديث القدسية[8].

ولا يخفى ارتباط المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي؛ فإن هذا القرآن قد جُمع في اللوح المحفوظ أولا، ثم جمع في صدر النبي ﷺ، ثم في المصاحف وصدور الحفاظ، ثم إنه يجمع السور فيضمها[9]، ويجمع في طياته أصول العبادات، والمعاملات، والأخلاق، والقيم، وغير ذلك، كما يجمع ثمرة ما سبقه من الكتب؛ "قال بعض العلماء: "تسمية هذا الكتاب قُرْآنًا من بين كتب الله؛ لكونه جامعًا لثمرة كتبه"[10].

وللقرآن الكريم أسماء كثيرة، أشهرها:

1. **الكتاب:** قال الله تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ [النحل: 89]
2. **الفرقان:** قال الله تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ**﴾ [الفرقان: 1].
3. **الذكر:** قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: 9].

(8) السابق.

(9) أبو عبيدة، **مجاز القرآن**: 1/ 1.

(10) الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص 669.

وقد نزل القرآن الكريم على قلب رسول الله ﷺ منجمًا، بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 192-195] وقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: 23]

وكان هذا التنزل مفرقًا على مدة الرسالة النبوية؛ (قرابة 23 عاما)، منها 13 سنة في مكة المكرمة، و10 سنوات في المدينة المنورة، مراعيا أحوال الناس وما تتطلبه بيئتهم، ويسد حاجتهم، ويحل مشكلاتهم، ويحقق سعادتهم.

ولقد تميزت كل من السور المكية والمدنية بخصائص غالبة، نص عليها العلماء؛

فمن خصائص السور المكية:

1- قصر الآيات القرآنية.

2- بيان وحدة الرسالات السماوية، ووحدة أصلها ومنبعها.

3- الإجمال في التشريع، والتركيز على ترسيخ الإيمان.

4- الحث على مكارم الأخلاق[11].

ومن خصائص السّور المدنيّة:

1- طول الآيات القرآنية.

2- التفصيل في الأحكام.

3- الدعوة إلى التعايش، وتحقيق السلم والاستقرار.

على أن هناك قواسم مشتركة كثيرة بين مكي القرآن ومدنيه؛ كترسيخ الإيمان بالله تعالى، وربط العباد به، والتأكيد على الأخلاق الفاضلة والقيم المثلى.

مقاصد القرآن الكريم:

المراد بمقاصد القرآن الكريم: أهدافه الكبرى، وغاياته الكلية، التي جاء ليحققها من خلال جملة آياته وسوره.

والذي يتأمل القرآن الكريم؛ يجد أن المقصد العام الذي جاء به هو تحقيق المصالح للأنام، ودفع المفاسد عنهم، ليسعدوا في العاجل والآجل؛ يقول العز ابن عبد السلام رحمه الله: "ومعظم مقاصد القرآن: الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها"[12]، ويقول الطاهر ابن عاشور رحمه الله: "إن القرآن

(11) انظر: الخضري، محمد، **تاريخ التشريع الإسلامي**، ص 12.

(12)ابن عبد السلام، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، 1/ 8.

أنزله الله تعالى كتابًا لصلاح أمر الناس كافةً، رحمةً لهم، قال الله تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل: 89][13].

ويمكن إجمال أهم مقاصد القرآن الكريم في خمسة، وهي: ترسيخ الإيمان وعبادة الرحمن، وتكريم الإنسان، وتزكية الوجدان، وتعليم الإنسان، وبناء الأوطان[14].

أولا: ترسيخ الإيمان، وعبادة الرحمن: قال الله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [محمد: 19]، فالقرآن الكريم إنما أنزل ليعرف الناس بخالقهم، ويبين لهم جلال ذاته، وكمال صفاته، وعظمة خلقه، قال تعالى: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الحشر: 22-24]، ومما يرسخ الإيمان بالله: التفكر في عظيم خلقه، وبديع صنعه، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: 190-191]، فإن التفكر في السماوات وارتفاعها، والأرضين واتساعها، والجبال وثباتها، والبحار وأمواجها، يغذي القلب بالإيمان، وينمي في العقل ملكة الإبداع والإتقان، ويثمر العلم المبني على الدليل والبرهان، قال سبحانه: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام: 99].

وكذلك ليدلهم على سبل عبادة الله تعالى، المقربة إليه والموصلة إلى محبته، قال جل جلاله: ﴿**وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾ [يس: 61]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: 56].

ثانيًا: تكريم الإنسان: قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ [الإسراء: 70]، فتكريم الإنسان وتشريفه، وبيان عظيم قدره، وجليل شأنه، وفضله على غيره؛ من المقاصد التي جاء بها القرآن الكريم، والفرق بين التفضيل والتكريم بالعموم والخصوص، فالتكريم منظور فيه إلى تكريمه في ذاته، والتفضيل منظور فيه إلى تشريفه فوق غيره.

وقد أكد القرآن الكريم على تكريم الإنسان أيما تأكيد، واتخذ هذا التكريم صورًا كثيرة، منها أن الله تعالى:

---

(13)ابن عاشور، محمد الطاهر، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، 1/ 38.

(14) انظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 1/ 449؛ والسمعاني، أبو المظفر منصور، **تفسير القرآن**، 2/ 438؛ والشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم، **الموافقات**، 4/ 209؛ والبقاعي، برهان الدين إبراهيم، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، 1/ 474؛ وابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، 1/ 40- 41؛ و1/ 81؛ و1/ 102؛ و1/ 182؛ و15/ 166.

أ. خَلَقَ الإنسان، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾ [الحجر: 28-30].

ب. شرفه بالعقل، وأمده بملكات التعلم: قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [النحل: 78]. فالله تعالى قد فضل الإنسان بالعقل الذي به استصلاح شؤونه، ودفع الأضرار عنه، وبأنواع المعارف والعلوم.

ت. حفظ ماله ودمه وعرضه، وسخر الكائنات لخدمته، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾ [لقمان: 20].

ث. جعله محور الرسالات السماوية، وشرع له ما يصلح حياته ويسعده، قال تعالى: ﴿**طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾ [طه: 1-2].

ثالثًا: تزكية الوجدان: قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [الجمعة: 2] فمن مقاصد القرآن الرئيسة: الارتقاء بالنفس البشرية في مدارج الكمالات، وذلك بتخليتها وتحليتها؛ تخليتها من الصفات الذميمة؛ كالحسد، والبغض، والضغينة، والكبر، والعجب، والغضب، وتحليتها بالأخلاق الفاضلة؛ كالصبر، والحلم، والحكمة، والرحمة، والإحسان.

والآيات الداعية إلى التخلق بمحاسن الأخلاق والخلال كثيرة في القرآن؛ منها:

أ. قوله تعالى في الدعوة إلى خلق الأمانة: ﴿**فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ**﴾ [البقرة: 283].

ب. قوله تعالى في الحث على خلق الحلم والإحسان: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: 134].

ت. قوله تعالى في الأمر بالعفو والتسامح: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾ [الأعراف: 199].

ث. قوله تعالى في الترغيب في خلق التكافل والتعاون: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ [المائدة: 2].

والآيات المحذرة من مساوئ الصفات والخصال، كثيرة، منها:

أ. قوله تعالى في النهي عن السخرية من الناس والاستهزاء بهم: ﴿**لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ**﴾ [الحجرات: 11].

ب. قوله تعالى في النهي عن تعيير الناس والطعن فيهم: ﴿**وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ**﴾ [الحجرات: 11].

ت. قوله تعالى في النهي عن التعدي على خصوصيات الناس، وعدم حفظ غيبتهم: ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**﴾ [الحجرات: 12].

وترسيخًا لهذه القيم التزكوية قدم القرآن الكريم نماذج من أصحاب الأخلاق الرفيعة والخصال الحميدة، وعلى رأسهم أنبياؤه ورسله عليهم السلام، قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾[الإسراء: 3]، وقال تعالى عن خليله أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ**﴾ [هود: 75]، وقال عن نبيه إسماعيل عليه السلام: ﴿**إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ**﴾ [مريم: 54]، وقال عن نبينا محمد ﷺ: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: 4]، ولما سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن خلقه ﷺ قالت: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**»[15].

رابعًا: تعليم الإنسان: قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [آل عمران: 164]، فالمقصد الذي تَغَيَّاهُ القرآن وبُعِثَ به النبي عليه الصلاة والسلام؛ هو تعليم الناس كلام ربهم، والحكمة في أقوالهم، وأفعالهم، وسائر تصرفاتهم وتعاملاتهم؛ في جميع جوانب حياتهم.

ومما يؤكد هذ المقصد العظيم؛ أنَّ أول آية نزلت من القرآن الكريم، كانت دعوة إلى تحصيل العلم، قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: 1-5]، وزيادة في اهتمام القرآن الكريم بالعلم ذكر أبرز أدواته، ومنها:

1. **القلم:** قال سبحانه: ﴿**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**﴾ [العلق: 4].
2. **الكتابة:** قال تعالى: ﴿**ن * وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ [القلم: 1].
3. **الصحف:** قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ [الأعلى: 18-19].
4. **المداد:** ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ [الكهف: 109].

كما ذكر سبحانه ملكات التلقي والتعلم والتدوين؛ فقال جل جلاله: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [النحل: 78].

خامسا: بناء الأوطان: بين القرآن الكريم في آيات كثيرة أن من أهداف إسكان الإنسان في الأرض أن يعمرها، ويعمل على تنميتها، وبناء حضارتها، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة: 30]، أي: ساكنًا وعامرًا يسكنها ويعمُرها، وقال جل جلاله: ﴿**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ [هود: 61]، أي: أمركم بعمارة أرضكم. ولتحقيق هذا المقصد مهد الله سبحانه الأرض وذللها، وأودع فيها مواد بنائها، ومكونات عمارتها، قال تعالى: ﴿**وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ**﴾

(15) أحمد بن حنبل، **المسند**، رقم الحديث: 25240، 250/11.

[الأعراف: 74]، ودعا الناس إلى التعاون والتكامل في إعمار الأرض واستكمال بنائها، قال تعالى: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا**﴾ [الزخرف: 32].

ولا يتحقّقُ هذا المقصَدُ إلّا بالتّعلّقِ بالوطنِ ومحبَّتِه، والسّعيِ في خدمته وتنميتِه، والذّودِ والدِّفَاعِ عن حِمَاهُ وَحُرْمَتِه، والعملِ الدّؤوبِ من أجلِ رقيّهِ وإعلاءِ مكانتِه.

فهذه أهم مقاصد القرآن الكريم؛ التي ينبغي أن يفهم في ضوئها، ويستعان على تدبره بها، فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى مقاصد القرآن؛ وذلك لإدراك حِكَمِ تشريعه، والتمكن من حسن تنزيله والعمل به.

* * *

منهج فهم القرآن الكريم

إن فهم القرآن الكريم هو المدخل الصحيح لحسن العمل به، ولا يتأتى إلا بأمرين:

1. تدبر آياته، قال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ [ص: 29]. ومعنى تدبره: تأمل ألفاظه، وتعقل معانيه، والتفكر في مقاصده ومراميه، قال الزمخشري: "معنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه"[1].
2. منهج علمي دقيق وشامل لفهمه، ينطلق من الدلالة اللغوية، ويهتدي ببقية النصوص الشرعية، ويستحضر المبادئ العامة والمقاصد الكلية للدين الإسلامي، ويراعي سياق النص وملابساته وسبب نزوله، وذلك على التفصيل الآتي:

أولًا: النظرة الكلية: لفهم آيات القرآن الكريم لا بد أن ننظر إليه على أنه وحدة كلية متكاملة مترابطة؛ فآياتُه كلُّها بمنزلة نصٍّ واحدٍ في نظام الاستدلال والاستنباط، فمن لم يُحط بها علمًا ولم يجمع أطرافَها لم يسَعْهُ أن يفقَهَ معانيَها.[2].

والنظرة الاجتزائية لآيات القرآن الكريم تضيّع معانيَه، وتُفوّتُ مقاصدَهُ ومراميَه؛ لذلك كان لزامًا على مريدِ فهمِ القرآنِ أن يستحضر حقيقةَ كونهِ كالصّورة الواحدة، ليفهمَ آياتهِ ضمنَ معانيه الكلّيّة، ومقاصده الإجماليّةِ.

ثانيًا: الدلالة اللغوية: اللغة العربية هي مفتاح فهم القرآن الكريم وإدراك معاني ألفاظه وآياته، إذ أصل إنزاله باللغة العربية، قال تعالى: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [فصلت: 3]، وعلوم اللغة كثيرة ومتشعبة، وأبرز ما يساعد منها على فهم القرآن الكريم، معرفة غريب الألفاظ، والتمييز بين الحقائق والمجازات.

1. **معرفة الغريب:** ونعني به الدلالات اللغوية للألفاظ القرآنية في معهود اللسان العربي، فإن "تحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن من أوائل المعينات لمن يريد أن يدرك معانيه"[3]. والناظر في ألفاظ القرآن الكريم من حيث وضوحها يجدها على أقسام:

- فمنها: ما هو واضح لكل أحد، كقوله تعالى ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [المؤمنون: 1]، وقوله عز وجل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحجرات: 12].

---

(1) الزمخشري، محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، 1/ 540.

(2) ابن بيّه، عبد الله بن الشيخ المحفوظ، الكلمة التأطيريّة للملتقى الثّاني لمنتدى أبوظبي للسّلم "السّلم تأصيلًا وممارسةً"، ص 41، وانظر: الشاطبي، **الاعتصام**، 1/ 311.

(3) الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص 54.

- ومنها: ما هو مفهوم لمن له دراية باللغة العربية، كقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ**﴾ [التكوير: 11]، "أي: نزعتْ فطويتْ كما يقشطُ الغِطاءُ عن الشيء"[4]ومنه: "كَشْط الناقة، أي: تنحية الجلد عنها"[5].
- ومنها: ما يحتاج فهمه إلى تخصص عميق ودراية واسعة باللغة العربية، كقوله تعالى: ﴿**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا**﴾ [عبس: 31] والأبُّ: "المرعى المتهيّئ للرعي، من قولهم: أَبَّ لِكذا، أي: تهيّأ"[6].

2. **الحقيقة والمجاز:** فمما يساعد على فهم القرآن الكريم مراعاة المعنى الحقيقي والمجازي؛ إذ ألفاظ اللغة إما حقيقية وإما مجازية، فـ"الحقيقة: أَنْ يُقَرَّ اللفظُ على أصله في اللغة، والمجاز أنْ يُسْتعملَ في غير ما وُضِع له لعلاقة بين المعنيين، مع قرينةٍ مانعةٍ من حمله على المعنى الأصليّ (الوضعيّ)، فيقالُ: (أسدٌ) ويراد (شُجاع)"[7]. وألفاظ القرآن الكريم من حيث دلالتها بهذا الاعتبار على قسمين:
   - **ما تكون دلالتها على المعنى حقيقة**، كدلالة قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ**﴾ [يوسف: 58]، على مجيئهم حقيقة.
   - **ما تكون دلالتها على المعنى مجازية:** كدلالة قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ**﴾ [الفجر: 22]، على مجيء أمره. بدليل قوله في آية أخرى: ﴿**أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ**﴾ [النحل: 33]. فذكر مكان قوله: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ**﴾: ﴿**أَمْرُ رَبِّكَ**﴾.

ثالثًا: البيان النبوي: النبي ﷺ هو المبين لما جاء في القرآن الكريم، فينبغي أن يعتمد بيانه القولي والعملي في فهم آيات القرآن الكريم، ومثال ذلك قوله تعالى في وقت بداية الإمساك عن المفطرات للصائم: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾ [البقرة: 187]، فقد فهم عدي بن حاتم رضي الله عنه الآية على غير وجهها، قال: فعمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: «**إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ**»[8]. فهذا البيان النبوي فهمنا المعنى المراد من الآية.

رابعًا: النظرة المقاصدية: ونعني بها فهم آيات القرآن الكريم باستحضار الغايات والمعاني والحكم التي جاء الدين الإسلامي لتحقيقها، فإن تفسير الآيات القرآنية بمعزل عن هذه المقاصد يوقع في الغلط فهمًا وتنزيلًا، يقول الطاهر ابن عاشور رحمه الله في بيان أهمية النظرة المقاصدية في فهم النصوص الشرعية: "أدلة الشريعة اللفظية

(4) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، **غريب القرآن**، ص 516.
(5) الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص 712، (كشط).
(6) السابق، ص59، (أب).
(7) الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، ص 366.
(8) البخاريّ، **الجامع الصّحيح**، رقم الحديث: 1916، ج. 2، ص. 28.

لا تستغني عن معرفة المقاصد الشرعية"[9]. وأهم هذه المقاصد: حفظ الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، التي تهدف إلى تحقيق الأمان والاستقرار والاطمئنان، وكل ما فيه مصلحة للأنام.

خامسًا: السياق وأسباب النزول: والمراد بها مراعاة الحوادث والقضايا التي صاحبت نزول الآيات القرآنية، قال الواحدي: "لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[10]. وقال ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"[11]. ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِاللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِاعْتَمَرَفَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**﴾ [البقرة: 158]، أي: يسعى بينهما. فإن فهم قوله تعالى: ﴿**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**﴾، بمعزل عن سبب نزولها، يوهم أن السعي بين الصفا والمروة غير واجب، بيد أنه من أركان الحج والعمرة، بدليل حديث عاصم بن سليمان قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن الصفا والمروة، قال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِاللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِاعْتَمَرَفَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**﴾، فسبب نزول الآية يدل على أن نفي الحرج ليس المراد منه نفي الوجوب، وإنما المراد توجيههم إلى عدم التحرج من السعي بين الصفا والمروة.

ففهم القرآن الكريم وفق هذه القواعد؛ يمثل الثقافة الإسلامية الصحيحة، التي تُمَكن من الاهتداء بهدي القرآن القويم، وتنزيل مقتضياته بشكل سليم؛ تنزيلا يحقق مصالح البشرية، ويراعي واقعها، ويلبي احتياجاتها، ويتفاعل مع قضاياها، في كافة شؤون الحياة ومختلف جوانبها.

أثر القرآن في تنظيم حياة الإنسان:

جاء القرآن الكريم برسالة واضحة؛ تهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء: 9]، فهي تُنَظِّمُ شخصية الإنسان، وتقوي صلته بربه، وتوطد علاقته بغيره، وتُرَشِّد ارتباطه بالكون من حوله، وسنتناول تفاصيلها على النحو الآتي:

أولًا: علاقة الإنسان بنفسه: دعا القرآن الكريم الإنسان إلى الارتقاء بذاته وتنميتها، وذلك من خلال:

- **حضه على تزكية نفسه:** وذلك بتطهيرها وتنقيتها من الصفات الذميمة، وتحليتها بالأخلاق الحميدة، قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى**﴾ [الأعلى: 14]، ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: 7-10]، وجعل سبحانه تزكية

(9) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، 3/ 79.

(10) الواحدي، علي بن أحمد، **أسباب النزول**، ص 8.

(11) ابن دقيق العيد، تقي الدين محمد، **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، ص 457.

النفس من أهم مقاصد بعثة النبي ﷺ، قال عز وجل عنه: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ**﴾ [آل عمران: 164].

- **دعوته إلى إعمال عقله:** فقد جاء الأمر بإعمال العقل والنظر والتفكر في أكثر من مائة وثلاثين موضعًا من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾؛ كررها في (13) موضعًا من كتابه، وقوله سبحانه: ﴿**أَفَلَا يَعْقِلُونَ**﴾ [يس: 68]، وقوله تبارك اسمه: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا**﴾ [الأعراف: 184] و [الروم: 8]، وقوله عز وجل: ﴿**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا**﴾ [الأعراف: 185]، ﴿**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا**﴾ [ق: 6].
- **حثه على تنمية فكره:** وذلك بتعلم العلوم المفيدة، والتزود بالمعارف النافعة، فقد ورد ذكر العلم ومشتقاته في القرآن الكريم في (856) موضعًا من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه: 114] وقوله عز وجل: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: 11].
- **توجيهه للتزود بالحكمة:** وتعني وضع الشيء في موضعه، والتصرف وفق ما يحقق المصلحة، وقد ذكرت الحكمة بمشتقاتها في (119) موضعًا من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [البقرة: 269]، وجعل سبحانه تعليم الناس الحكمة من أعظم المهام الرسالية لنبيه ﷺ، قال عز وجل عنه: ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [آل عمران: 164].

ثانيًا: صلة الإنسان بربه: فقد تضمن القرآن الكريم مجموعة من المبادئ التي تؤسس لعلاقة الإنسان بخالقه جل جلاله، وتدفعه إلى محبته ومراقبته وحسن عبادته، وتتمثل في:

- **معرفة الله سبحانه وتعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العلى:** قال سبحانه: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الحشر: 22-24].
- **حسن الظن به تعالى:** وهو الثقة بسعة رحمة الله تعالى، وعظيم كرمه، وبالغ حكمته، وأنه سبحانه لا يقدّر على خلقه إلا ما فيه خير لهم في العاجل والآجل، وقد قص علينا القرآن الكريم موقف النبي ﷺ مع صاحبه أبي بكر في الغار مثنيًا على حسن ظنه بربه وشدة يقينه به، ﴿**إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: 40].

- **مراقبته جل جلاله:** وذلك بأن يستحضر المرء علم الله به واطلاعه على أفعاله وتصرفاته؛ سرها وجهرها، فيجده حيث أمره، ويفقده حيث نهاه، قال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ [غافر: 19]، وقال جل جلاله: ﴿**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [الملك: 13].
- **التوكل عليه سبحانه:** وهو أن يراعي المرء في تحقيق ما يبتغيه الأسباب الظاهرة، مع الاعتماد على الله تعالى والاستعانة به[12]، قال سبحانه: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [التغابن: 13]، وقال سبحانه: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران: 159].
- **عبادته جل في علاه:** وذلك بأداء ما افترض عليه، والتقرب إليه بما رغبه فيه وحثه عليه، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: 56]، وقال جل جلاله: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: 21]، ومن العبادات التي افترضها الله على عباده وجعلها أركانًا لدينه بعد الشهادتين: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا، وجعل سبحانه من جنس هذه الفرائض نوافل يتقرب به المؤمن إلى ربه، طلبًا لزيادة الحسنات، ورفعة الدرجات، إضافة إلى عبادات أخرى حث عليها سبحانه من غير إلزام، كذكره تعالى، وشكره جل جلاله، قال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي**﴾ [البقرة: 152].

ثالثًا: علاقة الإنسان بغيره: فقد اشتمل القرآن الكريم على منظومة متكاملة من الأخلاق، التي تضبط سلوك الإنسان، وتُنَظِّمُ تصرفاته مع غيره، ومن أهمها:

- **الصدق:** قال الله سبحانه: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: 119]، والصدق يكون في الأقوال فلا يقول صاحبه إلا حقًّا، وفي الأفعال فيتقن عمله مبتعدًا عن الغش والخداع.
- **التواضع:** وهو: لين الجانب، واحترام الناس، وقبول الصواب، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**﴾ [الإسراء: 37]، وقال جل جلاله: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان: 18]، وامتدح سبحانه

(12) الرازي، فخر الدين محمد، **مفاتيح الغيب**، 9/ 410.

عباده بأنهم ﴿**يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**﴾ [الفرقان: 63]. أي: يمشون على الأرض حلماء متواضعين، بسكينة ووقار، وتُؤَدَة وحسن سمت[13].

- **التعارف:** وهو التواصل بين الشعوب مهما اختلفت أعراقهم وثقافاتهم، وتباعدت بلدانهم، قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13]. فبالتواصل يتحقق التعاون الذي دعا إليه ربنا سبحانه في قوله: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ [المائدة: 2]، وبه تتضافر الجهود، وتتكامل الطاقات، وتتحد الخبرات، للإسهام في بناء الإنسان، وتحقيق السلام.
- **الإحسان إلى الناس:** وهو بذل الخير والمعروف لهم، بكل الصور والأشكال، في الأقوال والأفعال، قال تعالى: ﴿**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة: 195]، وقال سبحانه: ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا**﴾ [النساء: 36].

رابعًا: ارتباط الإنسان بالكون من حوله: فقد سخر الله تعالى للإنسان الأرض وما فيها، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ**﴾ [الأعراف: 10]، وجعله سبحانه مستخلفًا فيها، قال عز وجل: ﴿**وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: 129]، وأمره باستدامة خيراتها؛ وذلك بـ:

- **المحافظة عليها:** قال تعالى: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف: 85].
- **ترشيد استعمال مواردها،** قال تعالى: ﴿**وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: 31]، وقال سبحانه: ﴿**وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾ [الإسراء: 26-27].
- **إعمارها وبناء حضارتها:** قال تعالى: ﴿**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ [هود: 61]، "أي: أمركم بعمارة أرضكم"[14] بكل ما يسهم في تحسين جودة الحياة، وتسهيل سبل العيش فيها؛ من تعبيد للطرق، وبناء للمساكن، وإنشاء للمؤسسات بمختلف أنواعها.

(13) ينظر: القرطبي، شمس الدين محمد، **الجامع لأحكام القرآن**، 13/ 68.

(14) السمعاني، **تفسير القرآن**، 2/ 438.

وهكذا فإن الفهم الصحيح المنضبط لنصوص القرآن الكريم، يبني شخصية متزنة، ملتزمة في صلتها بخالقها، محسنة في علاقتها مع غيرها، مسهمة في استدامة مكونات بيئتها، مما يقودها إلى بناء حضارة إنسانية رائدة مزدهرة، في إطار من التكامل والتعاون، الذي يعود بالنفع والخير والسلام والسعادة على البشرية جمعاء.

* * *

الهدي النبوي والسّيرة العطِرةُ

تمهيد:

الهدي النبوي الشريف والسّيرة العطِرةُ أحد أهم مصادر الدّين الإسلاميّ؛ إذ هما التّطبيق العمليّ لما جاء في القرآن الكريم من الأحكام والحِكم؛ ويدل على ذلك قوله تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿**وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: 44].أي: "وأنزلنا إليك يا محمد هذا القرآن تذكيرًا للناس وعظة لهم، لتعرفهم ما أنزل إليهم من ذلك، وليتذكروا فيه ويعتبروا به"[1].

تعريف الهدي النبوي:

الهدي لغة: الْهَدْيُ: الهَيئة والطَّريقَة[2]. يُقال: هو حسن الهَدْي: أي حسن الطريقة[3]. "وهدى هدي فلان، أي: سار سيره"[4].

واصطلاحًا: هو ما يضاف إلى النبي ﷺ من أقواله، وأفعاله، وأحواله، بهدف الاقتداء به، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب: 21].

تعريف السيرة العطرة:

السيرة لغة: اسم من سار يسيرُ سيرًا، وتأتي بمعانٍ عدة، منها: **الطريقة**[5]: يقال: سار بهم سيرة حسنة[6]. أي: طريقةً حسنةً، فالسّيرة والهدي بهذا المعنى مترادفان.

وأما في الاصطلاح: فقد عرفت السّيرة بتعريفاتٍ عديدة،[7] نستفيد من مجموعها أنّها: علم يدرس كل ما يتعلق بالنبي ﷺ؛ فيستقصي أيامه وأخباره، ويسرد صفاته وأخلاقه، ويُطْلِع على دلائل نبوَّته، من ولادته إلى وفاته ﷺ.

(1) الطبري، **جامع البيان**، 17/ 211.

(2) ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 5/ 253.

(3) القالي، إسماعيل بن القاسم، **البارع في اللغة**، ص136.

(4) ابن منظور، **لسان العرب**، 356/15، (هدي).

(5) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 120/3-121 (سير).

(6) الرازي، **مختار الصحاح**، ص 159 (س ي ر).

(7) انظر: الكلاعي، سليمان بن موسى بن سالم، **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**، 1/ 3، و اليوسي، **القانون في أحكام العلم والعالم والمتعلم**، ص280-281.

أهمية السيرة العَطِرَة:

تتجلى أهمية السيرة النبوية في كونها تمثل الجانب العملي من حياة النبي الكريم ﷺ في كل النواحي الإنسانية والاجتماعية، وتبرز أهمية دراستها في تحقيقها للأهداف الآتية:

1. التعرف إلى شخصية النبي الكريم ﷺ في كافة جوانبها وشتى أبعادها، من حيث حسن سمته ومظهره، وصفاء قلبه، ونقاء روحه، ووقاره وهيبته، واتزانه وهدوءه، وبشاشته وتفاؤله، وتوازنه واعتداله، وصدقه وأمانته، ووفائه بعهده، وصبره وحلمه، ورأفته ورحمته، وسماحته وحكمته، وتواضعه ولين جانبه، ونبله وكمال تصرفاته.
2. معرفة هديه ﷺ حال حضره وسفره، وفرحه وحزنه، وسرائه وضرائه؛ في صلته بربه وعبادته، وعلاقته بوطنه، وتعامله مع أهله وأسرته، وأرحامه وأقربائه، وأصحابه، وجيرانه، ومنهجه في تربيته وتعليمه، ومظاهر عنايته ﷺ بالمرأة، والكبير، والشاب، والصغير، والضعيف، والمحتاج، وحاله ﷺ في مجلسه ومسجده وسوقه؛ وسائرِ تفاصيل حياته.
3. إدراك حقيقة الفهم النبوي لبيان التنزيل القرآني والخطاب الشرعي، تمثلًا لقول الله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل: 44].
4. الاطلاع على القيم الكبرى التي تدلّ عليها سيرة النبيّ الكريم ﷺ، ومنها (التّزكية، والعلم، والحكمة)، الواردة في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [آل عمران: 164].
5. تثبيت الإيمان بالنبي ﷺ وتصديقه، من خلال التعرف على دلائل نبوته وعلى شمائله السَّنِيَّةِ، وأخلاقه الزّكيّةِ.
6. تعميق محبته ﷺ، فإن الاطلاع على تفاصيل الحياة النبوية، يورث النُّفوس محبّته وإجلالَه، وتعظيمه وتوقيره، فجميع من عايش النبي ﷺ في حياته، وعامله في جميع أحواله، أحبه من خالص قلبه.

منهج فهم الهدي النبويّ والسّيرة العطِرة:

لتحقيق الفهم الصحيح للهدي النبوي والسّيرة العطرة لا بد أن نستند إلى ضوابط علمية وقواعد منهجية، نفصلها في ما يأتي:

أولًا: الاستناد إلى مدلولات اللغة العربية: تعد الدلالة اللغوية من أهم ما يتعيّن الرجوع إليه من أجل فهم ما وصلنا من هديه وسيرته عليه الصّلاة والسّلام؛ إذ ترد فيهما ألفاظ لا تدرك معانيها إلّا بالرجوع إلى معاجم اللغة، من ذلكَ لفظتا: (غرًّا) و(محجلين) في قول النبي ﷺ: «**إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ**»[8].فإن معناهما: "بيضُ الْوُجُوه والأطراف من نور الْوضُوء، كالفرس الْأَغَر المحجل، وَهُوَ الَّذِي فِي وَجهه و أرساغ قوائمه بَيَاض"[9]. يقول الركبي: "الغرة -بالضم-: بياض، في جهة الفرس،... والتحجيل: بياض القوائم في الفرس"[10].

ومن أمثلة الغريب الذي بينه النبي ﷺ، لفظ: (مخموم القلب) في قوله ﷺ لما سئل: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ**»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «**هُوَ النَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ**»[11].

ثانيًا: الاستنارة بالمقاصد الكلية: لفهم الهدي النبويّ والسّيرة العطِرة فهمًا يتفق مع روح الدين الإسلامي الحنيف؛ لا بد أن يدرس في ضوء المقاصد العامة والأهداف الكبرى للدين الإسلامي، بعيدًا عن القراءة الحرفية التي تنتزعُ من النّصوص روحها، ومن الشّريعةِ حكمَتَها ومغزاها.

أثر الهدي النبوي والسّيرة العطرة في تعزيز الأخلاق:

يُشَكِّلُ الهدي النبوي الشريف والسّيرة العطرة ركيزتين أساسيتين في بناء شخصية الإنسان المتوازنة، فهما يسهمان في توجيه سلوكه وتقويم تصرفاته، ليسير في حياته وفق النهج القويم والطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [الشورى: 52]، وذلك من خلال ما يأتي:

أولًا: المسؤولية الفردية والمجتمعية: ينمي الهدي النبوي في الإنسان حس المسؤولية تجاه نفسه والآخرين من حوله، مما يدفعه لأداء واجباته، وتحمل تبعات أفعاله، فقد بين النبي ﷺ دائرة مسؤوليات الأفراد كل من موقعه، فقال ﷺ:«**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِه وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْهُمْ، وَامْرَأَةُ الرَّجُلِ رَاعِيَةٌ عَلَى مَالِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهَا، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ... »**[12]. فإذا عرف كل فرد حدود مسؤولياته واضطلع بها، تحقق النجاح والسلام للجميع.

---

(8) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 136، 1/ 39، ومسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 246، 149/1، واللفظ لمسلم.

(9) اليحصبي، القاضي عياض، **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، 1/ 182.

(10) ابن بطال، **النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب**، 1/ 29.

(11) ابن ماجه، **السنن**، رقم الحديث: 4216، 5/ 299.

(12) مالك، الموطأ، رواية محمّد بن الحسن الشّيبانيّ، رقم الحديث: 992، ص 343.

ثانيًا: العمل والإنتاجية: يُعلِي الهدي النبوي من قيمة العمل، ويدعو الإنسان إلى الجد والاجتهاد، ويحثه على الإنتاجية، قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ**»[13]. وفي سبيل تحقيق الإنتاجية في أعلى مستوياتها، حض النبي ﷺ على اغتنام الفرص وعدم تفويتها، قال ﷺ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»[14].

ثالثًا: الإيجابية والنظرة التفاؤلية: للهدي النبوي دور بالغ في تعزيز الإيجابية، وبث روح التفاؤل والأمل في حياة الإنسان، فقد «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ الْفَأْلَ الْحَسَنَ**»[15]. ويدعو إلى التفاؤل ونبذ التشاؤم، قال ﷺ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**»[16]. فإن التشاؤم والنظرة السلبية تصيب بالإحباط وفقد الأمل، وتقعس عن الإنتاجية والعمل، وإن الكلمةَ الطّيّبة من أعظم ما يبعث على التّفاؤلِ، ويستثيرُ الهمَمَ ويَحفِزُهَا على مزيدٍ من العملِ الصّالح المُثمِرِ والإنتاجِ المُفِيدِ.

رابعًا: التوازن والاعتدال: نتعلم من الهدي النبوي أن نجعل من الاعتدال منهجًا لنا، ومن التوازن سمة لشخصيتنا، وذلك في جميع شؤوننا الدينية والدنيوية، فحينما أتى النبيَّ ﷺ نفر غالوا في عبادتهم، وأغفلوا أمور حياتهم، بين لهم ﷺ أن الخير في الاعتدال والتوازن، لا في الغلو والتشدد.

خامسًا: مراعاة الآداب والأخلاق في التعامل: من أهم ما تستلهمه الشخصية الإنسانية من الهدي النبوي القولي والفعلي: التحلي بمحاسن الآداب والاتصاف بمكارم الأخلاق، ذلك أن أبرز ما جاء به النبي ﷺ ترسيخ القيم والأخلاق، قال رسول ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»[17]. فالإنسان يتمثل هذه الأخلاق مع أسرته ومجتمعه، ويتعامل بهذه الآداب مع الموافق له والمخالف.

1. **تمثل الأخلاق مع الأسرة:** اهتم النبي ﷺ ببناء أسرة رابطها الخلق القويم، وأساسها العشرة الحسنة، فأمر ﷺ بإحسان معاملة الزوجة، وكان في ذلك خير قدوة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَ أَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»[18]. وحث ﷺ على الرحمة بالأطفال، وكان خير أسوة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ من رسول الله ﷺ**»[19]. وخص البنات بمزيد عناية

(13) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2664، 56/8.

(14) البيهقي، أحمد بن الحسين، **شعب الإيمان**، رقم الحديث: 9769، 12/ 477.

(15) ابن حنبل، **المسند**، رقم الحديث: 8393، 14/ 122.

(16) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2623، 36/8.

(17) أحمد بن حنبل، **المسند**، رقم الحديث: 9074، 258/4.

(18) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 3895، 6/ 188.

(19) ابن حبان، **المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها (صحيح ابن حبان)**، رقم الحديث: 6992، 551/7.

وإحسان، فقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاَثُ بَنَاتٍ، أَوْثَلاَثُ أَخَوَاتٍ، أَوِابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ، فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَصَبَرَعَلَيْهِنَّ، وَ اتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[20].

2. **تمثل الأخلاق مع أفراد المجتمع:** نستلهم من الهدي النبوي إحسان معاملة الناس كافة، ومن ذلك حسن الجوار، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ**»[21]. وكذلك إكرام الضيف، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»[22]. وعيادة المريض ومواساته، قال ﷺ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا**»[23]. وكان للنبي ﷺ جَارٌ من غير المسلمين، فَمَرِضَ، فَعَادَهُ ﷺ مع أصحابه[24]. وكان عليه الصلاة والسلام إذا عاد مريضًا واساه بقوله: «**لَا بَأْسَ، طَهُورٌإِنْ شَاءَ اللَّهُ**»[25].

3. **تمثل الأخلاق مع الآخَر:** يرسخ الهدي النبوي في نفوس المسلمين قيم التعامل مع غير المسلمين من لطف وإحسان، وبر وعدل، فقد أوصى ﷺ أصحابه بغير المسلمين من أهل مصر خيرًا، فقال: «**أَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**»[26]. وكان ﷺ يعود مرضى أهل الكتاب ويزورهم.[27]

وهكذا فإن الهدي النبوي القويم يسهم في بناء شخصية متوازنة، تتحمل المسؤولية، وتتحلى بروح الإيجابية، وتتمثل القيم الأخلاقية، وتتسم في عملها بالجدية، وتحرص على توطيد العلاقات الاجتماعية، وتسهم في بناء الحضارة الإنسانية، بما يعود بالخير والنفع على البشرية.

(20) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 1916، 3/ 478.

(21) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 6018، 8/ 11.

(22) السابق.

(23) أحمد بن حنبل، **المسند**، رقم الحديث 8536، 14/ 216.

(24) ابن همّام، عبد الرزاق، **المصنف**، رقم الحديث: 10655، 140/5، وأصل الحديث في صحيح البخاري.

(25) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 3616، 4/ 202.

(26) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2543، 190/7.

(27)البستيّ، **صحيح ابن حبّان**، رقم الحديث: 5539، 6/ 420.

مصادر السيرة العطِرة:

يمكننا استقاء أحداث السيرة النبوية من مصادر مختلفة، من أهمها:

أولًا: القرآن الكريم: يعد القرآن الكريم أصدق وأوثق وأهم مصدر للسيرة النبوية، فإننا نجد فيه ذكرًا لكثيرٍ من أحداث السيرة النبوية، مقترنة بالدروس والعبر المستخلصة منها، حتى إنك لا تكاد تجد في القرآن الكريم مكيه ومدنيه سورة إلا ولبعض آياتها ارتباط بمرحلة أو بواقعة من سيرته ﷺ، قبل البعثة وبعدها، وقبل الهجرة وبعدها.

فمن أحداث ما قبل البعثة التي تناولها القرآن الكريم: عناية الله تعالى بنبيه ﷺ في صغره وشبابه، وذلك في سورة (الضحى)، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى**﴾ [الضحى: 6-8]، "يعني: كنت يتيمًا فضمك إلى عمك أبي طالب، فكفاك المؤنة، ووجدك في بيئة بعيدة عن الهدى فحفظك من أمرهم، ونزهك عن أخلاقهم، ووجدك فقيرًا بلا مال، فأغناك بمال خديجة"[1]. وهذه كلها وقائع حدثت قبل بعثة النبي ﷺ، أجملها القرآن وفصلتها بقية مصادر السيرة.

ومن الأحداث المصاحبة للبعثة التي أشار إليها القرآن الكريم: بدء نزول الوحي على رسول الله ﷺ وبداية رسالته، نجد ذلك في سور، منها: (العلق)، قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ [العلق: 1]، و(المزمل)، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [المزمل: 1-2]، و(المدثر)، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ**﴾ [المدثر: 1-2]، و(القيامة)، قال تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ [القيامة: 16-19].

ومن الأحداث التي واكبها القرآن الكريم قبل الهجرة: قصته ﷺ مع ابن أم مكتوم، وعتبة بن ربيعة؛ في سورة (عبس)، قال تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ**﴾ [عبس: 1-11].

ثانيًا: الحديث النبوي الشريف: كتب الحديث الشريف من أهم مصادر السيرة النبوية، فقد دون فيها أصحابها "مشاهد النبي ﷺ، وصنفوا أعلامه ودلائله، وحققوا مناقب عترته، ومآثر آبائه وعشيرته، ... وعبروا عن جميع فعل النبي ﷺ؛ في سفره وحضره، وظعنه وإقامته، وسائر أحواله؛ من منام ويقظة، وإشارة وتصريح، وصمت ونطق، ونهوض وقعود، ومأكل ومشرب، وملبس ومركب"[2].

---

(1) السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، **بحر العلوم**، 592/3.

(2) الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد، **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**، ص 132.

الفقه الإسلامي

تعريفه – مدارسه – أهمّ ملامحه

يعد الفقه الإسلامي أحد أهم منابع الخطاب الشّرعيّ، يستقي منه المؤمن الأحكام العملية التفصيلية المتعلقة بالعبادات؛ من صلاة وصيام وحج وزكاة وغيرها، والأحكام المرتبطة بالمعاملات؛ من بيع وشراء وإجارة وغيرها، وأحكام الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وغيرها، فالأحكام الفقهية تمثل الضوابط الناظمة للأفراد والمجتمعات، في علاقتهم مع ربهم، وعلاقاتهم فيما بينهم، وعلاقتهم مع الكون المحيط بهم.

تعريف الفقه الإسلامي:

الفقه لغة: يأتي الفقه في اللغة لمعان متعددة، منها:

الإدراك: قال ابن فارس: "الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به"[1].

الفطنة: يقال: "شهدت عليك بالفقه، أي: الفطنة"[2].

العلم: قال ابن فارس: "كل علم بشيء فهو فقه، ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقيل لكل عالم بالحلال والحرام: فقيه"[3]. "وفاقَهْتُهُ، إذا باحثته في العلم"[4].

الفهم: قال الأزهري: "أُوتِيَ فلانٌ فِقْهًا فِي الدّين؛ أَي: فَهْمًا فِيهِ، وفَقِه فُلانٌ عَنِّي مَا بيَّنْتُ لَهُ، يَفْقَهُ فِقْهًا: إِذا فَهِمَه"[5]. ومنه دعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**اللَّهُمَّ فقهْهُ فِي الدّينَ**»[6].

وأطلق بعض العلماء الفقه على الفهم مطلقًا، لما ظهر أو خفي، قولًا كان أو غير قول، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَمَالِ هَؤُلاءِ القَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾ [النساء: 78][7].

وقيده بعضهم بفهم الأشياء الدقيقة، أما إدراك البدهيات فلا يسمى فقهًا[8].

ووجه ارتباط هذه المعاني اللغوية بالمعنى الاصطلاحي، أن الفقيه المتمكن يكون عالمًا بأصول الشريعة وفروعها، فَطِنًا بآليات الاستنباط من نصوصها، مُدرِكًا لواقعه ومتغيراته، متّسِمًا بالفهم الدقيق للنصوص الشرعية ومدلولاتها، وحكمها وعللها.

---

(1) ابن سيده، **المخصص**، 260/1-261.

(2) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة فقه، 523/13.

(3) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة: فقه، 442/4.

(4) الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، مادة: فقه، 2243/6.

(5) الأزهري، **تهذيب اللغة**، باب الهاء والقاف مع الباء، 263/5.

(6) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 143، 41/1.

(7) ينظر: الخفاجي، أحمد بن محمد، **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي**، 101/4.

(8) الشيرازي، إبراهيم بن علي، **شرح اللمع**، ص 157.

واصطلاحًا: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسَبُ من الأدلة التفصيلية"[9]. أي: العلم بما شرعه الله تعالى من أحكام العبادات والمعاملات، المتعلقة بأفعال المكلفين وتصرفاتهم، المستنبطة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والقواعد الكبرى للشريعة الإسلامية.

مدارس الفقه الإسلامي، وأهم ملامحه:

كان الفقه في عهد النبي ﷺ معتمدًا على القرآن الكريم والهدي النبوي، حيث كان القرآن الكريم ينزل حسب ما تقتضيه الحاجة وتستوجبه المصلحة، والنبي ﷺ يبين الأحكام الشرعية بقوله وفعله؛ كبيانه ﷺ لأركان الصلاة، ومناسك الحج، وأنصبة الزكاة، وأحكام البيع، والشراء.

وبعد وفاته ﷺ كان الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فيما يعرض لهم من وقائع، ويقيسون عليهما ما استجد لديهم من مسائل، مجتهدين في استنباط أحكامها، مستحضرين المقاصد التي فهموها من القرآن الكريم وتصرفات النبي ﷺ، فعن ميمون بن مهران: "أن أبا بكر رضي الله عنه كان يقضي بكتاب الله، فإن لم يجد قضى بسنة رسول الله ﷺ، فإن لم يجد سأل المسلمين، فإن أخبروه بقضاء رسول الله ﷺ قضى به، فإن أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به"[10].

وقد سار التابعون على نهج الصحابة رضي الله عنهم في استنباط الأحكام الشرعية، مع اختيار ما يؤديه إليه اجتهادهم من بين فتاويهم، وكان الغالب على كل تابعي الأخذ بفتوى الصحابي الذي نشر الفقه في بلده، فغلب على أهل مكة الأخذ بفتاوى ابن عباس رضي الله عنه، وعلى أهل المدينة الأخذ بفتاوى زيد بن ثابت وابن عمر رضي الله عنهم، وعلى أهل الكوفة الأخذ بفتاوى علي وابن مسعود رضي الله عنهما، كما كان العراقيون يميلون إلى الأخذ بالقياس والرأي وافتراض الوقائع قبل حدوثها، بينما كان الحجازيون يميلون إلى الأخذ بالمصلحة، والإكثار من الرواية عن الصحابة، وكانوا لا يفترضون الوقائع قبل حدوثها، وكان هذا كله سببًا لظهور مدرستين للفقه في عصر التابعين:

- **مدرسة الحديث** في الحجاز، برئاسة سعيد بن المسيب عالم المدينة.
- **مدرسة الرأي** في العراق، بزعامة إبراهيم النخعي عالم الكوفة.

وقد كان لهاتين المدرستين أثر كبير في نشوء المذاهب الفقهية على أيدي الأئمة المجتهدين، الذين دُوِّنَ فقههم، ونُشِرَ على مر العصور، ومن أبرز هؤلاء الأئمة: أصحاب المذاهب الأربعة، وهم:

(9) الأصبهاني، محمود بن عبد الرحمن أبو الثَّناء، **بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب**، 18/1.

(10) البيهقي، **السنن الكبرى**، رقم الحديث: 20367، 336/20.

أولًا: أبو حنيفة: النعمان بن ثابت (80هـ - 150هـ)[11]: إمام المذهب الحنفي، وفقيه أهل العراق، عُدَّ من صغار التابعين لأنه رأى بعض الصحابة رضي الله عنهم، وقد بين أبو حنيفة رحمه الله المصادر التي اعتمد عليها في استنباط الأحكام الشرعية فقال: "إني آخذ بما وجدت في كتاب الله تعالى، فما لم أجد فيه أخذت بسنة رسول الله ﷺ، والآثار الصحاح التي فشت في أيدي الثقات، فإذا لم أجد أخذت بقول من شئت من أصحابه ﷺ وأدع قول من شئت، ثم لا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى من بعدهم، فعليَّ أن أجتهد كما اجتهدوا"[12].

ومن أشهر تلاميذ الإمام أبي حنيفة النعمان:

1. **محمد بن الحسن الشيباني** (ت 189 هـ)، وإليه يعود الفضل في تدوين فقه أبي حنيفة رحمه الله.
2. **يعقوب بن إبراهيم، القاضي أبو يوسف** (ت 113 هـ).

ثانيًا: مالك بن أنس (93هـ - 179هـ) [13]: إمام المذهب المالكي، أخذ العلم عن نافع مولى ابن عمر، وابن شهاب الزهري، وربيعة بن عبد الرحمن المشتهر بـ(ربيعة الرأي)، قال الشافعي: "إذا ذكر العلماء فمالك النجم"[14]. ومن أهم الأصول التي بنى عليها الإمام مالك مذهبه: القرآن الكريم، والحديث الشريف، والإجماع، والقياس، إضافة إلى عمل أهل المدينة، وقول الصحابي، والاستحسان، والاستصلاح، وسد الذرائع، وغيرها.

ومن أشهر تلاميذه:

1. عبد الرحمن بن القاسم المصري (ت 191 هـ).
2. عبد الله بن وهب بن مسلم (ت 197 هـ).
3. أشهب بن عبد العزيز القيسي (ت 204 هـ).

ثالثًا: محمد بن إدريس الشافعي (150هـ - 204هـ)[15]: إمام المذهب الشافعي، ولد ببلاد الشام، وتوفي بالقاهرة، تتلمذ على يد الإمام مالك بن أنس، ومحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، فجمع بين مدرستي الحديث والرأي، ووضع قواعد علم أصول الفقه في كتابه (الرسالة)، ودَوَّنَ رحمه الله فقهه بنفسه في كتابه (الأم)، واعتمد في مذهبه على القرآن الكريم والحديث النبوي والإجماع والقياس، والاستصحاب وغيرها، ومن أشهر تلاميذه:

1. يوسف بن يحيى البويطي (ت 231 هـ).

---

(11) ينظر: ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، **الطبقات الكبرى**، 489/8، وابن عبد البرّ، يوسف النّمريّ القرطبيّ، **الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء**، ص122، والشيرازي، إبراهيم بن علي، **طبقات الفقهاء**، ص86.

(12)القاضي، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري أبو يوسف، **الآثار**، 7/1.

(13) ينظر: ابن عبد البر، **الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء**، ص23، والمقدسي، عبد الغني بن عبد الواحد، **الكمال في أسماء الرجال**، 271/8، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **طبقات الحفاظ**، 189/96.

(14) البغدادي، القاضي عبد الوهاب بن نصر، **المعونة على مذهب عالم المدينة**، 75/1.

(15) انظر: البيهقي، أحمد بن الحسين، **مناقب الشافعي**، ص26، والذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، 5/10.

2. إسماعيل بن يحيى المزني (ت 264 هـ).
3. الربيع بن سليمان المرادي (ت 270 هـ).

رابعًا: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (164هـ - 241هـ)[16]: إمام المذهب الحنبلي، عاش في العراق، وأخذ عن الإمام الشافعي، واطلع على كتب محمد بن الحسن الشيباني، إلا أن همته كانت منصرفة إلى حفظ الحديث النبوي وتصنيفه، ومن أَجَلِّ كتبه (المسند)، أما آراؤه الفقهية فقد دونها تلاميذه، قال الشافعي: "خرجت من بغداد، وما خلفت فيها أفقه، ولا أعلم من ابن حنبل"[17].

ومن أشهر تلامذته:

1. **صالح بن أحمد بن حنبل** (ت 266 هـ)، وهو أكبر أبنائه، عني بنقل فقه أبيه ومسائله.
2. **عبد الله بن أحمد بن حنبل** (ت 213 هـ)، عني برواية الحديث عن أبيه.
3. **أبو بكر الأثرم، أحمد بن محمد بن هانئ** (ت 273 هـ).
4. **أبو بكر المرّوذي، أحمد بن محمد بن الحجاج** (ت 274 هـ).

من ملامح الفقه الإسلامي:

إن الفقه الإسلامي هو تفاعل بين النصوص الشرعية والقواعد الكلية، وبين الوقائع الحادثة والظروف المحيطة، يتعامل معه الفقيه المجتهد، بما يحقق المصلحة ويوافق مقصد الشارع، فيأخذ من النصوص والقواعد، مما جعل الفقه حركة حية على مر الأزمان، وأكسبه خصائص وميزات يتفرد بها، من أهمها:

أولًا: الجمع بين النظر إلى النصوص الشرعية، ومراعاة روحها: يعتمد الفقه الإسلامي على الاستدلال بظواهر النصوص الشرعية، والاستنباط منها، والقياس عليها، كما يهتدي بضوء مقاصدها العامة، وقواعدها الكلية، ومبادئها الكبرى، فإن "مآخذ الأحكام لو انحصرت في المنصوصات والمعاني المستثارة منها، لما اتسع باب الاجتهاد، فالمنصوصات ومعانيها المعزوة إليها، لا تقع من متسع الشريعة غرفة من بحر"[18].

ومن الأحكام التي ذكرها الفقهاء استنادًا إلى روح التشريع ومقاصده الكلية: النظم والتشريعات التي تعنى بالمحافظة على الأرض واستدامة خيراتها ومقدراتها، فجميعها داخل تحت مقاصد الشريعة الإسلامية، منضوٍ في أهدافها وغاياتها العامة، انطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [البقرة: 60]، وقوله جل جلاله: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾ [الأعراف: 56].

(16) ينظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، 358/9، وابن أبي يعلى، محمد بن أبي يعلى، **طبقات الحنابلة**، 4/1.
(17) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، 64/1.
(18) الجويني، عبد الملك بن عبد الله، **البرهان في أصول الفقه**، 162/2.

ثانيًا: مراعاة المصلحة الإنسانية: فقد جعل الله تعالى مبدأ المصالح والمفاسد أساسًا لشريعته، ومعلَمًا دالًّا على مقاصدِ أحكامه وحِكَمِ تشريعاته؛ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَ إِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: 90]، فأمر بما يحقق المصلحة، ونهى عما يجلب المفسدة، فالأحكام الفقهية متضمنة لمصالح الناس، كفيلة بإسعادهم؛ لذا نجدها تنص على حرمة كل ما تمحضت مفسدته، وحل كل ما فيه النفع والخير، قال تعالى: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾ [الأعراف: 157].

ثالثًا: مركزية التيسير ورفع الحرج: بنيت أحكام الفقه الإسلامي على التيسير، والسماحة، والسعة، ورفع الحرج، قال تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: 185]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [الحج: 78].

فجميع الأحكام التكليفية في الفقه الإسلامي تقع تحت قدرة المكلف، وضمن استطاعته، قال تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: 286]، وقال سبحانه: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا**﴾ [الطلاق: 7].

فإذا لحق الإنسان حرج أو مشقة في تكليف ما، فإن الإسلام يرفع هذا الحرج عنه، قال تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ**﴾ [التوبة: 91].

كما أنه إذا عجز الإنسان عن القيام بالتكليف لعذر ما، فإن الشارع الحكيم يخفف هذا التكليف:

- بأن يسقطه عن المكلف، كإسقاطه فرض الحج عن غير المستطيع، قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾ [آل عمران: 97].
- أو ينقصه، كإجازة قصر الصلاة الرباعية للمسافر، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ**﴾ [النساء: 101].
- أو يقدمه ويؤخره، كإجازة الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء في السفر، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا عَجِلَ بِهِ السَّيْرُ جَمَعَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ**»[19].
- أو يبدله بأخف منه، كإبدال الوضوء بالتيمم عند فقد الماء أو تعذر استعماله؛ قال تعالى: ﴿**فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا**﴾ [المائدة: 6].
- أو يغير هيئته، كالسماح بأداء الصلاة جالسًا لمن عجز عن القيام، أو مضجعًا لمن عجز عن الجلوس.

رابعًا: استيعاب المستجدات والنوازل: الفقه الإسلامي مواكب لروح العصر، يتعامل مع حاجاته بمرونة، ويتعاطى مع متغيراته بانفتاح، ويستوعب قضاياه المستجدة ونوازله الطارئة؛ في مختلف المجالات؛ الطبية،

(19) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 703، 150/2.

والاقتصادية، والبيئية، والفضائية، والتقنية، وما يرتبط بها من إشكالات حول أحكامها الشرعية، وذلك بما تتيحه له النصوص الشرعية، والكليات الكبرى، والقواعد العامة، والمقاصد العليا، وما تحتمه عليه من فهم للواقع، واعتبار للمآلات، ومراعاة للمقاصد، وفقه الموازنات والمصالح المعتبرة، والانفتاح على المعارف الكونية والقيم الحضارية، والاستعانة بالعلوم الحديثة والمؤسسات المتخصصة في مجالها، للوقوف على أدق التصورات للمستجدات العلمية، بغية الوصول إلى أحكام شرعية متوزانة تتواءم مع هذه المستجدات، وتتفاعل معها بإيجابية، من أجل تحقيق التقدم العلمي، والازدهار الحضاري، والتجاوب مع الحاجات الإنسانية[20].

(20) ينظر: مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي، **وثيقة أبو ظبي في الاستيعاب الشرعي للمستجدات العلمية**، مؤتمر الاستيعاب الشرعي للمستجدات العلمية، 1445هـ/2023م.

الإفتاء

مفهومه – أهميته – ضوابطه - مؤسساته الوطنية

مفهوم الإفتاء لغة واصطلاحًا:

الإفتاء لغة: مصدر أفتى يفتي فهو مفت، يقال: أفتاه في الأمر: أبانه له، وأفتيت فلانا في مسألته، إذا أجبته عنها[1]، ومنه قوله: ﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ**﴾ [النساء: 127] "أي يبين لكم حكم ما سألتم عنه"[2].

واسم المصدر منه: الفَتْوى، والفُتْيا[3].

"والجمع: الفتاوي، بكسر الواو على الأصل، وقيل: يجوز الفتح للتخفيف"[4].

والمستفتي: هو السائل عن الحكم، والمفتي: هو المجيب[5].

"ويقال أصله من الفتى، وهو الشاب القوي"[6]. فكأن المفتي يقوي المستفتي بأن يزيد من علمه، ويسد نقصًا كان عنده، قال ابن عصفور: "الفُتْيا تقوية لنفس المستفتي، فهو من معنى الفتَى والفَتاء"[7].

واصطلاحًا: لا يختلف المعنى الاصطلاحي للإفتاء كثيرًا عن معناه اللغوي، إلا بتخصيصه بالأحكام الشرعية، والأدلة الشرعية؛ فهو في اصطلاح الفقهاء عبارة عن: "بيان الرأي الشرعي في واقعة مخصوصة، بمقتضى الأدلة الشرعية على جهة الإجمال". فالمفتي يبين للسائل حكم ما سأله عنه من حيث الجواز أو المنع، من غير تفصيل في أدلة الحكم، لأن غير المتخصص لا يفقه الأدلة.

أهمية الإفتاء وخطورته:

تنبع أهمية الإفتاء من كونه أحد أهم وسائل بيان الحكم الشرعي، فمن خلاله يعرف الحلال والحرام، وتتضح أحكام النوازل والمستجدات، ويتبصر الناس بأمور دينهم.

---

(1) ينظر: الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**: 234/14، (فتا) وابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**: 147/15، (فتا)

(2) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، 118/2.

(3) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، داروكتبة الهلال، 137/8 (فتو).

(4)الفيومي، أحمد بن محمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، 2/ 462.

(5) ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 474/4.

(6) الفيومي، أحمد بن محمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، 462/2.

(7) ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، **الممتع الكبير في التصريف**، ص 346.

ولعظيم أهمية الإفتاء نسبه الله تعالى إلى نفسه فقال: ﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ**﴾ [النساء: 127] وقال سبحانه: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ**﴾ [النساء: 176]

وبين ربنا سبحانه أن من مهام النبي ﷺ ومسؤولياته: الإفتاء، قال تعالى: ﴿**وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل: 44]، ولا شك أن من بيانه ﷺ إيضاح الحكم الشرعي لمن يستفتي عنه، ولقد قام عليه الصلاة والسلام بهذه المهمة خير قيام، فكان يجيب الصحابة عما يستفتونه، ويفتيهم فيما يسألونه.

ولقد تولى الإفتاء بعد النبي ﷺ فقهاء الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ثم من بعدهم أكابر العلماء، فهم «**وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ**»[8]، كما قال النبي ﷺ.

لذا كان الصحابة والعلماء يتهيبون الفتوى، ولا يتجرؤون عليها، فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: "أدركت عشرين ومئة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول"[9]. "وفي رواية: ما منهم من أحد يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه، ولا يُستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا"[10].

وذلك لما يترتب على الخطإ في الفتوى من مفاسد عظيمة، منها: فساد الأديان، وخراب الأوطان، لذا كان من الحكمة أن تُنَظَّم الفتوى، وتخصص لها جهات يُعينها الحاكم ويعتمدها، لتكون مرجعًا موحدًا للناس في أمور دينهم؛ تفاديًا للخطإ؛ ومنعًا للتفرق والتشرذم، وتحقيقا للاتحاد وجمع الكلمة. وهذا ما سنتحدث عنه في المحور الآتي.

منهجية الفتوى وضوابطها الشرعية:

حتى تكون الفتوى موافقة للحكم الشرعي، ونافعة للمستفتي، يجب على المفتي أن يلتزم منهجية واضحة ومنضبطة، تنطلق من فهم السؤال وتصوره، وتراعي حال المستفتي وظروفه، وتستدعي الأدلة الشرعية، والأصول والقواعد المرعية، ويراعي الضوابط الآتية:

أولًا: الضوابط العلمية:

1. الإلمام بالعلوم الشرعية، وقواعد اللغة العربية.
2. استشارة المختصين في العلوم الطّبيعيّة كالطب، والإنسانيّة كالاقتصاد، وغيرها.
3. مراعاة أنواع الفقه الثلاث: الواقع، والمتوقع، والتنزيل.
4. مراعاة الأعراف والعادات.

(8) أبو داوود، **سنن أبي داوود**، رقم الحديث: 3641.

(9) البيهقي، أحمد بن الحسين، **المدخل إلى علم السنن**، 860/2.

(10) ابن الصلاح، عثمان، **فتاوى ابن الصلاح**، 9/1.

ثانيًا: الضوابط الفكرية: وتتلخص في التزام المنهج المعتدل؛ الذي لا تشدد فيه ولا تساهل، يقول الشاطبي رحمه الله: "المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور؛ فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال. والدليل على صحة هذا أنه الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة؛ فإنه قد مر أن مقصد الشارع من المكلف الحمل على التوسط من غير إفراط ولا تفريط، فإذا خرج عن ذلك في المستفتين؛ خرج عن قصد الشارع، ولذلك كان ما خرج عن المذهب الوسط مذموما عند العلماء الراسخين"[11].

ثالثًا: الضوابط الوطنية:

1. التوفر على ترخيص وتصريح بالفتوى من الجهات الرسمية.
2. عدم مخالفة قوانين الدولة.
3. عدم الإفتاء في المسائل التي تكون تحت نظر القضاء.
4. اعتماد المذهب الرسمي للدولة (المالكي)، مع الاستفادة من بقية المذاهب، والاستئناس بها، تيسيرًا على الناس، ومراعاة لأحوالهم.

المؤسسات الوطنية للإفتاء في دولة الإمارات العربية المتحدة[12]:

- في الفترة الممتدة ما بين عام (2008م) و(2017م)، وبدعم واهتمامٍ مباشرٍ من القيادة الرشيدة لدولة الإمارات العربية المتحدة؛ كان للإفتاء جهة رسمية معتمدة تتولى شؤونه، وتقوم على جميع تفاصيله؛ حيث أُنشئ المركز الرسمي للإفتاء ضمن الهيئة العامَّة للشؤون الإسلامية والأوقاف في مطلع فبراير 2008 وتمَّ افتتاحه رسميًا في شهر أغسطس 2008[13]؛ ليقوم بمهمة استقبال الأسئلة من المستفتين، والردّ عليها باستخدام أفضل التقنيات والأنظمة الإلكترونية، والتي شهد بريادتها وتميزها جميع من زار المركز واطلع على آليات ومنهجيات العمل؛ مما يعكس الأهمية الوطنية للفتوى الشرعية ودورها البارز في تطوير صياغة خطاب شرعي استباقي، يراعي الإرث الثقافي للدولة، ويعزز من تنافسيتها وموقعها على خارطة المستقبل.

وكان الهدف من المركز كما ينص عليه نظام إنشائه ما يلي:

1. ضبط الفتوى في المجتمع، وتوحيد مرجعيتها.
2. سد الباب أمام الفتاوى الشخصية والارتجالية.

---

(11) الشاطبي، **الموافقات**، 276/5.

(12) ينظر: موقع مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي، رابط: https://fatwauae.gov.ae/، شوهد: 06-02-2024.

(13) قبل هذا التاريخ؛ لم يكن للفتوى أيّ كيان رسمي، وإنَّما كان يضطلع بهذه المهمَّة الوعاظ وأئمة المساجد ومن له اطلاع في الدين (المطوع)، في حين أنَّ المؤسسات الحكومية كانت تنشئ لجانًا داخلية تعمل على إصدار الفتاوى الشرعية.

3. التواصل المباشر بين المجتمع بكل شرائحه مع أهل العلم والاختصاص الشرعي.
4. تنمية الوعي الديني، ونشر فكر الاعتدال والوسطية والتسامح.
5. معرفة حاجات المجتمع، والعمل على توجيهه نحو التصرف الشرعي الصحيح، والمساعدة في حل مشكلاته.

- وفي عام (2017م) صدر قرار مجلس الوزراء الموقر بإنشاء مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي، وبحلول عام (2018م) صدر قرار تشكيل أعضاء المجلس، وقد مارس المجلس منذ ذلك التاريخ مهامه وأثبت الواقع ضرورة أن يكون للمجلس كيانٌ مستقلٌ يتمتع بالاستقلال المالي والإداري، وفي عام (2020م) صدر قرار مجلس الوزراء الموقر بتعديل قرار الإنشاء، واعتبار مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي وحدةً تنظيميةً تتبع سمو رئيس ديوان الرئاسة، مع إعطاء المجلس استقلاله المالي والإداري، وقد تمَّت قبل ذلك إجراء المقارنات المعيارية، وذلك من خلال الاطلاع على التجارب الخليجية والعربية، وكذلك التجارب العالمية، مع الحرص على الإبداع والابتكار وفقًا لمنهجيات العمل في الدولة.

مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي:

إنشاؤه: تمَّ تأسيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي بدولة الإمارات العربية المتحدة، ليكون الجهة الوحيدة المخولة بإصدار الفتاوى الشرعية العامة في الدولة، ويتمتع بالاستقلال المالي والإداري، ويتبع رئيس ديوان الرئاسة؛ وفقًا للقانون الاتحادي رقم (3) لسنة (2024م).

رؤيته: العالمية، والاستباقية في الفتاوى الشرعية، وترسيخ القيم الإنسانية.

رسالته: إفتاء شرعي معتدل ومؤصل، ومنظومة ذكية، وكفاءات إفتائية وطنية، بهوية حضارية وإنسانية.

قيمه: الإنسانية – الشفافية – التنافسية – الاستدامة – العلمية – المسؤولية – الإيجابية – المواطنة – الاعتدال - الراهنية.

مهامه: يتولى المجلس الاختصاصات الآتية:

1. إصدار الفتاوى العامة، والمستجدة، والطارئة، والاستباقية، التي تتناسب مع واقع المجتمع الإماراتي، سعيًا إلى تحقيق الاستقرار المجتمعي.
2. إصدار الفتاوى العامة في الدولة، وذلك في المسائل والموضوعات المختلفة، أو بناءً على طلب من الجهات الرسمية، أو المؤسسات، أو الأشخاص الاعتباريين، أو الطبيعيين.
3. إصدار السياسات والقرارات المنظمة لشؤون الفتوى، بالتنسيق مع الجهات المعنية في الدولة.

4. بيان الرأي الشرعي في المسائل المتعلقة بالإساءة إلى المقدسات والتعصب المذهبي.
5. إصدار الدراسات والأبحاث ذات الصلة بمختلف مجالات الفتاوى، والتدقيق على المحتوى الإفتائي الوارد من قبل الجهات الرسمية، بما يُرسخ الهوية الوطنية، ويُعزز القيم المجتمعية.
6. تحري الأهلة في الدولة، بما في ذلك رؤية وتحري هلال شهر رمضان المبارك وشوال وذي الحجة، بالتنسيق مع الجهات المختصة.
7. تأهيل الكفاءات الإفتائية وتدريبهم وتنمية مهاراتهم، بناءً على طلب من الجهات المعنية، واستقطاب المواهب الإفتائية المتميزة ورعايتها.
8. تعزيز الشراكات الاستراتيجية ضمن اختصاصات المجلس مع مراكز الإفتاء العالمية المعتدلة والجهات الدينية، وذلك بمراعاة التشريعات النافذة في الدولة.
9. تقديم الخدمات الإفتائية للإجابة عن الاستفسارات الشرعية، وتطوير منظومة الخدمات الرقمية.
10. إبداء الرأي الشرعي حول التشريعات والقوانين ذات الصلة بالإفتاء، التي تعرض على المجلس من قبل الجهات المختصة بإصدارها.
11. أي اختصاصات أو مهام أخرى تُناط للمجلس بموجب قرار من رئيس الديوان.

أهدافه: يهدف المركز بشكل عام إلى ضبط الفتوى الشرعية، وتوحيد مرجعيتها، وتنظيم شؤونها وآليات إصدارها في الدولة، ومواجهة الإساءة إلى المقدسات والتكفير والتعصب المذهبي؛ وذلك من خلال بيان الرأي الشرعي بمثل هذه المسائل.

خدماته الرئيسة: يقدم المركز خدمة الإفتاء عبر القنوات الآتية:

أولًا: الفتاوى الهاتفية: يستقبل المجلس استفسارات الجمهور عبر الرقم المجاني (8002422) يوميًا من الساعة الثامنة صباحًا حتى الثامنة مساء، خلال أيام الدوام الرسمي، باللغات الثلاث: العربية، والإنجليزية، والأوردو. حيث يتمُّ التحدث إلى المختصين بالآراء الشرعية، للاستفسار عن الأحكام الفقهية، والحصول على إجابات موثوقة، تراعي الواقع وتستشرف المستقبل.

ثانيًا: فتاوى الرسائل النصية القصيرة (sms): خصص المجلس رقمًا مجانيا (2535)، يمكن للجمهور من إرسال أسئلتهم الفقهية عبره في جميع أيام الأسبوع، بما فيها أيام العطل، حيث يقوم المستفتي بإرسال سؤاله برسالة نصية قصيرة إلى الرقم المذكور، ثم يصله الجواب بعد تحريره من المختصين بالآراء الشرعية عبر الرسائل النصية القصيرة (sms).

ثالثًا: فتاوى الموقع الإلكتروني: يتيح المجلس للجمهور عبر العالم إرسال أسئلتهم الشرعية (24) ساعة على مدار الأسبوع حيث يرسل المستفتي سؤاله عبر نافذة إلكترونية في الموقع، ليصله الجواب عبر بريده الإلكتروني.

رابعًا: نوافذ إفتائية: يتيح المجلس جلسات إفتائية حضورية أو افتراضية للجهات والمؤسسات الحكومية أو الخاصة، مع المختصين الشرعيين، وذلك بناءً على طلب يقدم عبر الموقع الإلكتروني للمجلس.

المنهجية العلمية لإصدار الفتوى في المجلس: يعتمد المركز الفتوى الجماعية والبعد عن التعصب والتشدد.

فيجيب في أسئلة العبادات وفق مشهور المذهب المالكي، المذهب الرسمي للدولة، مع مراعاة حال المستفتي، والأخذ بالتيسير وفق المذاهب الأربعة.

وفي المعاملات المالية، يراعي المفتي حال المستفتين، أخذا بالتيسير، وفقًا للمذاهب الأربعة، أو بما أخذت به المجامع الفقهية المعاصرة.

وفيما يتعلق بالمسائل الفكرية خصص المجلس عددًا من المفتين؛ للحوار مع الشباب حول ما يدور في مواقع التواصل الاجتماعي من ثقافات وافدة، تنشر التطرف، وتشكك في الإيمان والولاء للأوطان.

واعتمد المجلس منهجية للتعامل مع الأسئلة المتعلقة بالأديان الأخرى وأتباعها تقوم على ترسيخ مفاهيم التسامح، والتعايش، والسلام، والابتعاد عن تجريح الآخر، أو الاعتداء عليه قولًا أو فعلًا.

أما الفتاوى التي ترتبط بالشأن العام، كالشؤون السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعسكرية، أو التي تنظمها قوانين نافذة في الدولة؛ فتحال على أعضاء مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي للبت فيها.

ولا يجيب المجلس عن الأسئلة التي تتعلق بتفسير الأحلام، وتقييم الجماعات والطوائف والأشخاص، وأسئلة الفوازير والمسابقات...

ويوجه المجلس المستفتي إلى مراجعة المحكمة الشرعية في مسائل الديات، والعقوبات، والتعزير، وغيره، والمسائل المعروضة على القضاء؛ لأن الفتوى بشأنها تحتاج إلى حضور المتخاصمين إلى مجلس القضاء.

وقد نظم القانون الاتحادي رقم (3) لسنة (2024م) القاضي بإنشاء المجلس؛ أمور الفتوى في الدولة، ونصت مواده على عقوبات، وغرامات، وجزاءات؛ لضبط الفتوى في الدولة، ومن ذلك:

1. يُعاقب بالغرامة التي لا تقل عن (10,000) عشرة آلاف درهم، ولا تزيد على (200,000) مائتي ألف درهم؛ كل من:

أ. أصدر فتوى شرعية عامة في الدولة في أي من المسائل والموضوعات التي يختص بها المجلس.

ب. أصدر فتوى شرعية خاصة للجمهور دون أن يكون مرخصًا أو مصرحًا له بذلك.

ج. نَشَرَ الفتاوى الشرعية في غير الأحوال المصرح بها بموجب هذا القانون أو القرارات الصادرة عن المجلس.

د. نشر للجمهور فتوى شرعية من شأنها إثارة النعرات، أو التعصب المذهبي، أو الفتنة في المجتمع.

هـ. أصدر فتوى شرعية في القضايا المتداولة أمام الجهات القضائية في الدولة، أو أصدر فتوى في المسائل أو الموضوعات المنظمة بموجب قوانين نافذة في الدولة.

و. طعن أو شكك بإحدى طرق العلانية في الفتاوى الصادرة عن المجلس.

ز. عدم التزام أي مؤسسة إعلامية أو موقع إلكتروني أو مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي في الدولة بالحصول على ترخيص أو تصريح من المجلس قبل إنشاء موقع إلكتروني لنشر الفتاوى الشرعية، أو تنظيم برنامج للفتاوى الشرعية.

2. تُضاعف الغرامة المنصوص عليها في البند (1) من هذه المادة في حالة العود.

وهكذا فقد كان للمؤسسات الرسمية في الدولة دور بارز في ضبط الفتاوى الشرعية، ومحاصرة كل فتوى شاذة، أو فكر دخيل يناهض الاعتدال، ويخالف نهج التسامح والتعايش الذي انتهجته الدولة.

* * *

الحضارة الإسلامية

تعريفها – مكوناتها – أخلاقياتها

تعريف الحضارة:

لغة: بكسر الحاء وفتحها، مأخوذة من حضر يحضر، وجمعها: حضارات، وتأتي بمعانٍ عدة، منها:

1. **الإقامة والاستقرار:** يقال: "حضر البدوي: أقام واستقر، فلم يعد يترحل"[1]. "والحضارة: الإقامة في الحضر"[2].
2. **القرب:** جاء في العين: "والحَضْرَةُ: قرب الشيء. تقول: كنت بحضرة الدار"[3].
3. **الحضور:** نقيض المغيب والغيبة، "والحاضر: الحي إذا حضروا مجتمعهم، وقوم حُضَّرٌ"[4].
4. **الشهود:** "يقال كلمته بحضرة فلان: أي: بمشهد منه"[5].

وجميع هذه التعريفات تَمُتُّ للمعنى الاصطلاحي الآتي بصلة بينة، فإن أهل الحضارة قد استقروا عليها، وثبتوا أركانهم بها، وهي مستحضرة عندهم في كل جوانب حياتهم، شاهدة على ما وصلوا إليه من تقدم وازدهار وتطور.

واصطلاحًا: عرفت الحضارة بتعريفات، منها:

قال ابن خلدون: "تفنّن في التّرف، وإحكام الصّنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه؛ من المطابخ، والملابس، والمباني، والفرش، والأبنية، وسائر عوائد المنزل وأحواله"[6].

وعرفها وِل ديورانت (Will Durant): بأنها "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي"[7].

وجاء في المعجم الوسيط: "مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني، وَمظَاهر الرقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي، فِي الْحَضَر"[8].

---

(1) أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، 511/1 (ح ض ر).

(2) ابن منظور، **لسان العرب**، 197/4 (حضر)، وأحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، 511/1 (ح ض ر).

(3) الفراهيدي، **العين:** 102/3 (حضر)، والأزهري، **تهذيب اللغة**، 118/4 (ح ض ر)، وينظر: الصاحب، إسماعيل بن عباد، **المحيط في اللغة**، 439/2 (حضر).

(4 الصاحب، إسماعيل بن عباد، **المحيط في اللغة**، 439/2 (حضر).

(5) الجوهري، **الصحاح تاج اللغة**، 632/2 (حضر).

(6) ابن خلدون، عبد الرحمن، **العِبَرودیوان المبتدأ والخبرفي تاريخ العرب والبربرومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، 144/1.

(7) ديورانت، ويليام جيمس، **قصة الحضارة**، 3/1.

(8) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، 181/1 (حضر).

ومن خلال ما تقدم يمكننا تعريف الحضارة الإسلامية، بأنها: **ما توصلت إليه المجتمعات المسلمة عبر العصور؛ من سمو روحي، وتفوق علمي وفكري، ورقي اجتماعي، وتقدم عمراني، وازدهار اقتصادي.**

مكونات الحضارة الإسلامية:

تمثل الحضارة الإسلامية إرثا ثريًّا، تفاعلت فيه عدد من المكونات، شملت الجوانب الروحية، والعلمية، والفكرية، والفنية، نبينها فيما يأتي:

أولًا: المكون العلمي والفكري: يعد هذا الجانب لبنة رئيسة في صرح الحضارة الإسلامية، فقد كان له دور محوري في نشوئها وتطورها، وقد انبثق من دعوات القرآن الكريم المتكررة إلى طلب العلم وتعليمه، وكذلك حث النبي الكريم ﷺ على ذلك، فأول آية نزلت من القرآن الكريم كانت حاثة على العلم مشجعة على القراءة، قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ**﴾ [العلق: 1]، كما مايز القرآن الكريم بين المتعلم وغيره، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: 9]، وكانت مهمة التعليم من أوائل المهام التي بعث بها النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [آل عمران: 164]، فجعل ﷺ «**طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»[9]. مما أسس لتقدم علمي وتعليمي هائل وملحوظ، فأنشئت المدارس والجامعات، والمكتبات، ودور الترجمة، وقد اهتدى العلماء في الحضارة الإسلامية بقول الله تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [العنكبوت: 20]، فشمل اهتمامهم جميع العلوم الإنسانية والكونية، من فلسفة، ومنطق، واجتماع، وطب، وفلك، ورياضيات، وكيمياء، وفيزياء، وغيرها، كما انفتحت الحضارة الإسلامية على الحضارات الأخرى؛ تستفيد منها وتثريها.

ولعل أبرز ما يؤكد هذا التوجه في الحضارة الإسلامية؛ حركة التعريب والترجمة، التي ابتدأها خالد بن يزيد بن معاوية، ونَظَّمها هارون الرشيد، وأنشأ المأمون لأجلها بيت الحكمة، واستقطب إليه علماء من مختلف الحضارات، فكان مجمعًا علميًّا، ومرصدًا فلكيًّا، ومكتبة عامة[10]، ترجمت فيه كتب العلوم والفلسفة من اللغات اليونانية والسريانية والهندية إلى اللغة العربية، من ذلك أعمال بطليموس في الرياضيات والفلك، وكتب جالينوس في الطب، وأعمال أرسطو وأفلاطون في الفلسفة، وغيرها، وقد كان لهذا التبادل العلمي والمعرفي أثر في تشكيل هوية الحضارة الإسلامية وتطورها ورقيها وازدهارها على مر العصور.

(9) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، رقم الحديث: 224، ص 97.

(10) ديورانت، **قصة الحضارة**، 177/13.

ثانيًا: المكون الفني: يشكل الفن جزءًا حيويًّا من الحضارة الإسلامية، ويمثل حالة الإتقان والإبداع التي بلغتها ووصلت إليها، حيث كان لها بصمة بارزة وهوية متميزة في مجال الفنون، وذلك انطلاقا من اهتمام الإسلام بالجمال، وحثه على الإبداع، فقد عرض لنا القرآن الكريم نماذج معمارية وهندسية فريدة، فائقة في الدقة وبالغة في الجمال، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ**﴾ [غافر: 36]. وقال تعالى عن بلقيس ملكة سبأ: ﴿**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ**﴾ [النمل: 44]. "وكان صرح سيدنا سليمان من زجاج وأحجار كريمة ثمينة"[11] وثمَّن النبي ﷺ قيمة الجمال فقال: «**إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**»[12].

ومن أهم المجالات الفنية التي اهتمت بها الحضارة الإسلامية:

1. **فن العمارة:** فإنها من أبرز الإسهامات الفنية التي قدمتها الحضارة الإسلامية، ومثلت معالم معمارية فريدة، وصروحا هندسية مميزة، ظهر ذلك جليًّا في بناء دور العبادة والقصور؛ مثل المسجد النبوي في المدينة، والمسجد الأموي في مدينة دمشق، وقصر قرطبة في الأندلس، وصومعة حسان في الرباط، وغيرها من المعالم؛ التي كانت شاهدة على الحرفية العالية والإبداع المعماري الذي وصلت إليه الحضارة الإسلامية.
2. **الخط العربي:** يعد الخط العربي من أهم فنون الحضارة الإسلامية، وقد أُولِيَ اهتمامًا خاصًا، وذلك لارتباطه بالقرآن الكريم واللغة العربية، حتى قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: "﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ**﴾ [البقرة: 269] يعني: الخط"[13]. وقيل فيه أيضًا: "الْخَطُّ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ، وَحُسْنُهُ أَحَدُ الْفَصَاحَتَيْنِ"[14]، وقد أبدع الخطاطون عبر التاريخ أشكالا جديدة للحروف العربية، تتميز بالدقة والجمال، ومن أشهر هذه الخطوط:
   - **خط الثلث:** ويستخدم في عصرنا الحالي في الكتابة الزخرفية على المساجد؛ خاصة منه الثلث المركب.
   - **خط النسخ:** الذي تكتب به المصاحف.
   - **الخط الكوفي:** الذي استخدم في النقوش على العمارة الإسلامية من مساجد وغيرها.

ومن أشهر الخطاطين الذين برزوا في عصور الحضارة الإسلامية:

- **ابن مقلة**، الذي يعد مؤسسًا لعلم الخط العربي، وصار يضرب بخطه المثل.
- **الياقوت المستعصمي**، الذي اشتهر بكتابة خط النسخ.

(11) الركابي، فليح كريم خضير، **العمارة والبيئة في القرآن الكريم**، مجلة كلية الآداب، ع 94 ص 62.

(12) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 91، 65/1.

(13) الماوردي، علي بن محمد، **أدب الدنيا والدين**، ص 60.

(14) نفسه.

- **ابن البواب**، الذي اشتهر بكتابة خط الثلث.

3. **فن الزخرفة (الأرابسك[15]):** وهي الأشكال الهندسية الدقيقة والنقوش التي اتسم بها الفن في الحضارة الإسلامية، حيث زينوا بها جدران المساجد وقبابها، ومآذنها ومحاريبها، وكذلك القصور والبيوت، واستخدموا فيها الأحجار الكريمة، والمعادن الثمينة، والخزف والفخار والزجاج والرخام والجص، وغيرها...، كما استعملوا فن الزخرفة في نسج السجاد والستائر والملابس، قال ديورانت مبرزا اهتمام الحضارة الإسلامية بفن الزخرفة: "أما الفن الإسلامي فقد أفنى قوته في الزخرفة ... لم يَفُقْهُ حتى الآن من سواه"[16].

رابعًا: المكون الأدبي: كان الأدب ركنًا أساسا في الحضارة الإسلامية، لأنها حضارة الكلمة، التي تعبر عن القيم والأفكار والمشاعر الإنسانية، ولقد اتسم الأدب في الحضارة الإسلامية بالغنى والتنوع، واشتمل على أجناس متعددة؛ من الشعر، والنثر، والقصة، والخطابة، وغيرها.

1. **الشعر:** ولد الشعر العربي مع ولادة اللغة العربية، إلا أنه ازدهر وتطور في ظل الحضارة الإسلامية تطورًا كبيرًا، فتنوعت أغراضه، وتطورت أساليبه، وارتقت موضوعاته، وقد شجع النبي ﷺ الشعر والشعراء، فهو الذي قال لشاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ**»[17].

وممن برز من الشعراء في الحضارة الإسلامية:

- **في عهد النبي ﷺ:** حسان بن ثابت، الذي اشتهر بدفاعه عن رسول الله ﷺ وبيان فضائله، ومن أشهر قصائده قصيدة مطلعها: "أغر عليه للنبوة خاتم"[18]، وكعب بن زهير الذي اشتهر بقصيدته "بانت سعاد" في مدح الرسول ﷺ، والخنساء التي اشتهرت بشعرها في رثاء أخيها صخر.
- **في العهود اللّاحقة بالعهد النّبويّ:** الفرزدق، وجرير، وأبو نواس، وأبو العتاهية، والمتنبي، وأبو تمام، وغيرهم[19].

وقد كان للشعر أثر كبير في حفظ تاريخ الحضارة الإسلامية، وتوثيق أحداثه وتطوّراته، إضافة إلى حفظ اللغة العربية وتجويدها.

---

(15) الأرابيسك: كلمة إيطالية تعني (العرب)، وتحولت إلى مصطلح عالمي، يطلق على الزخارف المكونة من فروع نباتية، وجذوع منثنية ومتشابكة ومتتابعة، وفيها رسوم محورة عن الطبيعة، ترمز إلى الوريقات والزهور. ينظر: حسن، زكي محمد، **فنون الإسلام**، ص 250.

(16) ديورانت، **قصة الحضارة**، 382/13.

(17) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2490، 165/7.

(18) حسان بن ثابت، **ديوان حسان بن ثابت**، ص 54-55.

(19) ينظر: ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي**، 46/2، و336/2، و290/3.

2. **القصة:** تمثل القصة جزءًا مهمًّا من تراث الحضارة الإسلامية، فقد كانت أداة فعالة لسرد التاريخ، ونشر القيم والأخلاق، واستخلاص الدروس والعبر والعظات، وقد نشأ الاهتمام بالقصة في الحضارة الإسلامية، انطلاقا من اهتمام القرآن الكريم بها، حيث سمى سورة كاملة بسورة القصص، وأورد فيها عددًا من قصص الأنبياء والحكماء وغيرهم، كما كان النبي ﷺ يسرد القصص المفعمة بالدروس والعبر على أصحابه، وقد تنوعت القصة عبر عصور الحضارة الإسلامية، واتخذت أشكالًا عدة، فمنها الحكايات الشعبية، والقصص الأدبية، والأخبار التاريخية، وغيرها.
3. **الخطابة:** احتلت الخطابة مكانةً مرموقةً في الحضارة الإسلامية، حيث كانت وجها من أوجه النشاط الفكري، ووسيلة للوعظ والتذكير، اكتست أهميتها من فرضها يوم الجمعة، حيث أمر الله تعالى بحضورها، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الجمعة: 9]، وتميزت الخطابة في الحضارة الإسلامية بالوضوح، والجزالة، والسجع، وكثرة الصور البلاغية، ومن أعلام الخطابة في الحضارة الإسلامية سحبان وائل الباهليّ، الذي ضرب به المثل في الفصاحة والبيان[20].

أخلاقيات الحضارة الإسلامية:

تتميز الحضارة الإسلامية باعتمادها على منظومة متكاملة من القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية، يقول ألكسيس كاريل (Alexis Carrel): "جمال الأخلاق يفوق العلم والفن، من حيث إنه أساس الحضارة"[21]. وقد استمدت الحضارة الإسلامية قيمها ومبادئها من القرآن الكريم، وهدي النبي القويم، فقد تضمن القرآن الكريم جمًّا غفيرًا من القيم الأخلاقية، والمبادئ الإنسانية، التي دعا الناس إلى التحلي بها وتمثلها، من ذلك قوله تعالى لنبيه الكريم ﷺ: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾ [الأعراف: 199]، وكان من المهام الرسالية للنبي ﷺ: تعزيز القيم وترسيخ الأخلاق، قال ﷺ: «**إنَّما بُعِثتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ**»[22]. وقد صبغت القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية جميع أبعاد الحضارة الإسلامية ومجالاتها؛ العلمية، والفكرية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها...، واندرجت في شتى مناحيها الحيويَّة، وانساقت على جميع أفرادها من بني الإنسان، بغض النظر عن عوامل العرق أو الدين أو البيئة.

ومن أهم القيم والمبادئ التي اتسمت بها الحضارة الإسلامية وقامت عليها:

(20) ينظر: جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلامي**، 414/16.

(21) كاريل، ألكسيس، **الإنسان ذلك المجهول**، ص 153.

(22) البيهقي، **السنن الكبرى**، رقم الحديث: 20819، 28/21.

أولًا: الإنسانية: فالإنسان في الحضارة الإسلامية هو العنصر الأساس والمكون الرئيس، ولذا فإنه يتبوأ مكانة سامية ومنزلة مرموقة، فله الحماية والصيانة، والتقدير والتكريم، لمجرد كونه إنسانًا، بغض النظر عن عوامل العرق، أو الجنس، أو اللون، أو الدين، أو غير ذلك، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ [الإسراء: 70]، كما أن الإنسان في الحضارة الإسلامية أخ للإنسان أيا كان، قال ﷺ: «**أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ**»[23]. وقد مهد ذلك إلى تجسيد معاني الأخوة الإنسانية بين البشرية جمعاء، وأسهم في فتح آفاق التواصل الحضاري، والتعارف الإنساني، والتبادل المعرفي والثقافي، انطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ [الحجرات: 13]، وكان لهذا كله أثر كبير وعميق في تطور الحضارة الإسلامية خصوصًا، والحضارة الإنسانية عمومًا.

ثانيًا: العدل والبر: فالعدل والبر قيمتان ساميتان، تحتلان مكانة مركزية في الحضارة الإسلامية، وتعكسان الجوهر القيمي والأخلاقي لها، وقد دعت الشريعة الإسلامية إلى التعامل بهما مع جميع الناس على حد سواء، الموافق منهم والمخالف، على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم ومشاربهم وتوجهاتهم وأجناسهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾ [النحل: 90]، وحث جل جلاله على إقامتهما مع الآخر، فقال: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة: 8]، وقد كان نتاج هذه المعاملة الحسنة التي اتسمت بها الحضارة الإسلامية، استقرارًا اجتماعيًا، وتلاحمًا إنسانيًا، وتواصلًا عالميًا، وتعاونًا حضاريًا.

ثالثًا: التسامح: اصطبغت الحضارة الإسلامية بصبغة التسامح، نظريًا وتطبيقيًا، وتمثل ذلك في "احترام الآخرين وحرياتهم، والاعتراف بالاختلافات بين الأفراد والقبول بها، وتقدير التنوع الثقافي، والانفتاح على الأفكار والفلسفات الأخرى بدافع الاطّلاع، وعدم رفض ما هو غير معروف"[24]. وانطلقت سمة التسامح في الحضارة الإسلامية من نصوص القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، فقد أقر القرآن الكريم الاختلاف، وبين أن الحكمة منه هي التعارف والتعاون وتبادل المنافع، بغض النظر عن الانتماءات العرقية أو الدينية، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ [الحجرات: 13]، وقال النبي ﷺ: «**بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**»[25].

وقد برز هذا المبدأ في أكمل صوره وتجلياته في وثيقة المدينة، التي كانت دستورًا نظم العلاقة بين سكان المدينة؛ على اختلاف طوائفهم وأديانهم وأجناسهم، وأصل لمبدإ التسامح الذي كان خصيصة من

(23) أبو داود، **سنن أبي داود**، رقم الحديث: 5116، 331/4.

(24) الجراري، عباس، **مفهوم التعايش في الإسلام**، ص 52.

(25) ابن حنبل، **مسند أحمد ابن حنبل**، رقم الحديث: 22722، 108/10.

خصائص الحضارة الإسلامية، وسمة مميزة لها على مر العصور، فمما جاء في هذه الوثيقة: « **وَإِنَّ يهودَ بَنِي عَوْف أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِيْنِ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ وَ أَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَم و أثِم، فَإِنَّهُ لَا يُوتِغُ** -أي: لا يُهلك- **إِلَّا نفسَه وأهلَ بَيْتِهِ، ... وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النَّصْرَعَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النُّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ، وَالْبِرَّدُونَ الْإِثْمِ**»[26].

وقد شهد عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولادة وثيقة أخرى، تبرهن على أصالة التسامح في الحضارة الإسلامية، وهي الوثيقة التي كتبها رضي الله عنه لأهل إيلياء، والتي اشتهرت بالعهدة العمرية، جاء فيها: "هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم؛ أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم"[27].

وثالثة تلك الوثائق: "وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك"، التي وقعها في عاصمة التسامح؛ عاصمة دولة الإمارات العربية المتحدة أبوظبي، في الرابع من فبراير عام: 2019م؛ رمزان دينيان كبيران، بابا الكنيسة الكاثوليكية البابا فرنسيس، وشيخ الأزهر الإمام الأكبر أحمد الطيب، برعاية صاحب السّمو رئيس الدولة الشيخ محمد بن زايد يحفظه الله. وقد اعتمدت هذه الوثيقةَ كُلَّ ما سبَقَها من وَثائِقَ عالَمِيَّةٍ؛ لتمثل دستورا حضاريا، ومرجعا عالميا، في الحفاظ على الأخلاق، وإقامة العدل، واحترام الكرامة الإنسانية.

ومما أكدت عليه هذه الوثيقة أن:

- التعاليم الصحيحة للأديان تدعو إلى التمسك بقيم السلام، وإعلاء قيم التعارف المتبادل، والأخوة الإنسانية، والعيش المشترك، وتكريس الحكمة، والعدل، والإحسان.
- الحريةُ حق لكل إنسان؛ اعتقادا، وفكرا، وتعبيرا، وممارسة، والتعدديةُ، والاختلاف في الدين، واللون، والجنس، والعرق، واللغة؛ حكمة لمشيئة إلهية.
- العدل القائم على الرحمة هو السبيل الواجب اتباعه للوصول إلى حياة كريمة، يحق لكل إنسان أن يحيا في كنفها.
- الحوار، والتفاهم، ونشر ثقافة التسامح وقبول الآخر والتعايش بين الناس، من شأنه أن يسهم في احتواء كثير من المشكلات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والبيئية.

(26) ابن هشام، عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية**، 504/1.

(27) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، 3/ 609.

- الحوار بين المؤمنين يعني التلاقي في المساحة الهائلة للقيم الروحية والإنسانية والاجتماعية المشتركة، واستثمار ذلك في نشر الأخلاق والفضائل العليا، التي تدعو إليها الأديان، وتجنب الجدل العقيم.
- حماية دور العبادة، من معابد وكنائس ومساجد، واجب تكفله كل الأديان، والقيم الإنسانية، والمواثيق والأعراف الدولية[28].

وهكذا نجد أن الحضارة الإسلامية قدمت نموذجًا حضاريًّا إنسانيًّا فريدًا، قامت أركانه على أسس دينية روحية، وعلمية فكرية، وقيم أخلاقية، ومبادئ إنسانية، وتجسدت في إبداعات أدبية وفنية راقية، كان لها أثر كبير وبالغ في رقي الإنسانية، وتطور الحضارة البشرية.

* * *

(28) انظر: موقع لقاء الأخوة الإنسانية، وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، متاح على الرابط (شوهد يوم 2024/05/03): https://2u.pw/mRCwqJ.

علاقة الحضارة الإسلامية بالعلوم الإنسانية والعلوم الكونية

اهتمت الحضارة الإسلامية خلال تاريخها الطويل، وعصورها المتلاحقة، بالعلوم الإنسانية والكونية على اختلاف تفرعاتها، ومختلف مجالاتها، حيث انفتحت عليها، وتفاعلت معها، واستفادت منها، وأثْرَتها وطورتها، انطلاقا من دعوة القرآن الكريم إلى طلب العلوم، والتأمل في النفس الإنسانية، والتفكر في الأبعاد الكونية؛ لتحقيق عمارة الأرض ونفع البشرية.

أولا: علاقة الحضارة الإسلامية بالعلوم الإنسانية:

كان للعلماء المسلمين عبر التاريخ عناية بالغة بالعلوم الإنسانية؛ حتى برع منهم فيها أفذاذ، وبرز منهم رواد؛ أسهموا في تقدم الحضارة الإسلامية، وإثراء المعرفة الإنسانية، ومن تلك العلوم:

1. الفلسفة: وتعني: البحث العقلي عن حقائق الموجودات، والتفكير العميق في مبادئها الجوهرية، لمعرفة المبدع الأول، وتحقيق السعادة للإنسان[1]، والفلسفة في أصل وضعها كلمة يونانية، تتكون من: (فَيْلَا) ومعناه: يحب، و(سُوفا) ومعناها: الحكمة، وعلى هذا؛ فالفيلسوف هو الشخص الذي يحب الحكمة، أو يشتغل بالحكمة[2]. وهو المعنى ذاته الذي عبرت عنه كلمة الحكمة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**﴾ [لقمان: 12]، فإنها في هذا السياق تعني الفهم الدقيق للإنسان والوجود، وترجمة ذلك إلى مبادئ ومعان عميقة، يهتدي بها الإنسان إلى تحقيق الغاية التي خلق من أجلها.

وتعد الفلسفة إحدى أهم مشَكِّلات الحضارة الإسلامية، لدورها في رقي الحضارة وتقدمها، حيث إنها تؤكد على أن العالم والحياة لهما قيمة ذاتية، وتبعًا لذلك فإنها تدفع الإنسان للارتقاء إلى أسمى قيمة يمكن الوصول إليها[3]، فالفلسفة -كما قال الكندي- هي "أعلى الصناعات الإنسانية منزلة، وأشرفها مرتبة"[4]، ذلك لأنها من العلوم الخادمة لبقية العلوم، من خلال إقامة الحجج، وتعليم الحصول على الحلول ووسائل الإقناع. كما قال الفيلسوف الألماني هيدجر: "إن العلوم لا تكون إلا إذا تقدمتها الفلسفة وقادتها"[5].

ومن هذا المنطلق اشتغل العلماء المسلمون بالفلسفة، واهتموا بها، نقلًا وترجمة، وشرحًا وتفسيرًا، ونقدًا وتصحيحًا، وإضافة وابتكارًا؛ وبنوا عليها فهمهم للموجودات، بوصفها علما عقليا تحتاج إليه كل الحضارات، من أمثال:

---

(1) ينظر: ابن رشد، محمد بن أحمد، **فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، ص 27، ، والجرجاني، **التعريفات**، ص 169.

(2) انظر: الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص822.

(3) انظر: أشفيتسر، ألبرت، **فلسفة الحضارة**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ص 113.

(4) الكندي، يوسف بن يعقوب، **كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى**، ص 77.

(5) هيدغر، مارتن، **ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلن وماهية الشعر**، ص 36.

أ. **أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي**، (ت 256هـ)، وكان يلقب بفيلسوف العرب.

ب. **أبو نصر محمد الفارابي** (ت 339هـ)، ويطلق عليه: (المعلم الثاني) بعد أرسطو.

ت. **الحسين بن عبد الله بن سينا**، (ت 428هـ)، واشتهر بلقب: الشّيخ الرئيس.

ث. **محمد بن أحمد ابن رشد الأندلسي** (ت 595هـ) وعرف بالشارح، لشرحه تراث أرسطو.

2. علم الاجتماع: وهو علمٌ يبحث في نشوء المجتمعات الإنسانية، ونُمُوّها، وطبيعتها، وقوانينها، ونُظُمِها، فيفسر سلوك أفرادها، ويدرس تفاعلاتهم، بهدف ديمومة الكيان الاجتماعي وتطوره[6].

وعلم الاجتماع من أهم ما يساعد المجتمعات على بناء حضارتها وفق منهج منضبط؛ يدرس العوامل المؤثرة في السلوك الإنساني، ويوجه إلى فهم القضايا الاجتماعية، وكيفية تأثيرها على المجتمعات، ويساعد على فهم أسباب المشكلات الاجتماعية، وتطوير سبل حلها، كما يعين على فهم الثقافات المختلفة؛ لبناء حضارة إسلامية أكثر تسامحا وتماسكا، وعدالة وفاعلية[7].

ومن أوائل العلماء المسلمين الذين اهتموا بهذا العلم:

أ. **أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه** (ت 421هـ)، صاحب كتاب: (تجارب الأمم وتعاقب الهمم)؛ الذي رصد فيه الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة العباسية.

ب. **عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي** (ت 808هـ)، أشهر علماء الاجتماع المسلمين، صاحب: (مقدمة ابن خلدون) الشهيرة.

3. علم التاريخ: وهو العلم الذي يوثق أخبار الماضين، ويسجل أحداث أيامهم، ويُوقِفُ على أسبابها، وسياقاتها، وتأثيراتها على الحضارات؛ بهدف الاطلاع على التجارب الإنسانية المختلفة، وفهم السنن الكونية في قيام الحضارات وازدهارها، وتوظيف ذلك في بناء حاضر متقدم، ومستقبل مزدهر، قال ابن فضل الله العمري: "لولا التاريخ لماتت الدول بموت زعمائها، وخفي عن الأواخر حال قدمائها"[8]. فإن التاريخ متصل الحلقات مترابط المراحل، يبني اللاحق فيه على عمل السابق، قال الماوردي: "ولولا أن الجيل الثاني ينتفع بما أنشأه الأول؛ لافتقر أهل كل عصر إلى إنشاء ما يحتاجون إليه"[9].

ولأهمية التاريخ في بناء الحضارات؛ اهتمت به كل الكتب السماوية، ومنها القرآن الكريم؛ الذي حثنا على دراسة تاريخ الأمم والأقوام والحضارات، وقص علينا من أنبائهم وأخبارهم، قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى**

(6) ينظر: أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، 393/1، وعبد الجبار، نبيل عبد الحميد، **تاريخ الفكر الاجتماعي**، ص 178.

(7) ينظر: النبالي، عبد الله العبد، **علم الاجتماع**، ص 151.

(8) العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 293/12.

(9) الماوردي، علي بن محمد، **أدب الدنيا والدين**، ص 144.

﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ [هود: 100]، فأورد لنا قصص الأنبياء مع أقوامهم، وذكر عددًا من الأمم وحضارتهم، كحضارة سبأ، وحضارة ذي القرنين.

وقد التقط علماء الحضارة الإسلامية هذه الإشارة القرآنية، فبرز منهم مؤرخون بارعون، ألفوا موسوعات تاريخية ضخمة، وثقوا فيها وقائع التاريخ الإنساني، وأحداث الماضي البشري، ومن أبرزهم:

أ. **محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)**، في كتابه (تاريخ الرسل والملوك)، الذي أورد فيه التاريخ الإنساني من بدء الخلق إلى عصره.

ب. **علي بن محمد ابن الأثير (ت 630هـ)**، في كتابه (الكامل في التاريخ)، الذي جمع فيه أخبار الملوك والأعيان والعلماء والفضلاء في الشرق والغرب، منذ أول الزمان إلى عصره.

ت. **إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)**، في كتابه (البداية والنهاية)، الذي يعد عملًا موسوعيًّا ضخمًا، أرخ لأحداث بدء الخليقة وما تلاها إلى عصره، إضافة إلى الأحداث المستقبلية المأثورة.

ث. **عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808هـ)**، في كتابه (العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر). وهو من أبرز الدواوين التاريخية، تحدث فيه مؤلفه عن تاريخ الأمم، وما فيه من دروس تفيد الحضارات الإنسانية.

4. علم الآثار: وهو العلم الذي يُعنى بالموروثات المادية المحسوسة التي خلفها الإنسان، واكتسبت قيمتها الأثرية من تراكم الزمن عليها، كالأبنية، والتماثيل، والنقود، وغيرها؛ للتعرف على مسيرة التطور التي سلكتها الحضارة البشرية في عصورها الماضية، واستخلاص قيمها العلمية والثقافية والجمالية.

ولقد اهتم المسلمون عبر عصور الحضارة الإسلامية بالآثار، ومن ذلك ما نقلته لنا كتب التاريخ من عناية ولاة الأمور بها؛ حفظًا وترميمًا، قال البغدادي: "وما زالت الملوك تُراعي بقاء هذه الآثار، وتمنع من العبث فيها والعبث بها...، وكانوا يفعلون ذلك لمصالح؛

منها: لتبقى تاريخًا يتنبه بها على الأحقاب،

ومنها: أنها تكون شاهدة للكتب المنزلة، فإن القرآن العظيم ذكرها وذكر أهلها، ففي رؤيتها خبر الخبر، وتصديق الأثر،

ومنها: أنها تدل على شيء من أحوال من سلف، وسيرتهم، وتوافر علومهم، وصفاء فكرهم، وغير ذلك"[10].

كما نقلت إلينا كتب التاريخ عناية العلماء بالآثار؛ تدوينًا وتوثيقًا، ومن أبرزهم:

1. **محمد بن عبد الله الأزرقي** (ت 250هـ)، في كتابه المشهور (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار).

(10) البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف، **الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر**، ص 34.

2. **ابن فضل الله العمري** (ت 749هـ)، الذي اهتم بآثار مصر، وعجائبها، وحسن صنعتها، في كتابه (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار).
3. **أحمد بن علي المقريزي** (ت 845هـ)، الذي ألف كتابَي (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، و(آثار البلاد وأخبار العباد)، وهما من أهم كتب الآثار، ذكر فيهما كثيرًا من البلدان، ووصف ما فيها من آثار القدماء، وما تحتويه من ذخائر مدفونة.

ثانيا: علاقة الحضارة الإسلامية بالعلوم الكونية:

اعتنى العلماء المسلمون عبر تاريخهم الحضاري بالعلوم الكونية عناية كبيرة، دراسة وتطويرًا، مما أسهم في الرقي بالحضارة الإسلامية، ومن تلك العلوم:

1. **علم الفلك:** وهو العلم الذي يهتم بدراسة الأجرام السماوية؛ من نجوم، وكواكب، ومجرات، وطرق تكونها، وتركيبها، وتطورها، وخصائصها، وحركتها، وأبعادها، وعلاقة بعضها ببعض، وما لها من تأثير في الأرض[11].

وكان العرب يسمون علم الفلك بأسماء عدة، أشهرها: (علم الهيئة)، (وعلم الأنواء)، (وعلم أحكام النجوم)[12].

ولعلم الفلك دور كبير في الحضارة الإسلامية؛ إذ هو أحد سبل تقدمها، وازدهارها، وصلتها بالحضارات الأخرى؛ ذلك أنه يُمَكِّنُ من فهم الكون وتطوره ومستقبله، ومعرفة الأوقات والتواريخ، ويعين على تحديد المواقع ودراسة المناخ.

ولقد اهتم العلماء المسلمون بعلم الفلك، وبحثوا فيه وفق قواعد علمية خالصة[13]، خاصة بعد ترجمة كتب الفلك اليونانية إلى اللغة العربية، فتوصلوا لعدد من الحقائق العلمية، التي لم تكن شائعة آنذاك؛ من مثل: كروية الأرض، ودورانها.

وكان منطلق اهتمامهم بهذا العلم أمران:

أ. اهتمام القرآن الكريم: فقد ذكر القرآن الكريم عددًا من الأجرام السماوية، قال تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ**﴾ [النحل: 12]، وأشار إلى حركتها وتعاقبها ومنازلها، قال سبحانه: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [يس: 38-40]، كما نبه إلى ثمراتها وفوائدها، فقال: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾ [الأنعام: 97].

(11) ينظر: مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، 1002/2، ومجموعة من المؤلفين، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، 7397/24.

(12) مكتبة الإسكندرية، **إسهامات الحضارة العربية والإسلامية في علوم الفلك، من و اقع المخطوطات العلمية بمكتبة الأزهر**، 2006م، ص 8-9.

(13) ديورانت، **قصة الحضارة**، 183/13.

ب. ارتباط الشعائر الإسلامية بحركة الكواكب: فإن تحديد القبلة للصلاة، ومعرفة مواقيتها، ودخول شهر رمضان وخروجه، وكذلك أشهر الحج؛ كل ذلك مرتبط بحركة القمر، قال الله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَ اقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾ [البقرة: 189].

ومن أبرز علماء الفلك في الحضارة الإسلامية:

أ. **محمد بن جابر البتَّاني** (ت 317هـ)، صاحب كتاب (الزيج) أي: الجداول الفلكية، الذي صحح فيه الجداول الفلكية لبطليموس، وكتاب: (معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك).

ب. **محمد بن أحمد الخوارزمي** (ت 387هـ)، أحد مؤسسي علم الفلك، ومن أهم كتبه: (زيج الخوارزمي)، الذي يضم جداول فلكية دقيقة.

ج. **أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم البصريّ** (ت 430هـ)، الملقب ببطليموس الثاني، قدم إسهامات في البصريات تأثر بها علم الفلك.

د. **عمر بن إبراهيم الخيام** (ت 515هـ)، عُرف بإصلاحه للتقويم الجلالي[14] الذي كان أكثر دقة من التقويم اليولياني (الرومي)[15].

هـ. **محمد بن أحمد البيروني** (ت 440هـ)، صاحب كتاب: (الاستيعاب في صنعة الإسطرلاب)، الذي وضع فيه نظرية بسيطة لقياس محيط الأرض بدقة لا تختلف كثيرًا عن القيمة المعروف حاليًا.

2. علم الطب: وهو العلم الذي يهتم بالأدواء والأمراض والعلل البدنية والنفسية، ويسعى إلى الوقاية منها، وإيجاد أدوية لها، وعلاجات تناسبها.

ويحتل هذا العلم مكانة خاصة في أي حضارة، إذ هو المحك الذي يقاس به تقدمها؛ لذا فقد شغل حيزا كبيرا من اهتمام الحضارة الإسلامية، استنادًا إلى القرآن الكريم، والهدي النبوي القويم، ففي القرآن الكريم دعوة صريحة إلى العناية بالصحة؛ رعاية ووقاية وعلاجًا، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوا**﴾ [الأنعام: 141]، قال السمرقندي: "قد جمع الله الطب كله في هذه الآية"[16]. وكذلك نجد في الهدي النبوي حثا على الحفاظ على الصحة، كما في قول النبي ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**»[17]، كما نجد فيه

(14) هو تقويم شمسي دقيق، تم تطويره في القرن الحادي عشر الميلادي، بأمر من السلطان جلال الدين ملك شاه السلجوقي. ينظر: مجموعة من المؤلفين، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، 2103/7.

(15) وهو التقويم الذي فرضه يوليوس قيصر سنة 46 ق.م، ينظر: مجموعة من المؤلفين، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، 9268/30.

(16) السمرقندي، نصر بن محمد، **بحر العلوم**، 511/1.

(17) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2664، 56/8.

الحض على سلوك سبل العلاج، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «**يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً**»[18].

وقد حول المسلمون عبر تاريخهم الحضاري هذه التعاليم الربانية والتوجيهات النبوية إلى واقع عملي، فاهتم حكامهم وعلماؤهم بعلم الطب أيما اهتمام.

أ. **فمن اهتمام الحكام بعلم الطب:**

- بناء مدارس طبية، ومن أشهرها: المدرسة الذاخورية في دمشق؛ التي تُعرف أيضًا باسم (البيمارستان الذاخوري)، والتي أسست سنة (565هـ).
- بناء المستشفيات في المجالات الطبية المختلفة؛ الجسدية والنفسية، وكانت هذه المستشفيات تضم مرافق صحية، تشمل مآوي العجزة والعميان، ومحطات الإسعاف[19]، تقول زيغريد هونكه (ت 1999م): "إن كل مستشفى في أيامنا هذه مع ما فيه من ترتيبات ومختبر، إنما هي نصب تذكارية للعبقرية العربية"[20].
- بناء الصيدليات، والعناية بها، ومراقبة أدويتها، تقول زيغريد هونكه: "كل صيدلية ومستودع أدوية في أيامنا هذه، وكل حبة من حبوب الدواء؛ إنما هي تذكار صغير ظاهر يذكرنا باثنين من أعظم أطباء العرب ومعلمي بلاد الغرب"[21].
- تعيين موظفين لمتابعة الإجراءات الصحية في الأسواق.
- سن التشريعات التي تكفل المحافظة على البيئة من التلوث الممرض.

وغيرها من الإجراءات التي تحافظ على صحة الناس وسلامتهم.

ب. **ومن اهتمام العلماء بعلم الطب:** أنهم ألفوا فيه مؤلفات، وأسسوا فيه نظريات، وترجموا الكتب التي اعتنت به من الحضارات الأخرى.

ومن أبرز علماء الطب والصّيدلة المسلمين:

أ. **سليمان بن حسان، المعروف بابن جلجل، (ت بعد: 377هـ)**، طبيب قرطبة، صاحب كتاب (طبقات الأطباء والحكماء)، وكتاب (تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس)[22].

---

(18) أبو داود، **سنن أبي داود**، رقم الحديث: 19599، 529/19، والترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 2038، 561/3.

(19) انظر: القفطي، علي بن يوسف، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ص 150

(20) هونكة، زيغريد، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص 334، 335.

(21) هونكة، زيغريد، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص 334، 335.

(22) انظر: القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ص 190، والخزرجي، أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص 493.

ب. **محمد بن أحمد البيروني (ت 440هـ)**، صاحب "كتاب (الصيدلة في الطب)، استقصى فيه معرفة ماهيات الأدوية، ومعرفة أسمائها، واختلاف آراء المتقدمين، وما تكلم كل واحد من الأطباء وغيرهم فيها، وقد رتبه على حروف المعجم"[23].

ج. **عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأشبيلي (ت 557هـ)**، صاحب كتاب (الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد)[24].

د. **الحسين بن عبد الله بن سينا، الملقب بالشّيخ الرئيس، (ت 428هـ)**، برز في الطب "حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون عليه علم الطب"[25]. له عدة تصانيف في الطب، من أهمها: (القانون)، وهو مرجع هام من مراجع الطب التاريخية، بقي مُعوَّلًا عليه في علم الطب وعمله ستة قرون، وترجم إلى لغات كثيرة، وكان يدرس في مدارس أوروبا زمنًا[26].

هـ. **علي بن أبي الحزم ابن النفيس، (ت 687هـ)**، وهو "أعلم أهل عصره بالطب"[27]، من كتبه: (الشامل في الطب)، و(بغية الطالبين وحجة المتطببين)، و(الموجز)، وهو اختصار لقانون ابن سينا.

و. **محمد بن زكريا الرازي، (ت 313هـ)**، أحد الأئمة في صناعة الطب، له تصانيف كثيرة جدًا في الطب، ومن أهمها: (الحاوي في الطب)، وهو أجَلُّ كتبه، ترجم إلى اللاتينية. و(الفصول في الطب)[28].

3. **علم الرياضيات:** هو علم يُعنى بدراسة الأعداد، والكميات، والأشكال، والتراكيب، والتغيرات التي تحدث لها، والعلاقات المنطقية بينها، ويشمل: الجبر، والهندسة، والإحصاء، وغيرها.

ولقد اهتمت جميع الحضارات -ومنها الحضارة الإسلامية- بالعلوم الرياضية، بوصفها عَصَبَ الحضارة الإنسانية، وإحدى أهم المؤشرات على تطورها، وأبرز الأدلة على تميزها وتقدمها، لأنها تدخل في جل مجالات العلوم؛ من فلك، وفيزياء، وعمارة، وهندسة، وكيمياء، واقتصاد، وغيرها.

ومن أهم من أنجبتهم الحضارة الإسلامية من علماء الرياضيات:

(23) الخزرجي، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص 459.

(24) انظر: الخزرجي، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص 517، ودشدش، عصمة عبد اللطيف، **الأندلس نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**، ص 441.

(25) الخزرجي، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص 438.

(26) الزركلي، **الأعلام**، 242/2.

(27) السابق، 271/2.

(28) الزركلي، **الأعلام**، 129/6-130.

أ. **محمد بن أحمد الخوارزمي** (ت 387هـ)، مؤسس علم الجبر، وصاحب كتاب (المختصر في حساب الجبر والمقابلة)، الذي كان له تأثير كبير على تطوير علم الرياضيات[29].

ب. **محمد بن الحسن بن الهيثم** (ت 430هـ)، قال الصفدي: "لم يماثله أحدٌ من أهل زمانه في العلم الرياضي"[30]. من أبرز كتبه في الرياضيات: (مساحة المجسم المتكافئ) نشر بالألمانية[31].

ت. **أحمد بن محمد ابن البناء** (ت 710هـ)، من كتبه: (المقالات) في الحساب، و(تلخيص أعمال الحساب)[32].

4. **علم الفيزياء:** ويسمى (علم الطبيعة)، وهو العلم الذي يبحث في خصائص المواد، وطبيعتها، وبنيتها، ومكوناتها، وتفاعلاتها، ويدرس الظواهر الحركية للأجسام، والقوى المؤثرة، كما يدرس سلوك الأشياء تحت التأثيرات المختلفة، بهدف فهم ظواهر الكون الطبيعية وتفسيرها، من خلال التجربة، والملاحظة، والقياس، والتحليل، ومن ثم صياغة مبادئ شاملة لها[33].

ولقد كان لعلم الفيزياء بتشعباته المختلفة -وما زال- دور أساس في إقامة الحضارات، ومنها الحضارة الإسلامية، إذ إن فهم الطبيعة يساعد على الابتكار والاختراع، ومن ثم التطور والتقدم، لذا نجد علماء المسلمين قد أولوه عنايتهم، وصرفوا إليه همتهم، مهتدين بالآيات القرآنية الكثيرة، الداعية إلى النظر والتأمل والتحليل، كقول الله تعالى: ﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [يونس: 101]، فكان ممن برز منهم في هذا العلم:

أ. **عبد الرحمن الخازني** (ت 550هـ)، صاحب كتاب (ميزان الحكمة)؛ الذي يعد موسوعة علمية في علم الميكانيكا (حركة الأجسام أو سكونها تحت تأثير قوى معينة).

ب. **هبة الله ابن ملكا البغدادي** (ت 560هـ)، صاحب كتاب (المعتبر في الحكمة)؛ الذي تناول فيه عدة قوانين فيزيائية، منها: القانون الثالث من قوانين الحركة، الذي ينص على أن لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه.

ت. **محمد بن الحسن بن الهيثم** (ت 430هـ)، "واضع علم الفيزياء على أسسه العلمية الصحيحة، صاحب كتاب (المناظر) الذي يحتوي على اكتشافات كثيرة في الفيزياء".

5. **علم الكيمياء:** ويسمى (الإكسير)، وهو العلم الذي يدرس المادة، وخواصها، وبِنيتها، وتركيبها، وسلوكها، والتغيُّرات التي تطرأ عليها، والتفاعلات التي تمر بها لإنتاج مواد جديدة[34]. وقد ذكر الخوارزمي "أن لفظة الكيمياء

(29) ينظر: هيل، دونالد، **العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية**، ص 37.

(30) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، **الوافي بالوفيات**، 11/ 321.

(31) القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ص 129.

(32) الزركلي، **الأعلام**، 1/221-222.

(33) ينظر: عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، 3/1759.

(34) ينظر: القنوجي، صديق بن حسين، **أبجد العلوم**، ص 456.

أصلها عربي، مشتقة من كمي يكمى إذا ستر وأخفى"[35]، ولعل هذا سبب تسمية الرازي كتابيه في الكيمياء، بـ(الأسرار) و(سر الأسرار)، وقال بعض الباحثين: "مشتقة من الكم أو الكمية؛ وذلك لأن علماء المسلمين كانوا يقولون: إذا أضفنا كمية من هذه المادة إلى كميتين أو ثلاثة من المادة الثانية؛ نتج كذا.

ولعلم الكيمياء أثر بالغ في الحضارة الإسلامية والإنسانية، لأن له مدخلًا في كثير من العلوم؛ كالطب، والصيدلة، والزراعة، كما يعد حجر الزاوية في تطوير عدد من الصناعات والمهن.

ولقد اهتم العلماء في الحضارة الإسلامية بعلم الكيمياء، حتى قال بعض الباحثين: "إنهم هم الذين ابتدعوه بوصفه علمًا من العلوم؛ ذلك أنهم أدخلوا إليه الملاحظة الدقيقة، والتجربة العلمية، والعناية برصد نتائجها، بعد أن كان قائمًا على الفروض الغامضة"[36].

وكان منطلق اهتمامهم بهذا العلم؛ دعوة القرآن إلى معرفة نشأة الخلق، قال تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**﴾ [العنكبوت: 20]، ومن منطلقاتهم أيضًا: ذكر القرآن الكريم كثيرًا من العناصر الكيميائية، كالذرة، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [يونس: 61].

ومن أبرز علماء الكيمياء في الحضارة الإسلامية:

أ. **خالد بن يزيد** (ت 90هـ)، وهو أول من تكلم في علم الكيمياء، ووضع فيه كتبا، من أهمها: (السر البديع في فك الرمز المنيع)، و(فردوس الحكمة في علم الكيمياء)، و(مقالتا مريانوس الراهب)[37].

ب. **جابر بن حيان** (ت 200هـ)، الملقب بأبي الكيمياء، الذي وضع أسس المنهج التجريبي في علم الكيمياء، حتى صار الكيمياء يعرف في أوروبا بـ(صنعة جابر)[38].

ت. **محمد بن زكريا الرازي** (ت 313هـ)، من أهم كتبه: (سر الأسرار)؛ الذي اشتمل على معرفة العقاقير، والآلات، والتدابير(التجارب).

وهكذا فقد كان للعلماء المسلمين إسهامات في شتى العلوم، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه الإسهامات في المحور الآتي.

* * *

(35) الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، **مفاتيح العلوم**، ص 277.

(36) ديورانت، **قصة الحضارة**، 187/13.

(37) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، 1531/2، وابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 224/2.

(38) ينظر: ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، 666/1.

إسهامات المسلمين
في بناء الحضارة الإنسانية

لقد كان للمسلمين جهود كبيرة، وإسهامات عديدة؛ في بناء الحضارة الإنسانية، وذلك في شتى العلوم والمعارف، من أبرزها: الطب، والرياضيات، والفيزياء، والجغرافيا، والفلك، وغيرها، يقول جوستاف لوبون: "يُعَدُّ الطبُّ والفلك والرياضيات والكيمياء أهمَّ العلوم التي عُنِي بها العرب، وأتم العرب أعظم اكتشافاتهم في هذه العلوم، وتُرجمت مؤلفات العرب الطبية في جميع أوروبا، ولم يَتْلَف قسمٌ كبير منها كما أصاب كتبَهم الأخرى"[1].

أولًا: الطب:

كان للعلماء المسلمين في الحضارة الإسلامية دور كبير في تقدم الطب وتطوره، وإسهامات كثيرة في مختلف تخصصاته، مما كان له أثر بالغ في مختلف الحضارات الإنسانية وما زال، ومن أهم تلك الإسهامات:

1. **تأسيس المستشفيات:** وكانت تعرف عندهم بالبيمارستانات، ويعد الوليد بن عبد الملك، أول من أسس مستشفى عام (88هـ)، لمعالجة مرضى الجُذَام[2]. كما تنوعت المشافي في الحضارة الإسلامية، فكان منها مستشفيات ثابتة، وأخرى متنقلة، كتلك التي كانت في عهد السلطان محمود السلجوقي (ت 525هـ) وكانت مزودة بالآلات العلاجية والأدوية، ويرافقها عدد من الأطباء[3]، كما لم تكن المستشفيات مجرد أماكن للعلاج؛ بل كانت كليات طبية، تحتوي على مكتبات ضخمة، ويتعلم فيها الطلاب.

ومن أهم المستشفيات في الحضارة الإسلامية:

- **المستشفى العضدي**: في بغداد، أنشأه عضد الدولة ابن بويه عام (371هـ)، وكان يتناوب عليه 24 طبيبًا على مدار 24 ساعة، ويضم مكتبة علمية، وصيدلية، ومطابخ.
- **المستشفى النُّوري**: في دمشق، أنشأه نور الدين محمود الشهيد سنة (549هـ)، وبقي يعمل قرابة 800 عام.
- **المستشفى المنصوري**: في القاهرة، أنشأه سيف الدين قلاوون سنة (683هـ)، وكان يستوعب في اليوم الواحد علاج أكثر من أربعة آلاف مريض.

(1) جوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ص 503.

(2) محمد كرد علي، ومحمد بن عبد الرزاق، **خطط الشام**، 156/6.

(3) ابن القفطي، **تاريخ الحكماء**، ص 405.

- **مستشفى مراكش**: في المغرب، أنشأه يعقوب المنصور (ت 595هـ)، وكان على مستوى عال جدًّا من حيث الإمكانيات الطبية، والأدوية الحديثة، والأطباء المهرة[4].

2. **إجراء العمليات الجراحية:** وكانوا يسمونها (صناعة اليد)[5]، ولقد برعوا فيها إلى حد كبير، حيث تمكنوا من استخدام التخدير عن طريق الاستنشاق، باستعمال الإسفنج المخدر[6]. وكانوا يسمونه (المُرقِّد)، وكذلك استخدموا الإنعاش، من خلال دفع كميات من الهواء عبر الرئتين بالضغط المتناوب[7]، كما استعملوا الأوتار الجلدية في خياطة الجروح، والتخييط "بإبرتين وخيط واحد مثبت بهما"[8]، مما مكنهم من إجراء عدد من العمليات الجراحية، من أهمها:
   - عملية فتح الحنجرة، التي أجراها الطبيب الزهراوي[9].
   - استخراج الماء الأزرق والماء الأبيض من العين.
   - العمليات التجميلية، كتصحيح تشوهات الشفة والأنف والأذن[10].

ومن أشهر الجراحين المسلمين: ابن سينا، فقد ذكرت كتب التاريخ أنه كان جراحًا ماهرًا، وقام بكثير من العمليات الجراحية[11].

3. **ابتكار الأدوات الطبية:** ابتكر العلماء المسلمون العديد من الأدوات الجراحية، التي استخدموها في عملياتهم، ومن أبرز هؤلاء العلماء: أبو القاسم الزهراوي، كما سجل ذلك في كتابه (التصريف لمن عجز عن التأليف). ومن أهم هذه الأدوات:

- **المباضع:** وهي آلات حادة تستخدم في العمليات الجراحية، ولها أنواع وأشكال كثيرة بحسب استخداماتها.
- **العتلة:** تستخدم لقلع بقايا جذور الأضراس المكسورة.
- **المسعط:** وهو آلة تقطر الدهن في الأنف، يتخذ من الفضة أو النحاس[12].

(4) ينظر: مجموعة من المؤلفين، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، 2071/7.

(5) حسين، محمد كامل، **تاريخ الطب والصيدلة عند العرب**، ص 97.

(6) مجموعة من علماء العالم الإسلامي، **الموسوعة العربية العالمية**، ص 415

(7) ابن أبي صبيعة، أحمد بن القاسم، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، 167/3-168.

(8) زيجرد هونكة، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص 278.

(9) الدفاع، **رواد علم الطب في الحضارة الإسلامية**، ص 105، وقاسم، محمود الحاج، **الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات**، ص 152.

(10) الرازي، **الحاوي**، 225/3.

(11) قاسم، **الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات**، ص 148.

(12) السابق، ص 148-151.

4. **اكتشافات طبية:** اعتمد الأطباء المسلمون المنهج التجريبي في الطب، مما أوصلهم إلى اكتشافات كثيرة، قال ابن سينا: "وتعهدتُ المرضى، فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف"[13]. ومن أهم الاكتشافات الطبية للأطباء المسلمين:
   - مرض الجدري، ووصف الأعراض التي تميز بينه وبين مرض الحصبة[14].
   - الدورة الدموية الصغرى، على يد ابن النفيس، الذي سجلها في كتابه (شرح تشريح القانون)[15].
5. **تطوير الطب بالاعتماد على علم التشريح:** يعد الرازي أول من جعل أساس علم الطب قائما على التشريح، وقد ألزم الأطباءُ المسلمون الجرَّاح أن يكون مُلمًّا بعلم التشريح ومنافع الأعضاء ومواضعها، وقد برع ابن طفيل (ت 581هـ) في تشريح الأجسام الميتة والحية[16].
6. **تأليف كتب طبية:** من أهمها:
   - **(فردوس الحكمة)**، لعلي بن سهل الطبري (ت 247هـ)، وهو كتاب ضخم في وظائف الأعضاء، وعلم الصحة، والعلاج، وغير ذلك[17].
   - **(القانون في الطب)، لابن سينا** (ت 427هـ) "وهو موسوعة طبية كاملة، بالمعنى العلمي الدقيق للكلمة"[18].
   - **(التصريف لمن عجز عن التأليف)**، لأبي القاسم الزهراوي (ت بعد 400هـ)، وهو عبارة عن موسوعة كاملة في علم الطب[19].
   - **(التذكرة)**، لعلي بن عيسى الكحال (ت بعد 500هـ)، وهو أعظم طبيب عيون في زمنه[20].
   - **(الموجز)**، لابن النفيس (ت 687هـ)، اختصر به قانون ابن سينا.

(13) ابن أبي أصيبعة، **طبقات الأطباء**، 73/3.
(14) باشا، أحمد فؤاد، **التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة**، ص 181.
(15) السابق، ص 179.
(16) مظهر، جلال، **حضارة الإسلام و أثرها في الترقي العالمي**، ص 344.
(17) ديورانت، **قصة الحضارة**، 195/13.
(18) ابن النفيس، علي بن أبي الحزم، **الشامل في الصناعة الطبية**، 6/1 (مقدمة التحقيق).
(19) لوبون، غوستاف، **حضارة العرب**، ص 5061.
(20) ابن أبي صبيعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص 333.

ثانيًا: الفيزياء:

ورث علماء الحضارة الإسلامية علم الفيزياء من اليونانيين؛ الذين كان لهم قصب السبق في إنشاء كثير من نظرياته، فأخذوا من علمهم، واستفادوا من كتبهم، ثم أثروا وطوروا، وبثوا ونشروا؛ في تكامل حضاري مثمر، وتواشج ثقافي مفيد.

ومن أهم المجالات التي اشتغل بها الفيزيائيون المسلمون: علم البصريات، والميكانيكا، كما تقدم، ومن أبرز إسهاماتهم الفيزيائية:

1. **اختراع مقياس الفترات الزمنية:** فقد "اخترع ابن يونس الصدفي المصري (ت 399هـ) الرقاص الذي استخدمه لقياس الفترات الزمنية أثناء رصده للنجوم، وذلك في تجاربه الفيزيائية"[(21)].
2. **اكتشاف قانون الجاذبية:** لقد كانت هناك بوادر علمية لاكتشاف قانون الجاذبية لدى علماء المسلمين، ومن ذلك قول محمد بن أحمد الإدريسي (ت 560هـ): "الأرض جاذبة لما في أبدانها من الثقل، بمنزلة حجر المغناطيس الذي يجذب الحديد"[(22)].
3. **تطوير النظريات الفيزيائية:** لقد أبدع عبد الرحمن الخازني (ت 550هـ) في حقل الفيزياء، وخاصة موضوعي الحركة (الديناميكا)، وعلم السوائل الساكنة (الهيدروستاتيكا) وعلم الكثافة النوعية أيما إبداع.
4. **تأليف كتب فيزيائية:** ألف علماء الفيزياء المسلمين عدة مؤلفات في فروع علم الفيزياء، من أهمها:

- **كتاب (المناظر)**، لمحمد بن الحسن بن الهيثم (ت 430هـ)، وهو أحد الموسوعات العلمية، التي تعد مرجعًا في تاريخ تطور علم البصريات، أحد فروع علم الفيزياء، تناول فيه صاحبه كيفية الإبصار بالجملة، وتفصيل المعاني التي يدركها البصر، وكيفية إدراك البصر بالانعكاس عن الأجسام الثقيلة، ومواضيع الخيالات، وهي الصور التي ترى في الأجسام الثقيلة، وأغلاط البصر فيما يدركه بالانعكاس، وكيفية إدراك البصر بالانعطاف من وراء الأجسام[(23)].
- **كتاب (ميزان الحكمة)**، لعبد الرحمن الخازني (ت 550هـ)، وهو الجامع للموازين، ووجوه الوزن بها، وما يتعلق به، ضمنه صاحبه دراساته في قوى اتزان الموائع الساكنة، وتطرق فيه لنظريات قوى الاحتكاك والموائع، وفي الكتاب أوصاف لبعض الآلات؛ كالآلات الخاصة باتزان

(21) السابق، ص 112.

(22) الإدريسي، محمد بن عبد الله، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ص 11.

(23) ينظر: ابن الهيثم، الحسن، **كتاب المناظر**، ص 749 – 780.

الموائع، والموازين المتخصصة، والموازين القياسية وغيرها، كما أن فيه تعريفًا لبعض المصطلحات الفيزيائية، مثل: الوزن النوعي، والثقل، وغيرها.

- **كتاب (المعتبر في الحكمة)**، لهبة الله ابن ملكا (ت 560هـ)، وهو من أشهر كتبه، تحدث فيه عن النبات والحيوان، والحكمة الإلهية، والفيزياء... تطرق فيه لتعريف الفيزياء (علم الطبيعة)، ولحركة الأجسام، وغيرها من الموضوعات الفيزيائية.

ثالثًا: الرياضيات:

برع العلماء المسلمون في العلوم الرياضية، وكان لهم فيها إضافات جليلة، فقد قدموا فيها مخترعات، وطوروا نظريات، وصنفوا مؤلفات، ومن أبرز إسهاماتهم:

1. **تطوير الأرقام:** فقد كان العرب يعتمدون على الحروف في الحساب، ويجعلون لكل حرف رقمًا خاصًّا به، إلى أن فتح محمد بن إبراهيم الفزاري (ت 180هـ) الطريق أمام الخوارزمي إلى معرفة الأرقام الهندية، فطورها، وبسَّطها، وأدخل عليها الكثير من التعديلات، فحلت محل الحساب بالأحرف، وبناها على نظرية الزوايا الحادة أو القائمة، فالرقم (1) له زواية واحد، و(2) زاويتان، ويطلق عليها: (الغبارية)، لأنها كانت تكتب على لوح من الرمل عند إجراء العمليات الحسابية، وصورتها: (1.2.3.4.5...).
2. **اختراع الصفر:** كان الهنود يستعملون الفراغ دليلًا على الخانة التي ليس فيها رقم، وكان من الصعوبة إيجاد الخانات الفارغة، مما أحوجهم إلى استعمال المربعات لتحديدها، فابتكر الخوارزمي رسم الصفر (0) في خانة الفراغ، مما كان له أثر جليل في تسهيل العمليات الحسابية، ويعد الرياضيون الصفر أعظم اختراع وصلت إليه البشرية[24].
3. **النظام العشري:** وهي طريقة في الحساب ابتكرها الخوارزمي، بحيث يكون للرقم قيمتان، قيمة في نفسه، وقيمة بالنسبة للخانة الصفرية التي يوجد فيها، فالرقم (9) إذا كان في الخانة الثانية فهو (90)، وإذا كان في الثالثة فهو (900)، وهكذا، مما ارتقى بعلم الرياضيات والعمليات الحسابية ارتقاءً عظيمًا.
4. **تطوير الكسور العددية:** وذلك على يد أحمد ابن البناء المراكشي (ت 731هـ)، حيث هذبها وطورها إلى ما تكتب عليه اليوم، وذلك بوضع خط فارز بينها، على النحو الآتي: الربع (¼)، الثلث

(24) ينظر: مجموعة من المؤلفين، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، 6529/21.

(⅓)، النصف (½)، ثلاثة الأرباع (¾)، ثم طورها تطويرًا كبيرًا العالم الرياضي غياث الدين جمشيد الكاشي (ت 832هـ)، في كتابه (مفتاح الحساب)[25].

5. **الحساب الهوائي:** ويطلق عليه (حساب اليد) أو (حساب العقود)، وهو ما يعرف اليوم (بالحساب الذهني)، فلا يحتاج معه إلى ورقة وقلم، وكان يستعمله التجار والمسافرون وغيرهم، وقد ألف فيه ابن الهائم أحمد بن محمد القرافي (ت 815هـ) كتابه (المعونة في الحساب الهوائي)[26].
6. **علم الجبر:** وهو "عملية يستخرج بها العدد المجهول من العدد المعلوم إذا كان بينهما صلة تقتضي ذلك"[27]، وقد ابتكره ووضع اسمه محمد بن أحمد الخوارزمي، وألف فيه كتاب (الجبر والمقابلة)، وما زال هذا العلم يسمى بالاسم الذي اختاره له الخوارزمي إلى يومنا هذا، وكان دافعه لذلك (علم الميراث)، حيث أبدع طرقًا جبرية لتسهيل هذا العلم[28].

رابعًا: الفلك:

نبغ في علم الفلك مجموعة من العلماء المسلمين، مستفيدين من جهود المصريين القدامى، الذين وضعوا بعض لبنات هذا العلم، من خلال تقسيمهم دائرة الأفق إلى 36 قسمًا، كل منها 10 درجات، كما استفادوا من الحضارة اليونانية القديمة، التي اهتدى أهلها إلى معرفة مجموعة من البروج، وقسموها إلى ثنتي عشرة مسافة متساوية، وكان لهم دور في تحديد أحجام النجوم وأبعادها، وغير ذلك مما توصلت إليه الحضارة اليونانية.

لقد بنى المسلمون على ما توصلت إليه الحضارات السابقة، فترجموا وشرحوا، وأبدعوا واخترعوا، مسهمين في الحضارة الإنسانية من زاوية فلكية، ومن أبرز إسهامات المسلمين في هذا العلم:

1. **ترجمة الكتب عن اليونان والسريان والهنود:** مما حفظ هذا الإرث الحضاري الهام، وكان من أهم الكتب التي ترجمها علماء المسلمين؛ كتاب: (مفتاح النجوم) لهرمس الحكيم، من اليونانية إلى اللغة العربية[29]. وكتاب: (المجسطي) لبطليموس من اليونانية إلى اللغة العربية أيضا[30].

(25) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الفنون**، 636/6.

(26) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، 157/2.

(27) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، 636/1.

(28) ينظر: النديم، محمد بن إسحاق، **الفهرست**، ص 340.

(29) العقيقي، نجيب، **المستشرقون**، 78/1.

(30) القفطي، علي بن يوسف، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ص 80.

2. **بناء المراصد الفلكية:** ومن أهمها: المرصد العظيم الذي بناه الخليفة المأمون في حي الشماسية من بغداد[31]، والمرصد الذي بناه على قمة جبل قاسيون بدمشق[32]. وكذا المرصد الذي بناه ابن الشاطر (ت 777هـ) بدمشق[33].
3. **تطوير الأسطرلاب:** وهو جهاز يعين زوايا ارتفاع الأجرام السماوية عن الأفق في أي مكان، وأصله "كلمة يونانية معناها ميزان الشمس، قيل: إن أول من وضعه بطليموس صاحب (المجسطي)[34]، ولكن أول من ألف كتابًا وصف به صنعه وطريقة استعماله هو: محمد بن إبراهيم الفزاري (ت 180هـ)، وقد استخدم علماء العرب والمسلمين الأسطرلاب في بادئ الأمر لتحديد مواعيد الصلاة، واتجاه القبلة، ودخول شهر رمضان، ومعرفة صلاتي الكسوف والخسوف، وفي قياس ورصد الأبعاد المختلفة، وقد صنع إبراهيم يحيى النقاش الأندلسي، الشهير بالزرقالي (ت 480هـ)، أسطرلابا متميزا من حيث الدقة التكنولوجية، وبقي يستعمله علماء العرب والمسلمين في أرصادهم عبر العصور[35].
4. **الأزياج (الجداول الفلكية):** لحساب الأجرام السماوية، وفق قواعد حسابية، وقوانين عددية في منتهى الدقة، وتعد من أهم مستلزمات الرصد الفلكي، التي تحدد مواضع الكواكب السيارة، وقواعد معرفة الشهور والأيام الماضية، والوقوف على أوضاع الكواكب؛ من حيث الارتفاع والانخفاض والميول والحركات، ومن أشهر الأزياج: **(زيج ابن يونس)**، لعلي بن عبد الرحمن بن يونس (ت 397هـ)[36].
5. **تأليف كتب في الفلك:** من أهمها:

- **(جامع علم النجوم والحركات السماوية)**، لأحمد بن كثير الفرغاني (ت 247هـ)، الذي ظل مرجعًا في الفلك، اعتمدت عليه أوروبا وغرب آسيا سبعمائة عام[37].
- **(الزيج المحمودي)**، للبديع الأسطرلابي (ت 534هـ)، الذي كان بارعًا في صناعة الآلات الفلكية[38].
- **(رسالة في الأسطرلاب)**، لابن الشاطر (ت 777هـ)، وقد كان مشتهرًا بصنع الآلات الفلكية.

(31) ينظر: مجموعة من المؤلفين، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، 9267/30.
(32) ينظر: القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ص 213.
(33) ينظر: مجموعة من المؤلفين، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، 7404/24.
(34) بامخرمة، الطيب بن عبد الله، **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، 112/4.
(35) الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، 7/1، والقنوجي، صديق بن حسن، **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**، 93/2، 94.
(36) انظر: السابق، 51/2.
(37) ديورانت، **قصة الحضارة**، 182/13.
(38) انظر: الباباني، إسماعيل باشا، **هدية العارفين أسماء المؤلفين و آثار المصنفين**، ص 714.

- **(تحفة أولي الألباب في العلم بالأسطرلاب)**، لشمس الدين الروداني (ت 1094هـ)، وهو من الفلكيين المتأخرين[39].

خامسًا: الجغرافيا:

كان للعلماء المسلمين في الحضارة الإسلامية دورٌ رياديٌّ، وإسهامات متقدمة، في علم الجغرافيا، فقد انفتحوا على علماء اليونان في مجال الجغرافيا، ولا سيما بطليموس، ولم يلبثوا أن طوروا هذا العلم، وبرعوا فيه، ومن أهم إسهاماتهم فيه[40]:

1. **القول بكروية الأرض، ودورانها حول نفسها:** وذلك في وقت مبكر جدًّا، قال ابن خرداذبة (ت 272هـ) في كتابه (المسالك والممالك): "وإن الأرض مدورة كتدوير الكرة، والماء لاصق بها، وراكد عليها ركودًا طبيعيًا لا يفارقها، والأرض والماء مستقران في جوف الفلك كالمحة في جوف البيضة"[41].
2. **رسم الخرائط الجغرافية:** حيث وضع الشريف الإدريسي (ت 560هـ) أول خريطة للعالم، قيل عنها: "إنها أثبتت أن معارف العرب في جغرافية إفريقيا أعظم مما كان يُظَنُّ زمنًا طويلًا، وقد اشتملت على أماكن لم يكتشفها الأوربيون إلا في العصر الحاضر"[42]. قال غوستاف لوبون: "وأشهر جغرافي العرب هو الإدريسي، ومن كتبه التي ترجمت إلى اللاتينية تعلمت أوروبا علم الجغرافيا في القرون الوسطى"[43]. وقد كان لهذه الخرائط أثر بالغ في تقدم الملاحة العالمية، قال ديورانت: "وكانت هذه الخرائط أعظم ما أنتجه علم رسم الخرائط في العصور الوسطى، لم ترسم قبلها خرائط أتم منها أو أدق أو أوسع وأعظم تفصيلًا، وكان الإدريسي يجزم كما تجزم الكثرة الغالبة من علماء المسلمين بكروية الأرض، ويرى أن هذه حقيقة مُسَلَّمٌ بصحتها"[44].
3. **تأليف كتب في الجغرافيا:** من أبرزها:

أ. **معجم البلدان**، لياقوت الحموي (ت 626هـ)، ويعد موسوعة جغرافية ضخمة، اشتملت على جميع المعلومات الجغرافية المعروفة في العصور الوسطى. قال عنه غوستاف لوبون:

(39) الزركلي، **الأعلام**، 151/6.

(40) لوبون، **حضارة العرب**، ص 468.

(41) ابن خرداذبة، عبيد الله بن أحمد، **المسالك والممالك**، ص 4.

(42) انظر: لوبون، **حضارة العرب**، ص 567.

(43) لوبون، **حضارة العرب**، ص 470.

(44) ديورانت، **قصة الحضارة**، 358/13.

"وكان ياقوت كثير الأسفار، سافر أولًا للتجارة، ثم سافر لدراسة الأرض وأهلها؛ لأنه أعجب أشد الإعجاب ببلادها، وسكانها مختلفي الأجناس، وبلباسهم، وأساليب حياتهم"[45].

ب. **(تحفة النظار في غراب الأمصار وعجائب الأسفار)**، للرحالة ابن بطوطة (ت 779هـ)، أودع فيه تفاصيل أسفاره، وذكر من أوصاف البيئة الطبيعة، والتضاريس الجغرافية، وغيرها، ما أفاد علم الجغرافيا وأثراه.

وهكذا نجد أن العلماء في الحضارة الإسلامية، انفتحوا على جميع الحضارات، ونظروا فيما ألفه علماؤها وخلفوه؛ فنهلوا من علومهم، وترجموا كتبهم، وطوروا نظرياتهم، وأثروْا معارفهم، وقدموا فيها الابتكارات والاختراعات، التي كان لها الأثر الكبير في تطور الحضارة الإنسانية، ورقيها وازدهارها.

* * *

(45) السابق.

القوانين المحلية، والمواثيق الدولية، والأعراف والتقاليد

للتّشريعات والأعراف أهمّيّة بالغةٌ في تنظيمِ الحياة الاجتماعيّة واستقرارها؛ إذ بها يعرف الناس حقوقهم، ويدركون واجباتهم تجاه أسرهم ومجتمعهم ووطنهم، وكيف يتعاملون مع غيرهم، فهي التي تُحَقِّقُ مصالحهم، وتضمن لهم حقوقهم، وتحفظ أمنهم واستقرارهم، لبناء أُسَرٍ متماسكة، ومجتمع متلاحم، ووطن مزدهر، ومن ثم وجب الالتزام بها، والاحتكام إليها، وذلك من طاعة ولي الأمر، التي أمر الله تعالى بها فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء: 59]، وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ**»[1]. ونص العلماء على أن للحاكم أن يختار للناس من التشريعات والقوانين ما فيه مصالحهم، ومن قواعدهم المشهورة في ذلك: "تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة"[2]، وهي تعني: أن تصرفات الحاكم وما تحت حكمه من مؤسسات، وما يصدر عنها من قوانين وتشريعات، إنما هي لتحقيق المصلحة العامة للمجتمع.

أولًا: القوانين المحلية:

تعريف القوانين المحلية:

القوانين لغة: جمع قانون، وهو: "مقياس كل شيء"[3]. وأصله "كلمة سريانية بمعنى المسطرة"[4]. أو يونانية "تلفظ كما هي (kanun)، وتعني: العصا المستقيمة، ثم انتقلت إلى الفارسية بمعنى: أصل كل شيء وقياسه، ودرج استخدامها بمعنى أصل الشيء الذي يسير عليه، أو المنهج الذي يسير بحسبه، أو النظام الذي على أساسه تنتظم مفردات الشيء"[5].

ومعنى كونها محلية: أنها نابعة من داخل الدولة نفسها ومؤسساتها الرسمية، وتستهدف الأفراد المنتمين لها.

والقوانين المحلية اصطلاحًا: هي: "مجموعة القواعد التي تحكم سلوك الأفراد في المجتمع، بحيث يتعين على كل فرد أن يخضع لها طوعًا أو كرهًا، ومتى رفض الانقياد لها وإطاعتها فإنَّ الدولة تجبره على ذلك"[6].

---

(1) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 616، 602/1.

(2) الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر الشافعي، **المنثور في القواعد الفقهية**، 309/1.

(3) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، 136/6، (ق ن ن)، والفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص 1226، والزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، 24/36 (قنن).

(4) الكفوي، أيوب بن موسى، **الكليات**، ص 734.

(5) السديري، توفيق بن عبد العزيز، **الإسلام والدستور**، 15/1.

(6) فرج، توفيق حسن، **المدخل للعلوم القانونية، (موجز النظرية العامة للقانون والنظرية العامة للحق)**، ص 10. وينظر: سمير تناغو، **النظرية العامة للقانون**، ص 7.

وبناء عليه يمكن تعريف القوانين المحلية لدولة الإمارات العربية المتحدة بأنها: مجموعة القواعد العامة الإلزامية، التي تصدر عن الدولة، لتنظم سلوك الأشخاص الخاضعين لها، من مواطنيها، والمقيمين فيها، والزائرين لها، وتَحْكُمَ علاقات بعضهم ببعض، وعلاقاتهم بأجهزة الدولة ومؤسساتها، بهدف تحقيق سعادتهم، ورفاهية عيشهم.

وتتألف القوانين المحلية بدولة الإمارات العربية المتحدة من (221) قانونًا اتحاديًّا، و(68) لائحة تنفيذية، و(214) قرارا تنظيميا[7].

أقسام القوانين في دولة الإمارات العربية المتحدة: تنتظم القوانين المحلية لدولة الإمارات العربية المتحدة ضمن منظومة تشريعية متكاملة؛ تتكون من الدستور، والقوانين الاتحادية، والمراسيم بإصدار القوانين الاتحادية، والمراسيم الاتحادية، وقرارات رئيس الدولة، وقرارات رئيس مجلس الوزراء، وقرارات مجلس الوزراء، والقرارات والتعاميم الصادرة من الوزارات والجهات الاتحادية، على النحو الآتي:

- **الدستور:** وهو مجموعة القواعد القانونية؛ ينظم كيان الدولة وشكلها، ويوضح الاختصاصات التشريعية والتنفيذية والدولية بين الاتحاد والإمارات الأعضاء فيه، كما يبين السلطات العامة فيها، وطبيعة العلاقة بين هذه السلطات، إضافة إلى بيان الحقوق والحريات والواجبات العامة لأفراد المجتمع، ويهدف إلى النهوض بالبلاد وشعبها إلى المنزلة التي تؤهلهما لتبوُّئِ المكان اللائق بين الدول.
- **القوانين الاتحادية:** وهي الأداة الرئيسة لتنفيذ أحكام الدستور، وتختص بتنظيم الأمور ذات الأهمية الاستراتيجية في الدولة، وتنظيم علاقة الدولة بمؤسساتها، وتنظيم علاقات الدولة ومؤسساتها بالأفراد، وعلاقات الأفراد بعضهم ببعض.
- **المراسيم:** وتشمل:
  - **المراسيم بقوانين:** ويقصد بها القوانين الاتحادية التي لا تحتمل التأخير، والتي تصدر عند عدم انعقاد اجتماعات المجلس الأعلى للاتحاد، وتصدر هذه القوانين عن رئيس الاتحاد ومجلس الوزراء مُجْتَمِعَيْن.
  - **المراسيم الاتحادية:** وهي المراسيم التي يصدرها رئيس الدولة وفقًا للاختصاصات المنوطة به بحكم الدستور أو القانون، وذلك بعد موافقة مجلس الوزراء، ومصادقة رئيس الدولة، أو المجلس الأعلى للاتحاد، كلٌّ حسب اختصاصه.

(7) ينظر: موقع منصة تشريعات الإمارات: https://uaelegislation.gov.ae شوهد: 2024/02/02م

- **القرارات:** وتشمل:
  - **قرارات رئيس الدولة، وقرارات رئيس مجلس الوزراء:** وهي تشريعات في شكل قرارات صادرة عن رئيس الدولة، أو عن رئيس مجلس الوزراء وفقاً للاختصاصات المنوطة بهما بحكم الدستور أو القانون، كلٌّ حسب اختصاصه.
  - **قرارات مجلس الوزراء:** وهي القرارات التي يصدرها مجلس الوزراء وفقاً للاختصاصات المنوطة به بحكم الدستور أو القانون، ويصدرها مجلس الوزراء لضمان تنفيذ القوانين الاتحادية؛ كاللوائح التنفيذية، والقرارات التنظيمية المنفذة للقوانين ولوائحها التنفيذية، وتقع هذه القرارات خارج نطاق اختصاص الوزير المعني، أو رئيس الجهة الحكومية الاتحادية، كما تشمل أيضًا قرارات تنظيم عمل الحكومة، وضمان أداء الوزارات والجهات الحكومية الاتحادية لمهامها ضمن اختصاصاتها، عن طريق إصدار اللوائح التنظيمية والتنفيذية.
  - **القرارات والتعاميم الصادرة من الوزارات والجهات الاتحادية:** وهي القرارات التنفيذية للقوانين واللوائح التنفيذية، والتي يصدرها الوزير أو وكيل الوزارة أو المدير العام للهيئة الاتحادية، كل حسب اختصاصه، وفقاً لما تنص عليه في التشريعات النافذة، بهدف تنفيذ القوانين واللوائح، وتنظيم عمل الوزارة أو الجهة الاتحادية ذات الصلة.

مجالات القوانين الإماراتية: تتنوع مجالات القوانين في دولة الإمارات العربية المتحدة، لتشمل جميع مناحي الحياة الاجتماعية، وبيان تفاصيل ذلك على النحو الآتي:

1. قوانين خاصة بالتعليم، وهي (10) تشريعات.
2. قوانين خاصة بالصحة، وهي (39) تشريعًا.
3. قوانين خاصة بالإقامة والعمل، وهي (29) تشريعًا.
4. قوانين خاصة بالاقتصاد وممارسة الأعمال، وهي (59) تشريعًا.
5. قوانين خاصة بالصناعة والمواصفات الفنية، وهي (24) تشريعًا.
6. قوانين خاصة بالقطاع المالي والمصرفي، وهي (34) تشريعًا.
7. قوانين خاصة بالضريبة، وهي (28) تشريعًا.
8. قوانين خاصة بالعدل والقضاء، وهي (38) تشريعًا.
9. قوانين خاصة بالأمن والسلامة، وهي (26) تشريعًا.
10. قوانين خاصة بالاتصال والتكنولوجيا والفضاء، وهي (9) تشريعات.

11. قوانين خاصة بالطاقة والنقل والبيئة، وهي (16) تشريعًا.
12. قوانين خاصة بالأسرة والمجتمع، وهي (33) تشريعًا.
13. قوانين خاصة بالبيئة والموارد الطبيعية، وهي (39) تشريعًا.
14. قوانين خاصة بالثقافة والإعلام، وهي (7) تشريعات.
15. قوانين خاصة بالرياضة، وهي (8) تشريعات.
16. قوانين خاصة بالشؤون الدينية، وهي (7) تشريعات.
17. قوانين خاصة بتنظيم العمل الحكومي، وهي (21) تشريعًا.

مظان القوانين الإماراتية: يمكن لمن أراد الاطلاع على القوانين المحلية بدولة الإمارات العربية المتحدة الرجوع إلى منصة (تشريعات الإمارات | www.uaelegislation.gov.ae)، وهي منصة رسمية، تُطورها وتشرف عليها الأمانة العامة لمجلس الوزراء، بالتنسيق مع الجهات المعنية كافة، وتهدف إلى أن تكون منظومة موحدة، ومتكاملة، وشاملة، ومُحدَّثة، تشمل جميع التشريعات النافذة في الدولة، وتجعل الوصول إليها أكثر سهولةً لجميع فئات المجتمع من داخل الدولة وخارجها.

وتحتوي المنصة على قاعدة بيانات إلكترونية، تتضمن أهم التشريعات الاتحادية الصادرة في الدولة، ولوائحها التنفيذية، والقرارات التنظيمية الأخرى؛ منذ قيام الاتحاد عام 1971م حتى الآن، وفق أحدث التعديلات، بالإضافة إلى قائمة التعديلات واللوائح والجداول الملحقة بها.

وتتيح المنصة إمكانية مشاركة المستخدمين في تطوير التشريعات، وذلك من خلال حملة إلكترونية مخصّصة، يتم الإعلان عنها عند الدخول إلى المنصة، كما تنشر المنصة أحدث الأخبار المتعلقة بالتشريعات الاتحادية في الدولة[8].

القانون الاتحادي لمكافحة التمييز والكراهية

ومن أهمّ القوانين التي سنّتها دولة الإمارات العربية المتحدة، وشادت بها حضارتها الرائدة، وأثبتت بها تميّزها وسبقها إلى ترسيخ قيم التسامح والحوار والتعايش بين بني البشر، القانون الاتحادي رقم (2) لسنة 2015م في شأن مكافحة التمييز والكراهية، الذي أصدره صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان – طيّب الله ثراه - ونُشِرَ في الجريدة الرسمية لدولة الإمارات العربية المتحدة في 28 يوليو سنة 2015، وبدأ العمل به بعد شهر من تاريخ نشره[9].

ويشتمل هذا القانون على إحدى وعشرين مادة موزعة على ثلاثة فصول:

(8) ينظر: موقع منصة تشريعات الإمارات: https://uaelegislation.gov.ae شوهد: 2024/02/02م

(9)- قانون التمييز والكراهية، دائرة القضاء، أبوظبي، سلسلة التشريعات الاتحادية الطبعة الأولى 2016م.

(الفصل الأول: أحكام عامة) و(الفصل الثاني: الجرائم والعقوبات) و(الفصل الثالث: أحكام ختامية).

يحتوي **الفصل الأول** المتعلق بالأحكام العامة على ثلاث مواد وهي:

- **المادة الأولى**: التعريفات، ومن أهم التعريفات:

- تعريف ازدراء الأديان: كل فعل من شأنه الإساءة إلى الذات الإلهية أو الأديان أو الأنبياء أو الرسل أو الكتب السماوية أو دور العبادة وفقاً لأحكام هذه المرسوم بقانون.

- تعريف التمييز: كل تفرقة أو تقييد أو استثناء أو تفضيل بين الأفراد أو الجماعات على أساس الدين أو العقيدة أو المذهب أو الملة أو الطائفة أو العرق أو اللون أو الأصل الإثني.

- خطاب الكراهية: كل قول أو عمل من شأنه إثارة الفتنة أو النعرات أو التمييز بين الأفراد والجماعات.

- **المادة الثانية**: العلاقة بين نصوص المرسوم بقانون ونصوص التجريم والعقاب الواردة في قوانين أخرى.

- **المادة الثالثة**: تقرير مبدأ عدم جواز الاحتجاج بحرية الرأي والتعبير لإتيان أي قول أو عمل من شأنه التحريض على ازدراء الأديان أو المساس بها.

وأما **الفصل الثاني**: المتعلق بالجرائم والعقوبات:

فتتضمن **المادة الرابعة والخامسة**: النموذج القانوني لجرائم التمييز والكراهية، وهي جريمة ازدراء الأديان مثل:

- التطاول على الذات الإلهية، أو الطعن فيها أو المساس بها.

- الإساءة إلى أي دين من الأديان أو إحدى شعائرها أو مقدساتها أو تجريحها أو التطاول عليها أو السخرية منها أو المساس بها، أو التشويش على إقامة شعائرها أو الاحتفالات الدينية المرخصة أو تعطيلها بالعنف أو التهديد.

- التطاول على أحد الأنبياء أو الرسل أو زوجاتهم أو آلهم أو صحابتهم أو السخرية منهم أو المساس بهم أو الإساءة إليهم.

- التخريب أو الإتلاف أو الإساءة أو التدنيس لدور العبادة وللمقابر وللقبور أو ملحقاتها أو أي من محتوياتها.

- **المادة السادسة**: تتعلق بجريمة إحداث أي شكل من أشكال التمييز.

- **المادة السابعة**: تتعلق جريمة إثارة خطاب الكراهية.

- **المادة الثامنة**: جريمة إثارة النعرات القبلية.

- **المادة العاشرة**: جريمة استغلال الدين في رمي أفراد أو جماعات بالكفر.

- **المادة الحادية عشرة**: جريمة إنتاج أو صنع أو بيع مطبوعات أو تسجيلات من شأنها ازدراء الأديان أو التمييز أو إثارة خطاب الكراهية.

- **المادة الثانية عشـــرة**: جريمة حيازة أو إحراز محررات أو مطبوعات بقصـــد ازدراء الأديان أو التمييز أو إثارة خطاب الكراهية.
- **المادة الثالثة عشرة**: جريمة إنشاء أو تأسيس أو إدارة جمعية أو هيئة بغرض ازدراء الأديان أو التمييز أو إثارة خطاب الكراهية.
- **المادة الرابعة عشر**: جريمة الانضمام إلى جمعية أو هيئة بغرض ازدراء الأديان أو التمييز أو إثارة خطاب الكراهية.
- **المادة الخامســة عشــر**: جريمة عقد اجتماع أو مؤتمر بغرض ازدراء الأديان أو التمييز أو إثارة خطاب الكراهية.
- **المادة الســادســة عشــر**: جريمة تمويل أو طلب أو تســلم أموال بقصــد ارتكاب إحدى جرائم التمييز أو الكراهية.

ويشتمل **الفصل الثالث**: المتعلق بالأحكام الختامية على مادتين فقط هما:

- **المادة العشــرون**: إن مبدأ التمييز الإيجابي لمصـلحة المرأة أو الطفل أو أصـحاب الهمم أو كبار المواطنين والمقيمين أو غيرهم لا يعد تمييزاً محظوراً.
- **المادة الحادية والعشرون**: حكم النشر والسريان.

تجسّد هذه التّشريعات والقوانين الوطنيّة بدولة الإمارات العربيّة المتّحدة بما لها من قوّة الإلزام صِمَامَ أمان المجتمع، والدّرع الواقيّ له من مختلف الأخطار التي تهدّد تماسكه وأمنه واستقرارَه، كما تعدّ وسيلةً إلى تعزيز القِيَم الجماليّة، التي تحصِّن فئاتِ المجتمع وشرائحَه من كلّ الآفات الفكريّة التي تعتَبَرُ وقودَ الفِتَنِ وتدمير الأوطان.[10]

ثانيًا: المواثيق الدولية:

تمثل المواثيق الدولية ركيزة أساسًا، وإطارًا قانونيًّا، لتنظيم العلاقات بين الدول، بهدف تحقيق الاستقرار العالمي، وتعزيز التعاون الدولي، وحماية حقوق الإنسان، وضمان التنمية المستدامة، ونشر القيم الإنسانية، وقد أكد النبي ﷺ على أهمية المواثيق الدولية، والأعراف العالمية في تنظيم العلاقات بين الأمم والشعوب، وتحقيق مصالح الإنسانية ودرء المفاسد عنها، وذلك بمشاركته ﷺ في حلف المُطَيَّبين، وهو حلف تعاقد أهله، وتعاهدوا بالله ليكونُن يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يؤدى إليه حقه، قال ﷺ: «**شَهِدْتُ غُلَامًا حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ، فَمَا أُحِبُّ أَنْ أَنْكُثَهُ، وَأَنَّ لِي حُمرَ النَّعَمِ**»[11]. وحين بعثت قريش أبا رافع رسولًا إلى النبي ﷺ، قال: يا رسول الله، إني

(10)انظر: الظّاهريّ، خليفة مبارك، تفكيك خطاب التّطرّف الدّينيّ في تجربة دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، ص 419-434.

(12) البيهقي، **السنن الكبير**، رقم الحديث: 13208، 343/13.

والله لا أرجِعُ إليهم أبداً، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إِنِّي لَا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ، وَلَا أَحْبِسُ الْبُرُدَ**»[12]. أي: لا أنقض العهد، ولا أحبس الرسل، وكان ﷺ يحرص على بناء علاقات قوية و وطيدة مع الملوك ورؤساء القبائل، من خلال إرساله الرسائل إليهم، واستقباله رسائلهم[13].

وفيما يلي تعريف بالقانون الدولي، وأهم بنوده وتشريعاته، التي صادقت عليها دولة الإمارات العربية المتحدة.

تعريف القانون الدولي: "هو مجموعة القواعد التي تنظم العلاقات بين الدول ذات السيادة"[14].

ويعتمد القانون الدولي على ثلاثة مصادر رئيسة، نصت عليها محكمة العدل الدولية في مادتها (38)، وهي:

1. **المعاهدات والاتفاقيات**: وقد تكون ثنائية أو جماعية، وينص في الجماعية على حق أي دولة في الانضمام إليها مستقبلًا.
2. **العُرف الدولي:** وهو "مجموعة من قواعد السلوك الدولي غير المكتوبة، التي تكونت من خلال اعتياد الدول على اتباعها، بوصفها قواعد ثبت لها لدى المخاطبين بأحكامها صفة الإلزام القانوني"[15].
3. **المبادئ القانونية العامة التي تعترف بها الدول المتحضرة**: وهي بعض المعتقدات والممارسات القانونية المشتركة بين جميع النظم القانونية المتقدمة[16].

وتنقسم القوانين الدولية إلى قسمين[17]:

1. **القانون الدولي العام:** وهو مجموعة القواعد والتنظيمات التي تنظم العلاقات بين الدول في حالتي السلم والحرب، وبينها وبين المنظمات الدولية، مثل:
   - **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان**[18]، الذي صدر واعتمد رسميًّا عام (1948م)، وقد تضمن (30) مادة، حددت الحقوق الأساس للإنسان، التي يجب على جميع الدول احترامها وحمايتها.

(13) أبو داود، **سنن أبي داود**، رقم الحديث: 2758، 83/3.

(14) ينظر: الصبحي، **مرويات الوثائق النبوية المكتوبة من النبي ﷺ وإليه جمعًا ودراسة**، ص 983-987.

(15) النعيم، عبد العزيز العلي، **أصول الأحكام الشرعية ومبادئ علم الأنظمة**، ص 179.

(16) المجذوب، محمد، **محاضرات في القانون الدولي العام كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية**، ص 52.

(17) العاصي، حسن، **مفهوم القانون الدولي العام**، ص 5.

(18) ينظر: القوانين التي صادقت عليها دولة الإمارات العربية في موقع الأمم المتحدة، حقوق الإنسان، هيئات المعاهدات، قاعدة بيانات الأمم المتحدة الخاصة بالهيئات المنشأة بموجب معاهدات حقوق الإنسان،
https://tbinternet.ohchr.org/_layouts/15/TreatyBodyExternal/Treaty.aspx?CountryID=184&Lang=ar

(18) ينظر تفاصيل المواد القانونية في: مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، المعاهدات الدولية الأساسية لحقوق الإنسان، الأمم المتحدة، نيويورك وجنيف، 2006م، ص 1-9-23-57-73-79-143-177، كما يمكن الاطلاع على تحديثات هذه القوانين، ومعرفة بلدان العالم التي تنطبق عليها هذه المعاهدات، في الموقع الرسمي للأمم المتحدة، مكتب المفوض السامي، https://www.ohchr.org/ar/instruments-listings.

- **الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري**: اعتُمدت عام (1965م)، وتضمنت (25) مادة، وصادقت عليها دولة الإمارات العربية المتحدة، بتاريخ: (1974/05/20م).
- **اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة**: اعتمدت عام (1979م)، وتضمنت (30) مادة، وألحق بها البروتوكول الاختياري عام (1999م)، وتكون من (21) مادة، وقد صادقت دولة الإمارات العربية المتحدة على هذه الاتفاقية بتاريخ (2004/10/06م).
- **اتفاقية حقوق الطفل**: اعتمدت عام (1989م)، وتضمنت (54) مادة، وألحق بها:
  - البروتوكول الاختياري الأول عام (2000م)، المكون من (17) مادة، والمتعلق بحماية كرامة الطفل. وقد صادقت عليه دولة الإمارات العربية المتحدة، بتاريخ (2016/03/02م).
  - البروتوكول الاختياري الثاني عام (2000م) أيضًا، المكون من (13) مادة، والمتعلق باشتراك الأطفال في النزاعات المسلحة، وقد صادقت عليه دولة الإمارات العربية المتحدة بتاريخ (1997/01/03م).
- **اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة**: اعتمدت في عام (2006م)، وتضمنت (50) مادة، وقد صادقت عليها دولة الإمارات العربية المتحدة في (2010/03/19م).
- **اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره؛ من ضروب المعاملة، أو العقوبة القاسية، أو اللاإنسانية، أو المهينة**: أقرت عام (1984م)، وتكونت من (33) مادة، وألحق بها بروتوكول إضافي عام 2002م، يتكون من (37) مادة، وقد صادقت على هذه الاتفاقية دولة الإمارات العربية المتحدة بتاريخ (2012/07/19م).

2. **القانون الدولي الخاص**: مجموعة من النصوص القانونية التي تهدف إلى تنظيم التعامل بين الأفراد المحليين والأجانب، بمعنى تحديد كيفية تطبيق القانون على مواطني الدولة، وعلى الأفراد الذين يأتون إليها من دول أخرى، وقد ظهر هذا القانون عام (1834م)، واعتمد وسيلة قانونية للفصل في النزاع بين الأفراد بناء على الدول التي ينتمون إليها، وتضمنت موضوعاته:
   - **الجنسية**: وهي علاقة تبعية الفرد للدولة.
   - **الوطن**: وهو علاقة الفرد بالدولة نتيجة إقامته فيها.
   - **مركز الأجانب**: وهو ما يمكن أن يتمتع به الأجانب من حقوق، أو يتحملوه من تكاليف وواجبات في الدولة التي يوجدون على أرضها[19].

(20) الصدة، عبد المنعم فرج، **مبادئ القانون**، ص 51.

ثالثًا: الأعراف والتقاليد:

أولى علماء أصول الفقه والقواعد الفقهية الأعراف والتقاليد عناية بالغة، فراعوا تغير أعراف الناس، واختلاف عاداتهم وتقاليدهم، انطلاقًا من مبدأ الرحمة والتيسير والحكمة التي اتسمت بها الشريعة الإسلامية ودعت إليها، قال تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: 185]، وإن مما يدل على اعتبار هذا الأصل العظيم قوله تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾ [الأعراف: 199]، وقد فسر كثير من العلماء العرف هنا بما تعارفه الناس في المعاملات والعادات[20] مما يحقق لهم مصالحهم، وييسر عليهم حياتهم، قال العلماء: "ولا شك أن مراعاة العرف الذي لا فساد فيه ضرب من ضروب المصلحة، يجب الأخذ به"[21].

وفيما يلي توضيح لمعنى العرف عند العلماء، وبيان للمراد بالأعراف والتقاليد في دولة الإمارات العربية المتحدة (السنع)، وأهميتها، ومقوماتها، ومبادئها.

تعريف العرف:

العرف لغة: قال ابن فارس: "العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة ... والعرف: المعروف، وسمي بذلك لأن النفوس تسكن إليه"[22].

واصطلاحًا: هو "ما تعارف عليه الناس وصار عندهم شائعًا، سواء كان في جميع البلدان أو بعضها، قولًا كان أو فعلًا"[23].

الأعراف والتقاليد في دولة الإمارات العربية المتحدة (السنع)[24]:

السنع أو المذهب أو السمت، مترادفات في التراث الإماراتي، ويراد بها: مجموعة القيم والتقاليد وأنماط السلوك التي تعارف عليها أبناء المجتمع في دولة الإمارات العربية المتحدة، والتزموا بتطبيقها في الكثير من تفاصيل حياتهم، حتى باتت من مكونات هويتهم الثقافية والاجتماعية.

وفي أصل (السنع) لغة يقول ابن فارس: "السين والنون والعين إن كان صحيحًا، فهو يدل على جمال وخير ورفعة"[25].

---

(21) السمعاني، منصور بن محمد، **قواطع الأدلة في الأصول**، 29/1، والبعلي، محمد بن عبد الله، **الذخر الحرير بشرح مختصر التحرير**، ص 798.

(22) أبو زهرة، محمد، **مالك؛ حياته وعصره-آراؤه وفقهه**، ص 388.

(23) ابن فارس، مقاييس اللغة، 281/4.

(24) البهوتي، منصور بن يونس، **المنح الشافيات بشرح مفردات الإمام أحمد**، 32/1.

(25) المعلومات الواردة في هذا المحور مستفادة من: وزارة التربية والتعليم، **منهج السنع الإماراتي**، ص 17.

(26) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 106/3 (سنع).

ويطلق السنع، ويراد به: اللين، والأفضل والأجود والأشرف من كل شيء. يقال: سَنُعَ. أي: جَمُلَ وحَسُنَ، وَهُوَ سَنيعٌ، أَي جَميلٌ. والسنيع: التّام من كل شيء. وسُنُع الْإِبِل: خِيَارهَا وحسانها، يقال نَاقَة مِسْنَاعٌ. أَيْ: حَسَنةُ الخَلْق. والأسنع: العالي المرتفع[26].

وكل هذه المعاني عند التأمل متحققة في المعنى الاصطلاحي الآتي للسنع، ففي السنع جميل الأخلاق وحسنها وأعلاها، ومن أهم مكوناته الإحسان إلى الناس، ومعاملتهم بما هو أحسن وأجود وأشرف من الأخلاق والسلوكيات.

واصطلاحًا: "مجمل الأقوال والأفعال والأخلاق الواجب الالتزام بها في المواقف الاجتماعية اليومية والمناسبات"[27].

أهمية السنع الإماراتي: لدولة الإمارات العربية المتحدة تقاليد أصلية، وعادات نبيلة، تعتز بها، وتحرص على المحافظة عليها، وترسيخها في نفوس أبنائها، ليرثها جيل بعد جيل، وتستمر الروابط بين الماضي والحاضر، وتمتد إلى المستقبل، وقد أكد الشيخ زايد -طيب الله ثراه- على ذلك بقوله: "لا بد من الحفاظ على تراثنا، لأنه الأصل والجذور، وعلينا أن نتمسك بأصولنا وجذورنا العميقة"[28]. وقال أيضًا: "بدون الأخلاق وبدون حسن السلوك، وبدون العلم لا تستطيع الأمم أن تبني أجيالها، والقيام بواجبها، وإنما حضارات الأمم بالعلم، وحسن الخلق، والشهامة، ومعرفة الماضي، والتطلع للحاضر والمستقبل"[29].

ويبقى مجتمع الإمارات -إضافة إلى انفتاحه على غيره- محافظًا على أصالته وتقاليده، متمسكا بقيمه وعاداته، مما يثمر:

- تعزيز حب الوطن والانتماء إليه.
- استدامة الأخلاق الحميدة في المجتمع.
- تقوية الروابط الأسرية والمجتمعية.
- تعزيز قدرات الفرد على التواصل والإنتاج والإبداع.

(27) انظر هذه المعاني في: الفراهيدي، **العين**، 338/1 (س ن ع)، والأزهري، **تهذيب اللغة**، 62/2 (سنع)، والجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، 1233/3 (سنع)، وابن فارس، **مجمل اللغة**، ص 475 (سنع)، وابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 409/2 (سنع)، والزبيدي، **تاج العروس**، 239/21 (سنع).

(28) وزارة التربية والتعليم، **منهج السنع الإماراتي**، ص17.

(29) "أقوال المؤسس"، منشور في صحيفة الإمارات اليوم، بتاريخ 2018/03/28م، متاح على الرابط: https://www.emaratalyoum.com/local-section/other/2018-03-28-1.1084419 ، (شوهد يوم 2024/03/03م).

(30) فراس بن درويش، "الشيخ زايد منارة الحق والحكمة"، منشور في صحيفة البيان، بتاريخ 2017/04/18، متاح على الرابط: https://www.albayan.ae/books/author-book/2017-04-18-1.2919131، (شوهد يوم 2024/03/03م).

مقومات السنع الإماراتي: كان السنع الإماراتي استجابة واعية وضرورية للظروف التي مر بها هذا المجتمع، مما جعل له مقومات تنطلق من الخصوصية الجغرافية، والتجربة التاريخية الممتدة في استثمار الممكن أو المتاح من موارد الطبيعة في البر والبحر.

مبادئ وقيم في السنع الإماراتي: ينهل السنع الإماراتي من منابع صافية، أسهمت في تشكيل منظومته في شتى مجالات الحياة، توارثتها الأجيال المتعاقبة على أرض الإمارات، ومما لا ريب فيه أن هذه السلوكيات اكتسبت بمرور الزمن سمة الالتزام الطوعي، وكانت باستمرار متوافقة مع رؤية المجتمع وأعرافه وقيمه وتقاليده، وكلها أثبتت جدواها في تجارب الآباء والأجداد، وتم توظيفها بصورة عملية وإبداعية في نهضة الإمارات وتطورها.

ومع أن هذه القيم تحمل في خصائصها ومحتواها عوامل استدامتها، إضافة لقابليتها المستمرة للاكتمال والتطور؛ فإنها حظيت دائما بدعم مميز وتوجيه حثيث من القيادة الرشيدة بدولة الإمارات العربية المتحدة، في إطار وعيها الدائم بأهمية هذه القيم ومرتبتها المتقدمة في منظومة الأخلاق، ومسيرة النماء والتطور.

ومن أهم تلك القيم والمبادئ السنعية:

1. **الترابط الأسري وزيارة الأرحام:** الترابط الأسري سمة أصيلة في مجتمع دولة الإمارات العربية العربية المتحدة، يتجلى ذلك في الجلسات الأسرية، وتبادل الزيارات العائلية، ولا غرو فقد أخذوا هذا السنع الأصيل من الشيخ زايد -طيب الله ثراه- الذي كان مرتبطا بأسرته ارتباطًا وثيقًا، بدءًا بوالدته، التي بقيت على الدوام موَجهة لسلوكه، ومساندة للنجاحات التي يحققها في مسيرته، وجاء هذا الارتباط إيمانًا منه بأن صلته القوية بأسرته؛ مقدمة ضرورية لصلته بأبناء شعبه، قال -طيب الله ثراه-: "إن واجب رب العائلة أن يرعى شؤون أفراد عائلته، ويعمل على سعادتهم ورفاهيتهم"[30]
2. **الكرم وحسن الضيافة:** الكرم والضيافة هما العنوان الأبرز لآداب السنع الإماراتي، والتي تعد من العادات النبيلة، التي لايزال المجتمع الإماراتي يحتفظ بها، ويوليها عناية خاصة. فالمواطن الإماراتي كريم بطبعه، مضياف بسجيته، مع كل الناس؛ مهما اختلفت أعراقهم، وألوانهم، وجنسياتهم، ومعتقداتهم.

ويشمل كرم الضيافة في السنع الإماراتي قواعد وسلوكات استقبال الضيف، وحسن الترحيب به. وتصاحب مراسم الضيافة عند أهل الإمارات عبارات الترحاب والبهجة، وإبداء السعادة بالزيارة.

(31) مكتب الوثائق والدراسات، **أبو ظبي بين الأمس واليوم**، ص 54.

ومن الأمثال الدالة على كرم أهل الإمارات: "البيت اللي ما فيه دله؛ ما حد يدله" و"فنجان الضحى، ولا ناقة ذلول"

3. **التطوع ونجدة الملهوف (الفزعة):** تعد الفزعة مظهرًا من مظاهر الحياة الاجتماعية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وتقليدًا أصيلًا مبنيا على التعاون، والتكافل، والمساندة في أوقات الشدة والحاجة للآخرين في النهوض بأعباء الحياة.

والذي يميز الفزعة أنها تطوع ومبادرة تلقائية، تمليها القيم والتقاليد المتعارف عليها في المجتمع، دون أن يكون الدافع لها أجرًا ماديًا، أو صلة قرابة، أو أي اعتبارات أخرى.

والفزعة التي تجذرت في القيم الإماراتية منذ القدم؛ استمرت حتى هذا اليوم، بعد أن تجاوزت حدود الوطن وجغرافية الإمارات إلى العالم، وأصبحت فزعة الإمارات وقيادته في مواساة الشعوب ونجدتها مثالًا يحتذى به، لما يمكن أن يقوم به الإنسان لأخيه الإنسان.

وهكذا فإن التشريعات والأعراف تشكل مرتكزاً يرجع إليه الناس في تنظيم شؤون حياتهم، بما يحقق مصالحهم، ويحفظ استقرارهم وأمنهم، ويسهم في بناء أسر متماسكة، ومجتمعات متلاحمة، وأوطان مزدهرة، مما يؤكد على أهمية العودة إلى هذه التشريعات والأعراف، بوصفها مرجعية في تحقيق التوازن والعدل في المجتمع.

مكونات الخطاب الشّرعيّ وقضاياه

الإيمان؛ مفهومه، و أثره في تعزيز القيم

الإيمان أهم مكونات الدّين الإسلاميّ؛ بل هو أساسه الذي تبنى عليه المكونات الأخرى، حيث إنه يشكل العمود الفقري، الذي تقوم عليه حياة المسلم؛ في ارتباطه بمُوجِدِه، وفهمه لوجوده، وتوجيه سلوكه، وضبط علاقته مع غيره، فالإيمان مقصد جميع الرسالات السماوية، أرسل الله تعالى الأنبياء لتحقيقه، وأنزل معهم الكتب لتوضيحه، حتى يسعد الناس في الدنيا والآخرة.

مفهوم الإيمان:

لغة: "مصدر: آمن يؤمن؛ فهو مؤمن، ومعناه باتفاق أهل العلم من اللغويين وغيرهم: التصديق"[1]، قال تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾ [يوسف/17].

"وأصل آمن: أأْمن، بهمزتين، أبدلت الثانية أَلِفًا"[2].

واصطلاحًا: هو التصديق القلبي «**بِاللهِ تَعَالَى، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[3]. أي: "الإذعان، والقبول، مع الرضا، والتسليم، وطمأنينة النفس"[4].

أسُس الإيمان:

1. الإيمان بالله: وهو أول أركان الإيمان وأولاها وأعظمها، ويعني التصديق بوجود الله سبحانه وتعالى، ووحدانيته، وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال تعالى: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**﴾ [طه: 14]، وأنه سبحانه خالق جميع الموجودات، قال تعالى: ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: 102]، وأنه جل جلاله المستحق للعبادة، قال سبحانه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: 25]، والإيمان بالله تعالى من أعظم الواجبات، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ**﴾ [النساء: 136].

2. **الإيمان بالملائكة:** وهو الركن الثاني من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾ [البقرة: 285].

---

(1) الأزهري، **تهذيب اللغة**، 368/15 (بتصرف يسير).

(2) الجوهري، **مختار الصحاح**، ص 22 (أمن).

(3) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 8، 28/1.

(4) السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، 420/1.

والملائكة ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26]، يؤمنون به سبحانه، ويقرون بوحدانيته، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]، ويواظبون على عبادته سبحانه وطاعته، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: 20]، ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6].

والملائكة من العوالم الغيبية عن الإنسان، خلقهم الله تعالى من نور، قال النبي ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُور»[5]، ومن أعظم حِكم خلقه سبحانه إياهم:

- نقل رسالته إلى أنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: 75].
- إحصاء أعمال بني آدم، وكتابتها، وحفظها، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: 80]، والشهادة بذلك على الإنسان يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: 166].

3. **الإيمان بالكتب السماوية:** وهو الركن الثالث من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة/136].

ومن الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء:

أ. **القرآن الكريم:** أنزله سبحانه على سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: 48].

ب. **التوراة:** أنزلها الله عز وجل على سيدنا موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 44].

ت. **الإنجيل:** أنزله الله تعالى على سيدنا عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 46].

ث. **الزبور:** وهو الكتاب المنزل على سيدنا داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء:163].

ج. **صحف إبراهيم وموسى:** "وهي الكتب المنزلة عليهما"[6]، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: 18-19].

---

(5) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2996، 226/8.

(6) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 24/20.

وسيأتي تناول الإيمان بالكتب السماوية بمزيد بيان وتفصيل لاحقًا.

4. **الإيمان بالرسل:** وهو الركن الرابع من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ [الحديد: 25].

وقد قص الله سبحانه علينا في القرآن الكريم قصص خمسة وعشرين رسولًا، وبين لنا أن أفضلهم أولو العزم الكرام؛ الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾ [الأحزاب: 7]. وسيأتي مزيد تفصيل عن الإيمان بالرسل لاحقًا.

5. **الإيمان باليوم الآخر:** وهو الركن الخامس من أركان الإيمان، قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿**وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ [البقرة: 4].

والمراد باليوم الآخر: اليوم الذي يبعث فيه الناس للحساب والجزاء، فإن الله تعالى سيحيي الناس بعد موتهم، ويحاسبهم على جميع أعمالهم وتصرفاتهم، فيثيب المحسن على إحسانه، ويجازي المسيء على إساءته، قال تعالى: ﴿**وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة: 281].

ومن أسماء اليوم الآخر التي وردت في القرآن الكريم:

أ. **الساعة:** قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا**﴾ [الأعراف: 187].

ب. **يوم القيامة:** قال تعالى: ﴿**لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [القيامة: 1].

ج. **يوم الدين:** قال تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة: 4].

د. **يوم الحساب:** قال تعالى: ﴿**هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ**﴾ [ص: 53].

هـ. **يوم البعث:** قال تعالى: ﴿**فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ**﴾ [الروم: 56].

و. **يوم الفصل:** قال تعالى: ﴿**هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ**﴾ [المرسلات: 38].

6. **الإيمان بالقدر:** وهو الركن السادس من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا**﴾ [الأحزاب: ص38].

والإيمان بالقدر: يعني اليقين بأن كل ما يحدث في هذا الكون، إنما هو بعلم الله تعالى، ومشيئته، وإرادته، "فالإيمان بالقضاء والقدر ليس قيدًا على حركة المؤمن؛ لكنه متعلق بالعلم، فإن الله تعالى علم في الأزل ما الذي سيختاره كل فرد من أفراد البشر بمحض إرادتهم، فليس هناك إكراه، ولهذا كان أمرًا طبيعيًا وعدلًا أن يُجازى كل امرىء على ما عمل، قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ [المدثر: 38]، وقال جل جلاله: ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ [البقرة: 286]"[7].

(7) زقزوق، محمود حمدي، **العقيدة الدينية وأهميتها في حياة الإنسان**، مجلة الأزهر، 1415هـ، ص 45 بتصرف يسير.

فالإيمان بالقدر:

- **لا يسوغ ارتكاب المعصية:** فلا يجوز للإنسان أن يفعل المعاصي، ثم يحتج بقدر الله تعالى، وأنه لا يد له في ذلك، وقد ورد في الأثر: "مثل علم الله فيكم، كمثل السماء التي أظلتكم، والأرض التي أقلتكم، فكما لا تستطيعون الخروج من السماء والأرض، كذلك لا تستطيعون الخروج من علم الله، وكما لا تحملكم السماء والأرض على الذنوب، كذلك لا يحملكم علم الله"[8].
- **لا ينافي السعي والعمل والأخذ بالأسباب**، ولا يحمل على التحلل من مسؤولية التكليف، ولا على التواكل والتمني، ولا يشكل عقبة في طريق التقدم والازدهار، قال رسول الله ﷺ: «**وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ولا تَعْجِزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ لَوْ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**»[9]. وقال عمر رضي الله عنه: "لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، يقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة"[10].
- **لا يمنع من التداوي:** فلا ينبغي للمؤمن أن يمتنع عن أخذ الدواء بذريعة أن الداء مقدر من الله تعالى، فكما أن الداء بقدر الله تعالى وعلمه، فكذلك الدواء، قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**»[11].

أثر الإيمان في حياة الإنسان:

للإيمان بالله تعالى، واليقين بوحدانيته، والتصديق بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره؛ آثار حميدة على حياة الإنسان، منها ما هو نفسي وقلبي، ومنها ما هو سلوكي وعملي، ومنها ما يتعلق بالجزاء والثواب.

أولًا: الآثار النفسية القلبية: وتتمثل في:

1. **الأمان النفسي والاطمئنان القلبي:** فالمؤمن يعلم أن الله تعالى الذي خلقه هو من يحفظه ويرعاه ويرحمه، فيطمئن قلبه، وتهنأ نفسه، ويتبدد خوفه وقلقه، قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ**﴾ [الأنعام: 82]، وقد وعد الله تعالى من آمن به بالحياة الطيبة الهانئة السعيدة، فقال جل جلاله: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾

(8) الرازي، **مفاتيح الغيب**، 290/2.

(9) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2664، 56/8.

(10) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، 62/2.

(11) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2204، 21/7.

[النحل: 97]، والحياة الطيبة: هي الحياة العامرة بالطمأنينة والسكينة، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الفتح: 4].

2. **الرضا:** فمن علم أن الله تعالى مدبر أموره، وأنه لا يكون في هذا الكون إلا ما قضاه وقدره بحكمته؛ رضي بما يقدر له، وذلك من معاني الحياة الطيبة التي وعد الله بها المؤمنين كما في الآية السابقة، قال ابن عاشور رحمه الله في تفسيرها: "هذا وعد يتساوى فيه الذكور والنساء، وهو وعد بخيرات الدنيا وأعظمها الرضا بما قُسم لهم"[12]. قال رسول الله ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[13]، فالمؤمن في كل الأحوال راضي النفس، مرتاح البال؛ قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ**﴾ [محمد: 2]، لأنه يعلم أن أمره بيد الله، وأجره على الله، قال ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»[14].

3. **المراقبة:** وهي صفة في النفس تحمل صاحبها على فعل ما يرضاه الرقيب عليه، واجتناب ما لا يرضيه، وهي من أبرز صفات المؤمنين، فالمؤمن يعلم يقينًا أن الله تعالى مطلع عليه، مراقب له في أقواله وأفعاله وجميع أحواله، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا**﴾ [المجادلة: 7]، وقوله عزو وجل: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: 18]، فيكون ذلك دافعًا له لعمل الصالحات، وترك المعاصي والموبقات.

ثانيًا: الآثار السلوكية العملية: وتتمثل في:

1. **الإكثار من العمل الصالح:** فالإيمان يحمل صاحبه على الإكثار من الأعمال الصالحة، واجتناب الأعمال الذميمة، لذا نجد أن القرآن الكريم كثيرًا ما يقرن بين الإيمان والعمل الصالح، إشارة إلى انبثاق العمل الصالح من الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [البقرة: 277]، ويصدر سبحانه أمره بالعمل الصالح بنداء الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ**﴾ [الأنفال: 20]، وقوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: 119].

(12) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 273/14، بتصرف يسير

(13) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2999، 227/8.

(14) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 5641، 114/7.

2. **التحلي بمكارم الأخلاق:** كلما كان إيمان المرء قويًّا؛ حسنت أخلاقه، وجملت خصاله، قال النبي ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»[15].

ثالثًا: الآثار الجزائية: وتتمثل في:

1. **الهداية:** قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ**﴾ [يونس: 9].
2. **السمعة الطيبة:** قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾ [مريم: 96].
3. **الفضل الكبير:** قال تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا**﴾ [الأحزاب: 47].
4. **دخول الجنة:** قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا**﴾ [الكهف: 107-108].

* * *

(15) أبو داود، **سنن أبي داود**، رقم الحديث: 4682، 220/4.

معرفة الله تعالى
ودلائل وجوده العلمية والعقلية

معرفة الله تعالى:

إن معرفة الله تعالى؛ بعظمته، وجلاله، وسائر أسمائه وصفاته، معرفة جازمة؛ أساس الدّين الإسلاميّ، وأشرف المعارف، وأصل العقائد الإيمانيّة، وغاية الخلق، قال الغزالي: "وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها: معرفة الله عز وجل"[1]، وعليها يتفرع وجوب كل واجب من الواجبات الشرعية، فهي السبيل إلى:

- **محبة الله:** قال ابن رجب: "وكلما قويت معرفة العبد بالله قويت محبته له، ومحبته لطاعته، وحصلت له لذة العبادة من الذكر وغيره عَلَى قدر ذلك"[2].
- **تهذيب النفس، واستنارة العقل، وارتقاء الروح:** قال محمد بن علي البلنسي: "دلّ العقل على أنّ سعادة الأرواح في معرفة الله تعالى، وفي محبّته"[3].
- **السعادة في الدنيا والآخرة:** قال الرازي: "أعظم مراتب الثواب هو الاستغراق في معرفة الله وفي محبته، فحصول هذا العرفان سعادة عظيمة، وبهجة كاملة"[4].

ومن ثم كانت أولَ ما يجب على المكلفين، قال الله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [محمد: 19] . وقال سبحانه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: 25]، وقال جل جلاله: ﴿**هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ [إبراهيم: 52]. وفي هذا يقول الفقيه ابن عاشر رحمه الله:

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى مَنْ كُلِّفَا ** مُمَكَّنًا مِنْ نَظَرٍ أنْ يَعْرِفَا
اللَّه ..... ** .....

ولا بد للوصول إلى هذه المعرفة من النظر والتدبر والتفكر والتأمل، في الدلائل والبراهين التي نصبها الله تعالى على وجوده وعظمته ووحدانيته[5].

(1) الغزالي، محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، 52/1.

(2) ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، **استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس**، 3/ 316.

(3) البلنسي، محمد بن علي، **تفسير مبهمات القرآن (صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل)**، 398/2.

(4) الرازي، **مفاتيح الغيب**، 468/21.

(5) ينظر: ميارة، محمد بن أحمد، **الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين)**، ص 29-30، والآمدي، علي بن أبي علي، **أبكار الأفكار في أصول الدين**، 63/1.

دلائل وجود الله تعالى العملية والعقلية

لقد دل على وجود الباري جل جلاله، وتفرده بالوحدانية -إضافة إلى الأدلة النقلية- أدلة عقلية وعلمية متضافرة، ومن ذلك:

أولًا: دليل الفطرة: والفطرة "هي النظام الذي أوجده الله في الإنسان جسدًا وعقلًا، فمشيه برجليه؛ فطرة جسدية، ومحاولته أن يتناول الأشياء برجليه؛ خلاف الفطرة الجسدية، واستنتاج المسببات من أسبابها والنتائج من مقدماتها؛ فطرة عقلية، ومحاولة استنتاج أمر من غير سببه؛ خلاف الفطرة العقلية.

ويتجلى الاستناد إلى الفطرة في الاستدلال على وجود الله في أنها:

1. تدفع الإنسان بشكل غريزي دفعاً نحو التساؤل عن معنى الوجود، والبحث عن خالقه، وذلك مركوز في أعماق النفس الإنسانية، قال البروفيسور باريت: "ينمو الأطفال بنزعة للبحث عن معنى محيطهم وفهمه، وعند منح المجال لتطوّر عقولهم ونموّها طبيعيًّا؛ يؤدّي بهم هذا البحث إلى اعتقاد مصمّم له غاية، وأن صانعًا حكيمًا قد صمّمه، ويفترضون أن هذا الصانع المقصود كلّي القدرة، وكلّي العلم، وكلّي الإدراك وأبدي، ولا يحتاج هذا الصانع أن يكون مرئيًا أو متجسّدًا مثل البشر"[6].
2. تقود الإنسان إلى الإيمان بوجود قوة مدبرة، أكبر منه وأعظم، يفتقر إليها، ويلجأ إليها، خاصة عند الشدائد، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء: 67]، وقال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ [يونس: 22]، قال الرازي: "الإنسان إذا وقع في محنة شديدة، وبلية قوية؛ لا يبقى في ظنه رجاء المعاونة من أحد، فكأنه بأصل خلقته، ومقتضى جبلته؛ يتضرع إلى من يخلصه منها، ويخرجه عن علائقها وحبائلها، وما ذاك إلا شهادة الفطرة بالافتقار إلى الصانع المدبر"[7].
3. تقضي بأنه لا يوجد شيء بدون غاية، وإلا لكان وجود هذا الشيء ضربًا من العبث، ففطرة كل إنسان تدعوه إلى سؤال مهم وملح، عن سبب وجوده، وغايته، ومصيره، ومآله، وهذا ما يجعل للدنيا معنى، باتصالها بالحياة الآخرة.

(6) باريت، جستون، **فطرية الإيمان، كيف أثبتت التجارب أن الأطفال يولدون مؤمنين بالله؟** ص 14.
(7) الرازي، **مفاتيح الغيب**، 71/19.

ثانيًا: دليل الحدوث[8]: ومعناه: أن كل حادث لا بد له من مُحدِث، وكل موجود لا ريب له موجد، وما من سبب إلا وله مسبب، وذلك يدرك ببداهة العقول، قال ابن حزم رحمه الله: "لا يكون فعل إلا لفاعل؛ فإن الإنسان إذا رأى شيئًا قال: من عمل هذا؟، ولا يقنع البتة بأن العمل دون عامل، وإذا رأى بيد آخر شيئًا قال: من أعطاك هذا؟"[9]. وبما أن عالَمنا حادث؛ وجب أن يكون له محدِث، وهو الله عز وجل، والدليل على أن عالمنا حادث: التغير الذي يطرأ عليه، من ليل ونهار، وحركة وسكون، وحرارة وبرودة، وحياة وموت، والقاعدة المتفق عليها: أن كل متغير حادث[10]. قال الزمخشري في تفسير آيات محاورة إبراهيم لقومه: "فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤدّ إلى أن شيئًا منها لا يصح أن يكون إلهًا، لقيام دليل الحدوث فيها، وأن وراءها مُحْدِثًا أحدثها، وصانعًا صنعها، ومدبرًا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها"[11].

وأصل دليل الحدوث قول الله تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ**﴾ [الطور: 35-36]، يعني: هل وجدوا بلا خالق؟ "وذلك ما لا يجوز أن يكون؛ لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فلا بد له من خالق، فإذ قد أنكروا الإله الخالق، ولم يجز أن يوجدوا بلا خالق خلقهم، أفهم الخالقون لأنفسهم؟ وذلك في الفساد أكثر، وفي البطلان أشد؛ لأن ما لا وجود له، كيف يخلق، وكيف يتأتى منه الفعل؟ وإذا بطل الوجهان معًا قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به إذًا"[12].

وفي دليل الحدوث يقول ابن عاشر رحمه الله:

"وُجُودُهُ لَهُ دَلِيلٌ قَاطِعْ ** حَاجَةُ كُل مُحدَثٍ لِلصَّانِعْ

يعني أن لوجوده تعالى دليلاً قاطعاً لكل شبهة، وهو افتقار كل محدَث إلى صانع محدِث"[13]. يقول الرازي: "قال بعض العقلاء: إن من لطم على وجه صبي لطمة، فتلك اللطمة تدل على وجود الصانع المختار، فلأن الصبي العاقل إذا وقعت اللطمة على وجهه يصيح ويقول: من الذي ضربني؟ وما ذاك إلا أن شهادة فطرته تدل على أن اللطمة لما حدثت بعد عدمها، وجب أن يكون حدوثها لأجل فاعل فعلها، ولأجل مختار أدخلها في الوجود، فإذا كان هذا الحادث مع قلته يحتاج إلى فاعل، فافتقار جميع حوادث العالم إلى الفاعل أولى"[14].

(8) ينظر: الغزالي، محمد بن محمد، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ص 41 وما بعدها.

(9) ابن حزم، علي بن أحمد، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، 12/1.

(10) ينظر: الكوراني، أحمد بن إسماعيل، **الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع**، 293/1.

(11) الزمخشري، محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، 40/2.

(12) الخطابي، حمد بن محمد، **أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)**، 1913/3.

(13) ميارة، **الدر الثمين والمورد المعين**، ص 49.

(14) الرازي، **مفاتيح الغيب**، 71/19.

ثالثًا: دليل الإحكام والإتقان (التصميم): هذا الدليل يتعلق بحالة الكون وما فيه بعد إيجاده؛ من دقة الخلق، وإتقان الصنع، وإحكام النظام، وبراعة التصميم، مما يدل على أن وراء ذلك ربًّا عليمًا، وإلهًا مقتدرًا، ومدبرًا حكيمًا، هو الذي جعل كل هذه الكائنات والمخلوقات تسير وفق نظام دقيق من غير تخلف، فلو أنا وجدنا بيتًا كامل البنيان، مصممًا بدقة، مؤثثًا بعناية، يخدم أغراضًا محددة، تسهم في راحة ساكنيه، لتبين لنا أن هذا البيت لم يوجد على هذا الشكل بالصدفة؛ بل هناك مهندس قصد من بنائه أن يحقق هذه الغاية؛ غاية الراحة لساكنيه، فكذلك الأمر بالنسبة للعالم، لو تأملناه جيدًا، لرأينا أنه مصمم بدقة وعناية فائقة، تجعل الأرض صالحة للعيش فيها، وتحقيق السعادة عليها، يقول الخطابي فيما نقله عنه البيهقي في الاعتقاد: "إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك، واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبيت المبني المعد، فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض مبسوطة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وضروب النبات مهيأة للمطاعم والملابس والمآرب، وصنوف الحيوان مسخرة للمراكب، مستعملة في المرافق، والإنسان كالمُمَلَّك للبيت المخول ما فيه، وفي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام، وأن له صانعًا حكيمًا تام القدرة، بالغ الحكمة"[15]. ويقول الرازي: "حدوث دار منقوشة بالنقوش العجيبة، يستحيل إلا عند وجود نقاش عالم، وبانٍ حكيم، ... فلما شهدت الفطرة بافتقار النقش إلى النقاش، والبناء إلى الباني، فبأن تشهد بافتقار كل هذا العالم إلى الفاعل المختار الحكيم كان أولى"[16].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه النظام في مثل قول الله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [يس: 38-40]، وقوله تبارك اسمه: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ [المؤمنون: 12-14]، وقوله جلت قدرته: ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ* وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ**﴾ [الملك: 3-5]، فتدبير هذا الكون بغاية الدقة وكمال الاتقان دليل على وجود خالق مبدع حكيم، قال البيهقي: "الإحكام لخلق الأشياء إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها، مما يدل على وجود الصانع وإثباته، قال تعالى: ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ [السجدة: 7]، يعني: حسن التدبير في إنشاء كل خلق من خلقه على ما أحب أن

(15) البيهقي، أحمد بن الحسين، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، ص 39.

(16) الرازي، **مفاتيح الغيب**، 19/ 71.

ينشئه عليه، وإبرازه على الهيئة التي أراد أن يهيئه عليها، كقوله عز وجل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2]"[17].

وممن انتبه لهذا الملحظ الإمام أبو حنيفة رحمه الله في إحدى مناظراته، حين قال لمناظريه: "ما تقولون في رجل يقول لكم: إني رأيت سفينة تجري مستوية، ليس لها مَلَّاح يُجرِيها، ولا مُتعهد يدفعها، هل يجوز ذلك في العقل؟ قالوا: لا، هذا شيء لا يقبله العقل؟ فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله! إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية، من غير متعهد ولا مجرٍ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وتغير أعمالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها، من غير صانع وحافظ؟!"[18].

* * *

(17) البيهقي، **الأسماء والصفات**، 67/1.

(18) الرازي، **التفسير الكبير**، 333/2.

الإيمان بالكتب السماوية

الإيمان بجميع الكتب السماوية المنزلة على جميع الأنبياء والمرسلين، هو الركن الثالث من أركان الإيمان، فمن واجب المكلف أن يؤمن بجميع الكتب السماوية، قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ وَالْكِتابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ**﴾ [النساء:136]. وقال عز وجل: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة: 136]. وقال رسول الله ﷺ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ...** »[1].

ووصف الله تعالى عباده المؤمنين بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة: 4-5].

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يخبر عن نفسه وعن المؤمنين بأنهم يؤمنون بجميع الكتب المنزلة على جميع رسله، فقال: ﴿**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: 84].

وأخذ سبحانه وتعالى الميثاق على الأنبياء جميعًا بأن يؤمن بعضهم ببعض، وبما جاؤوا به من كتب، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [آل عمران:81].

معنى الإيمان بالكتب السماوية:

الكتب: جمع كتاب، قال ابن فارس: "الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد، يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك: الكتاب، والكتابة. يقال: كتبت الكتاب: أكتبه كَتْبًا"[2]. "والكتاب مصدر كتب يكتب، ثم سمي به المكتوب"[3]. ثم أطلق على مكتوب خاص، وهو القرآن الكريم، حتى صار كالعلم عليه، كما في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾ [البقرة: 2] ، وقد يراد به كل الكتب السماوية، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ**﴾ [البقرة: 177].

(1) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 4777، 115/6.

(2) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، 5/ 158 (كتب).

(3) ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 147/4 (كتب).

والإيمان بالكتب هو: التصديق الجازم بكونها كلام الله تعالى، أنزلها على رسله، يصدق بعضها بعضها[4]، يبلغون من خلالها رسالة الله إلى خلقه، قال تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**﴾ [البقرة: 213].

الحكمة من إنزال الكتب السماوية:

من تمام رحمة الخالق جل جلاله بخلقه، وإرادته الخير لهم في الدنيا، والسعادة في الآخرة؛ أن أرسل إليهم رسله، وأنزل معهم الكتب؛ لحِكَم عظيمة، وغايات نبيلة.

فمن الحكم وراء إنزال الكتب السماوية، أنها:

- **هداية للبشرية:** فإن الله تعالى أنزل الكتب على رسله لدلالة الناس إلى أفضل الطرق، وأقوم السبل، فهي مرجع هداية لهم؛ تقدم لهم القيم الروحية، والأخلاقية؛ التي تصلهم بخالقهم، وترتقي بأخلاقهم، وتعينهم على حسن التعامل بينهم، وتعزز روابط المحبة والتآلف بينهم، ليسعدوا في دنياهم وآخرتهم، قال تعالى عن القرآن الكريم: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: 2]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء: 9]، وقال سبحانه عن التوراة: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ [المؤمنون: 49]، وقال الله تعالى عن التوراة والإنجيل: ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ**﴾ [آل عمران: 3-4]، قال قتادة: "هما كتابان أنزلهما الله، فيهما بيانٌ من الله، وعصمةٌ لمن أخذ به، وصدّق به، وعمل بما فيه"[5].
- **نور للإنسانية:** فغاية الكتب السماوية نقل الناس من ظلمات الجهل والغفلة، إلى نور العلم والحكمة، قال تعالى عن أنبيائه وما جاؤوا به من كتب سماوية: ﴿**جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**﴾ [آل عمران: 184]، وقال جل جلاله عن القرآن الكريم: ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌوَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِبِإِذْنِهِ**﴾ [المائدة: 15-16].
- **رحمة وسعادة:** فالرحمة من أعظم مقاصد إنزال الكتب السماوية، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأعراف: 63]، وقال سبحانه عن التوراة: ﴿**وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً**﴾ [هود: 17]، وقال جل جلاله عن القرآن الكريم: ﴿**وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف: 52]، ومن رحمة الله تعالى بالناس أن جعل الكتب السماوية مصدر سعادة لهم، قال تعالى

(4) ينظر: البيهقي، **شعب الإيمان**، 185/1.

(5) الطبري، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، 162/6.

لنبينا محمد ﷺ: ﴿**مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾ [طه: 2]. "أي: لم نزل عليك القرآن لتتعب وتشقى، بل لنجعلك أسعد بني آدم"[6].

تعريف بالكتب السماوية المنزلة على الرسل عليهم السلام:

أنزل الله تعالى الكتب على بعض رسله، فمنها ما سماه الله تعالى في القرآن الكريم، ومنها ما لم يسمه؛ وقد اتفقت الكتب السماوية كلها على ترسيخ الإيمان بالله تعالى، قال سبحانه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: 25]، إلا أن لكل نبي شريعة وأحكامًا تناسب زمانه وقومه، قال تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [المائدة: 48]. ومن هذه الكتب:

أ. **التوراة:** وهو الكتاب المنزل على سيدنا موسى عليه السلام، وقد تحدث القرآن الكريم عن التوراة (18) مرة، ووصفها بأنها:

1. **ذكر وضياء:** قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [الأنبياء: 48].
2. **هدى ورحمة:** قال تعالى: ﴿**ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً**﴾ [الأنعام: 154]. وقال تعالى: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**﴾ [الأعراف: 154].
3. **فيها هدى ونور:** قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ**﴾ [المائدة: 44].
4. **فيها موعظة:** قال تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا**﴾ [الأعراف: 145]. قال ابن عباس: "يريد ألواح التوراة"[7].

ب. **الإنجيل:** وهو الكتاب المنزل على سيدنا عيسى عليه السلام، مصدقًا للتوراة، قال تعالى: ﴿**وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌوَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: 46].

وقد تحدث القرآن الكريم عن الإنجيل (12) مرة، ووصفه بما وصف به التوراة، من أن ﴿**فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: 46]. وبين أن في الإنجيل مزيد تخفيف عما في التوراة، قال الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿**وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ**﴾ [آل عمران: 50].

---

(6) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، 37/4.

(7) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، **تفسير القرآن العظيم**، رقم الحديث: 8957، 1562/5.

ومن الأمور التي تضمنتها التوراة والإنجيل، وأشار إليها القرآن الكريم:

1. **البشارة بالنبي محمد ﷺ ومبعثه:** قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ**﴾ [الأعراف: 157]. وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ [الصف: 6].
2. **وصف أصحاب النبي ﷺ**، وذلك في قوله تعالى: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ**﴾ [الفتح: 29].

ت. **الزبور:** وهو الكتاب الذي أنزله سبحانه على سيدنا داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿**وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾ [الإسراء: 55]. وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض ما ورد في الزبور، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: 105]. أي: "في زبور داود من بعد موسى"[8]. قال الطبري: " أخبر سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السماوات والأرض؛ أن أرض الجنة يرثها عباده العاملون بطاعته، المنتهون إلى أمره ونهيه"[9].

ث. **صحف إبراهيم وموسى:** قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ [الأعلى: 18-19]. أي: الكتب المنزلة عليهما[10]. قال الطبري: "وأما الصحف: فإنها جمع صحيفة، وإنما عُني بها: كتب إبراهيم وموسى"[11].

ومن الأمور التي تضمنتها صحف إبراهيم وموسى، وأورد القرآن الكريم مضامينها:

1. قول الله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ [الأعلى: 14-19]. قال الطبري: "أي مضمون هذا الكلام في الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى"[12]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما نزلت: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾، قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّهَا فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**»[13].

(8) ابن أبي شيبة، محمد بن أبي شيبة، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، 152/6.

(9) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 549/18 بتصرف يسير.

(10) ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، 287/20.

(11) الطبري، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، 377/24.

(12) السابق، 101/30.

(13) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، رقم الحديث: 2930، 258/2.

2. قوله جل جلاله: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى**﴾ [النجم: 36-41] إلى قوله تعالى: ﴿**هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى**﴾ [النجم: 56][14].

ج. **القرآن الكريم:** وهو الكتاب المنزل على سيدنا محمد ﷺ، وهو آخر الكتب السماوية نزولًا، جاء مصدقًا لجميع الكتب السماوية قبله، قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ**﴾ [المائدة: 48]، كما اشتمل القرآن الكريم على مضامين الكتب السماوية السابقة ومقاصدها ومرامها، قال رسول الله ﷺ: «**أُعطِيْتُ مَكَانَ التَّورَاة السَّبْعِ الطِّوَالِ، وَمَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَمَكَانَ الإِنْجِيلِ الْمَثَانِي، وَفُضِّلتُ بِالْمُفَصَّلِ**[15]»[16]. وبين النبي ﷺ أن بعض معاني السور في القرآن وردت في الإنجيل والتوراة والزبور، قال ﷺ لعقبة بن عامر: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ ثَلَاثِ سُوَرٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْفُرْقَانِ الْعَظِيمِ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ. قَالَ: فَأَقْرَأَنِي ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾**»[17].

فالكتب السماوية عقد متصل بعضه ببعض، تتفق جميعها في الجوهر الذي هو الإيمان بالله تعالى، وتفترق في بعض الشرائع مراعاة لمتغيرات الزمان والمكان، أنزلها الله تعالى لدلالة الناس على الخالق جل جلاله، ولهدايتهم إلى ما فيه استقامة حياتهم، وسعادتهم في آخرتهم.

وفي بيان التّكامل والتّرابط بين الكتب السّماويّة وبين الرّسل الكرام الذين أوحيَ إليهم بها يقول النّبيّ ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِن قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِن زَاوِيَةٍ مِن زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَ أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**».[18]

* * *

(14) كما قال ابن عباس رضي الله عنهما. ينظر: مجاهد بن جبر، **تفسير مجاهد**، 752/2.

(15) المفصل من سورة الحجرات إلى سورة الناس، ينظر: المناوي، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، 172/1.

(16) البيهقي، **شعب الإيمان**، رقم الحديث: 2415، 465/2.

(17) ابن حنبل، **مسند أحمد ابن حنبل**، رقم الحديث: 17607، 372/7.

(18) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 3535، 186/4.

الإيمان بالرسل عليهم السلام

الإيمان بالرسل جميعهم هو الركن الرابع من أركان الإيمان، فمن واجب المسلم أن يؤمن بجميع الرسل من غير تفريق بينهم، قال تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾ [البقرة: 285] وقال عز وجل: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة: 136] ووعد تعالى بالخير من آمن بجميع الرسل فقال: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ**﴾ [النساء: 152].

ويتحقق الإيمان بالرسل بأحد أمرين، فمن عرفنا منهم، نؤمن بأعيانهم المذكورة، وصفاتهم المأثورة، ومن لم نعرفهم؛ نؤمن بهم على جهة الإجمال، فإن من رسل الله تعالى من لم يذكر لنا، ولم يقص خبره علينا، قال الله تعالى: ﴿**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾ [النساء: 164].

معنى الإيمان بالرسل:

الرسل لغة: جمع رسول، وهو "المرسَل"[1] يقال: "أرسلت رسولا: بعثته برسالة يؤديها، فهو فعول بمعنى مفعول، يجوز استعماله بلفظ واحد للمذكر، والمؤنث، والمثنى، والمجموع، ويجوز التثنية والجمع، فيجمع على رُسُل بضمتين. وإسكانُ السين لغة"[2]

وقال ابن فارس: "الراء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد ... تقول جاء القوم أرسالا: يتبع بعضهم بعضا. والرسول معروف"[3].

وهذان المعنيان اللغويان -أعني البعث والامتداد أو التتابع- متحققان في المعنى الاصطلاحي الآتي للرسل، فإن الرسل مبعوثون من عند الله تعالى، ثم إن الوحي يتتابع إليهم، وهم أيضا متتابعون، يعقب بعضهم بعضا، ورسالة خاتمهم ممتدة إلى قيام الساعة.

واصطلاحا: هم أناس اصطفاهم الله تعالى واختارهم لحمل رسالته السماوية إلى الناس؛ يدعونهم إليه، ويذكرونهم به، ويبينون لهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم، ويبصرونهم بعاقبة أمرهم إن أحسنوا أو أساؤوا.

والفرق بين الرسل و الأنبياء؛ أن الرسل: من أرسلوا من الله تعالى بشرع جديد، كموسى عليه السلام، فقد أتى بشرع جديد، وهو ما تضمنته التوراة، أما النبي فإنه لا يأتي بشريعة جديدة، وإنما يجيء مُقَرِّرًا لشرع من

(1) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، 73/29 (رسل).

(2) الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، 226/1 (رسل).

(3) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، 392/2 (رسل).

كان قبله، كيوشع بن نون، فإنه إنما أتى مُقَرِّرًا لشريعة موسى عليه السلام، وآمرًا بالعمل بما في التوراة، ولم يأت بشرع جديد[4].

والإيمان بالرسل هو: التصديق الجازم بكونهم مرسلين من عند الله تعالى على سبيل الاصطفاء والاختيار، قال الله عز وجل عن رسله: ﴿**وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ**﴾ [ص: 47]، وقال جل جلاله: ﴿**وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [الأنعام: 87]، وأنهم جاؤوا لهداية الخلق إلى طريق الحق، فبلَّغوا جميع ما أرسلهم الله به، ولم يكتموا منه حرفًا، ولم يغيروا منه كلمة، من دون تفريق بين أحد منهم، وما يتبع هذا التصديق من العملِ بمكارم الأخلاق التي جاؤوا بها ودعوا إليها.

الرسل في القرآن الكريم، وتكامل رسالاتهم:

ذكر الله تعالى لنا في القرآن الكريم خمسة وعشرين رسولًا، جمع منهم في آية واحدة ثمانية عشر رسولا، وهي قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: 83-86]

وذكر بقيتهم متفرقين في آيات أخرى، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا**﴾ [آل عمران: 33] وقوله سبحانه: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا**﴾ [الأعراف: 65] وقوله عز وجل: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا**﴾ [الأعراف: 73] وقوله علا شأنُه: ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا**﴾ [الأعراف: 85]، وقوله تبارك اسمه: ﴿**وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ**﴾ [الأنبياء: 85]، وقوله تجلت حكمته: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**﴾ [الفتح: 29].

وجمع أولي العزم منهم -وهم الذين أمر الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بالائتساء بهم في عظيم صبرهم وثباتهم- في قوله سبحانه: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسَى اِبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقًا غَلِيظًا**﴾ [الأحزاب: 7].

ولقد اتسمت وظائف المرسلين بالتكامل والتعاضد والتعاون على ما فيه الخير للإنسانية، والرحمة للبشرية، فكل واحد منهم يصدق الذي قبله ويتمم ما بناه. فقد اتحدت جهود الأنبياء عليهم السلام -بدءًا من آدم عليه السلام، وانتهاء بخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ- في تشييد صرح حضاري من القيم الإنسانية السامية، كل نبي أسهم فيه بجانب، حتى تكامل البناء من جميع جوانبه؛ ممثِّلًا الشخصية الإنسانية الراقية.

فرسخ آدم عليه السلام قيمة التوبة؛ ليبين كيف تكون علاقة الإنسان بربه حين يعصيه وينساه، قال تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة: 37].

(4) ينظر: السكندري، أحمد بن محمد المشهور بابن أبي عطاء الله، **لطائف المنن**، ص 34.

وعزز نوح عليه السلام قيمة الصبر الطويل على بلوغ الهدف وتحقيق المقصد، إذ لبث في قومه ﴿**أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا**﴾ [العنكبوت: 14].

وأكد هود عليه السلام على قيمة شكر الله تعالى على ما سخر من أسباب الحضارة والعمارة، قال تعالى حكاية عنه: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف: 69].

ودعا صالح عليه السلام إلى الحفاظ على النعمة، وحسن التدبير، وترشيد الاستهلاك لأهم مصدر من مصادر الطاقة والحياة، ألا وهو الماء، قال تعالى لنبيه هود عليه السلام: ﴿**وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ**﴾ [القمر: 28].

وحث شعيب عليه السلام على حفظ الأمانة في المعاملات المالية؛ إذ قال لقومه: ﴿**أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [الشعراء: 181-183].

وأعلى سيدنا إبراهيم عليه السلام من قيمة الطاعة الكاملة، والتسليم المطلق في جميع ما أمره تعالى، قال عز وجل: ﴿**وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى**﴾ [النجم: 37].

وركز لوط عليه السلام على قيمة العلاقات بين الجنسين وفق الفطرة السليمة؛ ﴿**إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف: 80].

وشدد يوسف عليه السلام على أهمية قيمة حسن الإدارة في تحقيق الأمن الغذائي، حين ﴿**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾ [يوسف: 47-49].

وأولى داود عليه السلام قيمة الابتكار في الصناعات أهمية كبرى، قال تعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ**﴾ [الأنبياء: 80].

ورفع موسى عليه السلام من قيمة طلب العلم، والحرص على تحصيله، مهما بعدت المسافات، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾ [الكهف: 60].

وشيد عيسى عليه السلام صرح قيمة التسامح والإحسان، قال تعالى: ﴿**وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً**﴾ [الحديد: 27].

وقد أتى النبي ﷺ إلى هذا الصرح، فتتم هذه القيم، إذ أكد على فسح المجال للعقل، وفق هدي القرآن العظيم، وذلك من خلال الدعوات المتكررة في القرآن الكريم إلى إعمال العقل، من مثل قوله تعالى: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: 73]، وقوله عز وجل: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [النحل: 67].

وهكذا تم بناء صرح القيم الإنسانية الكبرى، بتكامل جهود أنبياء الله تعالى ورسله، وهو تكامل يدل على أن ما جاؤوا به إنما هو رسالة واحدة، من إله واحد، ومشكاة واحدة، هدفها تحقيق السعادة للبشرية، والرحمة للإنسانية.[5]

وظائف الرسل:

أرسل الله تعالى الرسل إلى الناس بمهام معينة، ووظائف محددة، يعد التنبه إليها، والعمل بمقتضاها؛ من تمام الإيمان بهم، ومنها:

أولا: تعريف الناس بخالقهم، وأمرهم بعبادته: قال عز وجل: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: 25]، فكل الأنبياء هدفهم واحد، هو صلة الناس بخالقهم جل جلاله، ودعوتهم إلى عبادته سبحانه، قال النبي ﷺ: «**وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»[6]، فنوح عليه السلام قال لقومه: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: 59]، وكذلك قال هود وصالح، وقال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت: 16].

ثانيًا: تزكية النفس: فلقد كانت التزكية من أهم الوظائف الرسالية التي بعث الله تعالى بها من اصطفاهم من خلقه إلى خلقه، فالعناية بها ديدن الأنبياء من قبل نبينا محمد ﷺ؛ كخليل الله إبراهيم، وكليمه موسى، قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ [الأعلى: 14-19]. كما كانت أحد ثلاثة أهداف كبرى بُعث بها سيدنا ونبينا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [آل عمران: 164]، وذلك إجابة لدعاء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام.

ثالثًا: إعمار الأرض وعدم الإفساد فيها: فما من رسول إلا دعا قومه إلى إعمار الأرض وإنمائها، وترك الإفساد فيها، أو العبث بخيراتها، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [البقرة: 60]، وقال الله عز وجل على لسان صالح عليه السلام: ﴿**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ [هود: 61]، وقال جل جلاله على لسان شعيب عليه السلام: ﴿**فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف: 85].

صفات الرسل وخصائصهم:

(5) الزين، محمد بسام رشدي، **القيم الإنسانية المشتركة بين الأديان السماوية الثلاث: (اليهودية، المسيحية، الإسلام)، من خلال دراسة حياة الأنبياء عليهم السلام وتعاليمهم في القرآن الكريم والكتاب المقدس**، رسالة دكتوراة.

(6) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 3443، 167/4.

أرسل الله تعالى إلى الناس رسلًا من أنفسهم، بشرًا مثلهم، يعاينونهم ويعايشونهم؛ رحمة بهم، ليكون ذلك أدعى للاقتداء بهم، والتأسي بهديهم؛ إذ لو بُعث الرّسل من غير البشر؛ لكان عليهم في ذلك أعظم العنَت، وأشدّ الحرج؛ قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِم فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لَا تَعْلَمُونَ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ**﴾ [الأنبياء: 7-8]، وقال عز وجل: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾ [الكهف: 110]؛ لكن بشريتهم لا تعني عدم تفضيلهم على غيرهم، بل هم في غاية الكمال البشري، والسمو الإنساني، والرقي الأخلاقي، قال الله تعالى: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [الأنعام: 124]، وقال سبحانه: ﴿**وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: 86]، وقال تعالى: ﴿**قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾ [إبراهيم: 11]، ومن ثم ميز الله تعالى رسله بصفات؛ بها فُضِّلوا على غيرهم، وتميزوا عن سواهم، وخص بعضهم بخصائص، فضل بها بعضهم على بعض.

أولا: من صفات الرسل:

1. **الصدق:** قال تعالى: ﴿**وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [يس: 52]، ووصف سبحانه كثيرًا من رسله بهذه الصفة في غير ما آية من كتابه، قال عز وجل عن إدريس عليه السلام: ﴿**إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾ [مريم: 56]، وقال جل جلاله عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾ [مريم: 41]، وقال سبحانه عن إسماعيل عليه السلام: ﴿**إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ**﴾ [مريم: 54]، وقال تبارك وتعالى على لسان صاحبي يوسف: ﴿**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ**﴾ [يوسف: 46]، وقال عن نبينا محمد ﷺ: ﴿**وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**﴾ [الأحزاب: 22]، وعُرِفَ ﷺ في قومه بالصادق[7].
2. **الأمانة:** قال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**﴾ [الشعراء: 107]، وقال عز وجل على لسان هود عليه السلام: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَ أَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾ [الأعراف: 68]، وقال سبحانه على لسان صالح عليه السلام: ﴿**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**﴾ [الشعراء: 143]، كما قال جل جلاله على لسان لوط عليه السلام: ﴿**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**﴾ [الشعراء: 162]، وحكى سبحانه قول الملك ليوسف عليه السلام: ﴿**فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ**﴾ [يوسف: 54]، وقال على لسان موسى عليه السلام: ﴿**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**﴾ [الدخان: 18] وعُرِفَ ﷺ في قومه بالأمين[8].
3. **الإخلاص:** قال الله سبحانه: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا**﴾ [مريم: 51]، وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ [يوسف: 24] "بفتح اللام بمعنى الذين أخلصناهم لأنفسنا، واخترناهم لنبوّتنا ورسالتنا، وبكسرها بمعنى: إن يوسف من عبادنا الذين

(7) بَحْرَق، محمد بن عمر، **حدائق الأنواروم طالع الأسرار في سيرة النبي المختار**، ص119.

(8) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، رقم الحديث: 1697، 543/2، وينظر: بَحْرَق، محمد بن عمر، **حدائق الأنواروم طالع الأسرار في سيرة النبي المختار**، ص 119.

أخلَصوا في عبادتنا"[9] وقال جل جلاله لنبيه محمد ﷺ: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي**﴾ [الزمر: 11- 14].

4. **الإحسان:** قال الله عز وجل: ﴿ **سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الصافات: 109-110]، وقال جل جلاله عن إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأنعام: 84]، وقال تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ [يوسف: 22]، وقال تبارك اسمه عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ [القصص: 14].

5. **الرحمة والشفقة:** قال الله عز وجل: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [الأعراف: 59]، وقال في شأن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: 128]، وقال سبحانه عنه: ﴿**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ [الشعراء: 3]،أي: متحسر ومتأسف على أن لا يهتدوا رحمة بهم وشفقة عليهم[10].

ثانيًا: خصائص بعض الرسل: قال الله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾ **[البقرة: 253]**، ففي هذه الآية يبين الله تعالى أنه فضل بعض رسله على بعض؛ بأن خص بعضهم بصفات ليست لغيرهم، أو رفع درجة بعضهم فوق درجة غيرهم؛ وذلك لِحِكَمٍ يعلمها سبحانه.

فاختص تبارك وتعالى آدم عليه السلام بأن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَوَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص: 71-75].

وفضل إبراهيم عليه السلام باتخاذه خليلًا، قال تعالى: ﴿**وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**﴾ [النساء: 125].

وفضل موسى عليه السلام بكلامه ومناجاته، قال تعالى: ﴿**إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي**﴾ [الأعراف: 144]، وقال سبحانه عنه: ﴿**وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**﴾ [مريم: 52].

وفضل عيسى عليه السلام بأنّه كلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه، قال جل جلاله: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ**﴾ [النساء: 171].

---

(9) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 49/16، بتصرف يسير.

(10) ينظر: الماوردي، **النكت والعيون**، 284/3.

وفضل سيدنا ونبينا محمد ﷺ وخصّه بخصال، من أبرزها أنه: **وصفه بأحسن الأخلاق**؛ قال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: 4]، فكان عليه الصلاة والسلام أكمل الناس خلقًا، قال عنه ربنا جل جلاله: ﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: 128]، وقال عز وجل: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ**﴾ [آل عمران: 159]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «**أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ قَالَ: فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ**»[11]. وقال جعفر بن أبي طالب للنجاشي يصف أخلاق رسول الله ﷺ: «**بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، ... وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ**»[12].

وسيأتي ذكر جملةٍ من الخصال الخلقيّة للنبي محمد ﷺ في الوحدة الآتية.

* * *

(11) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 4838، 135/6.

(12) أحمد، **مسند أحمد ابن حنبل**، رقم الحديث: 1764، 440/1.

من الخِصَالِ الخُلُقيّة للنّبيّ محمد ﷺ

تعدّ مكارم الأخلاق من أعظم ما بعث به النبي ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»[1].. فكان ﷺ أكمل الناس خلقًا، وأكرمهم عشرة، وألينهم معاملة، وأجودهم عطاءً، حتى وصفه ربه بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: 4]. وحين سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن أخلاقه ﷺ، قالت: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**»[2]. فكان ﷺ يتمثل قيم القرآن الكريم وأخلاقه في أقواله وأفعاله، وسائر أحواله.

وكان ﷺ قدوة في أخلاقه، ومثلًا أعلى في سلوكه وأفعاله، ومنبعًا لمكارم الأخلاق في كل حركاته وسكناته؛ يوقر الكبير، ويرحم الصغير، ويكرم المرأة، ويقدر الشباب، ويعطف على الضعيف، ويعطي المحتاج، ويعلّم الجاهل، ويعامل الناس جميعًا باللطف واللين، قال الله تعالى في وصفه: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: 128].

ومن أعظم الأخلاق التي اتسم بها النبي ﷺ، وانطوت عليها نفسه الكريمة:

أولًا: الرحمة: مثلت الرحمة جوهر شخصية النبي الكريم ﷺ، وتجسدت في ذاته الشريفة ﷺ بكل معانيها وأبعادها، فكان عليه الصلاة والسلام رحمة تمشي على الأرض؛ في قوله، وفعله، وحركاته، وسكناته، قال تعالى في وصفه: ﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: 128]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: 107]، وقال عليه الصلاة والسلام عن نفسه: «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»[3]. وغرس ﷺ قيمة الرحمة في العالمين، فقال: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحَمُوا**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كُلُّنَا رَحِيمٌ، قَالَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ خَاصَّتَهُ، وَلَكِنْ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ**»[4]. ومن مظاهر رحمته ﷺ:

1. **رحمته ﷺ بالعيال:** فكان ﷺ يرحم الأطفال، ويحنو عليهم، ويرفق بهم، ويراعي حاجاتهم، ويحتوي مشاعرهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «**مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»[5]. وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قبَّل حسنًا وضمَّه إليه، وجعل يشمه، وعنده رجل، فقال: إن لي ابنا قد بلغ، ما قبَّلته قط، فقال رسول الله ﷺ: «**أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ فَمَا ذَنْبِي؟**»[6].

(1) ابن حنبل، **المسند**، رقم الحديث: 9074، 258/4.

(2) أحمد، **مسند أحمد ابن حنبل**، رقم الحديث: 25240، 250/11.

(3) الدارمي، **سنن الدارمي**، رقم الحديث: 15، 166/1.

(4) النسائي، **السنن الكبرى**، رقم الحديث: 5928، 414/5.

(5) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2316، 76/7.

(6) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، رقم الحديث: 4793، 186/3.

2. **رحمته ﷺ بالعمال:** لقد كان ﷺ رحيما بالعمال؛ يهتم بشؤونهم، ويأمر بحسن التعامل معهم، وعدم تكليفهم فوق قدرتهم واستطاعتهم، فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُم مِمَّا تَأْكُلُون وَأَلْبِسُوهُم مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»[7]. وكان ﷺ يعاملهم بكريم الأخلاق، ويعلمهم، ولا يوبخهم، ولا يقسو عليهم.
3. **رحمته ﷺ باليتيم:** لقد كان ﷺ للأيتام أبا رحيمًا، وكافلًا كريمًا، فلما تزوج ﷺ أم سلمة رضي الله عنها كفل أيتامها، وضمهم إليه، وجعلهم كأولاده، وقال لها: «**إِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالِي**»[8].
4. **رحمته ﷺ بالنساء:** كان النبي ﷺ خير مثال وأعظم قدوة في ذلك، يعامل المرأة بالرحمة والرأفة، فهو القائل: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَ أَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»[9]، وهو الذي كان إذا دخلت عليه ابنته فاطمة رضي الله عنها؛ قام إليها، فرحب بها، وبسط رداءه لها، وأجلسها في مجلسه. كما كان ﷺ يحمل أمامة بنت ابنته زينب وهو في صلاته، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا. وهذه غاية الرحمة واللطف منه ﷺ.

ثانيًا: التسامح والتعايش: كان النبي ﷺ أعظم مثال على التسامح الراقي، والتعايش الحضاري، يعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويصفح عمن تجاوز في حقه، ويحترم مخالفيه، ويبرهم ويقسط إليهم، ويصون حقوقهم، لما للتسامح والتعايش من أثر كبير في صفاء النفوس، وتآلف القلوب، وحسم الخلافات، واستقرار المجتمعات، وتجديد المودات؛ ممتثِلًا قولَ الله تعالى: ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [المائدة: 13]. لما قدم وفد نصارى نجران عليه ﷺ دخلوا مسجده بعد العصر، فأرادوا أن يصلو في مسجده، فهم بعض الناس بمنعهم، فقال رسول الله ﷺ: «**دَعُوهُمْ**»، فَاسْتَقْبَلُوا الْمَشْرِقَ فَصَلَّوْا صَلَاتَهُمْ[10].

1. توقيعه ﷺ وثيقة المدينة؛ التي جمعت كل من يعيش في المدينة المنورة من مسلمين وغيرهم، على ميثاق من التعايش والتسامح[11]. لتكون بذلك من أقوى الشواهد التاريخية، والدلائل التسامحية، التي جادت بها أخلاق النبي ﷺ، ووثقتها كتب السير والتاريخ.

بعد أن أتم النبي ﷺ رسالته الإيمانية، وأكمل مهمته الإنسانية، التي أرسله الله تعالى بها، ورسخ أسسها ومبادئها في النفوس، لحق ﷺ بجوار ربه جل جلاله، في يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول، سنة 11هـ، وترك للإنسانيّة إرثًا إيمانيًّا وأخلاقيًّا عظيمًا، ليكون نبراسنا لها، وسببا لسعادتها وهنائها.

* * *

(7) أبو داود، **السّنن**، رقم الحديث: 5158، 724

(8) أحمد، **مسند أحمد ابن حنبل**، رقم الحديث: 16603، 68/7.

(9) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 3895، 709/5.

(10) البيهقي، **دلائل النبوة**، 382/5.

(11) ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، 107/2.

القيم؛ مفهومها، وخصائصها، و أبعادها

مفهوم القيم

لغة: جمع قيمة[1]، ومن معانيها:

الحُسْنُ: خلق قَيِّمٌ: حسنٌ[2].

الاستقامة: قوم العود فاستقام، أي: عدله فاعتدل وأصبح مستقيمًا[3]. "وأمر قيِّمٌ، أي: مستقيم". ومنه قوله تعالى: ﴿**كُتُبٌ قَيِّمَةٌ**﴾ [البينة: 3]، أي: مستقيمة[4].

الديمومة والثبات: فالقيمة تطلق على الشيء الثابت المستمر[5]. "قيمة: ثبات ودوام على الأمر، ومن قوله تعالى: ﴿**هُوَ الْحَيُّ القيُّوم**﴾: [البقرة: 255]، أي: الدائم الباقي"[6].

عماد الشيء: قوام الشيء: ملاكه، عماده الذي يقوم به، ومنه: هذا قوام الدين والحق: أي به يقوم[7].

واصطلاحًا: مجموعة من المبادئ العليا والمثل المجردة؛ المتضمنة لعددٍ من السلوكيات والأخلاق، التي ترتقي بالأفراد والمجتمعات والأوطان، وتضمن العيش بسلام وطمأنينة[8].

خصائص القيم:

تتميز القيم بعدد من السمات والخصائص، بيانها في الآتي:

أ. **الشمول والتكامل**، فالقيم منظومة متكاملة، تشمل الجوانب الروحية والمعرفية والعملية للإنسان، وتستوعب حياته كلها من جميع جوانبها، في تكامل بين جميع المجالات؛ الاجتماعية والاقتصادية والوطنية، وغيرها.

ب. **الثبات والاستمرارية:** فالقيم أصول وثوابت، لا يطرأ عليها أي تغيير أو تبديل بسبب تغير الظروف والأزمان أو الأشخاص؛ لأنها تمثل الأسس الأخلاقية والروحية للمجتمعات.

---

(1) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 43/5 (قوم).

(2) الزبيدي، **تاج العروس**، 319/33 (ق و م).

(3) الأزهري، **تهذيب اللغة**، 125/2 (ق و م).

(4) الزبيدي، **تاج العروس**، 319/33 (ق و م).

(5) ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، 125/4 (قوم).

(6) أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، 600/1.

(7) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 43/5 (قوم).

(8) ينظر: خليفة، عبد اللطيف محمد، **ارتقاء القيم: دراسة نفسية**، ص 30 -35، وحسين، محيي الدين أحمد، **القيم الخاصة لدى المبدعين**، ص 29-30، وزاهر، ضياء، **القيم في العملية التربوية**، ص 32، وعثمان، أحمد فتحي، **القيم الحضارية في رسالة الإسلام**، ص 42.

ج. **الفطرية:** فالقيم تنبثق من الفطرة الإنسانية، وتنشأ مع الإنسان منذ طفولته، ومما يدل على فطريتها: الرغبة الذاتية للإنسان في تمثل الأخلاق العالية، والسعي نحو السلوكيات الحسنة، كالتعاطف، والتعاون، والعدالة.

د. **الواقعية والمرونة:** فالقيم تتسق مع إمكانيات الإنسان، وتتناغم مع قدراته، كما أنها -مع ما تتسم به من ثبات- على درجة عالية من المرونة، والقدرة على التكيف مع البيئات المختلفة، مما يسمح بتنزيلها في كل بيئة وفق طرق واقعية وفعالة، وذلك يسهم في فهم اختلاف منظومات القيم بين المجتمعات والثقافات، ويعين على تقبل الآخرين، والتكامل معهم، والاستفادة من قيمهم وإفادتهم.

الأبعاد الاجتماعية والإنسانية للقيم:

تكتسي القيمُ أهميّةً بالغةً على الصعيدينِ الاجتماعيّ والإنسانيّ؛ حيثُ إنها تشكل هوية الفرد والمجتمع، وتُؤثّرُ بشكلٍ مباشرٍ على تكوينهما وتطورِهما.

فالقيم تعين الفرد على تنمية نفسه، وتطوير ذاته، وتحقيق أهدافه، وتوجهه نحو السلوكيات الإيجابية، وتمنحه النظرة التفاؤلية للحياة، وتقدم له الحافز للسعي من أجل رقيه وتطوره، وتعطي لحياته معنى وهدفًا، وتساعده على فهم دوره في المجتمع، مما يسهم في سعادته ورضاه عن نفسه.

كما أن القيم تسهم في بناء علاقات اجتماعية متينة بين أفراد المجتمع، قائمة على التعاون والاحترام، والتسامح والإكرام، فهي تنظم سلوك الأفراد في إطار مجتمعهم، وتصون حق كل واحد منهم، وتضمن تعاملًا منصفًا وعادلًا فيما بينهم، وتجعلهم يسعون لتحقيق غايات مشتركة، وتبني أهداف سامية ومثمرة، وتحفزهم على قبول الآخرين مهما كانت التباينات الثقافية والاختلافات الدينية، وتسهل عليهم حل النزاعات والخلافات، مما يثمر مجتمعًا قويًّا متماسكًا، مستقرًا متلاحمًا، متقدمًا مزدهرًا.

نماذج من القيم الإنسانية

قيمة التزكية

تعريفها:

لغة: تأتي لمعان عدة، من أهمها:

الطِّيِّبَةُ: يقال: أرض زكية، أي: طيبة [1].

الصلاحُ: يقال: زكا الرجل يزكو زكواً: صَلُحَ؛ ورجل تقي زكي؛ أي: ذو صلاح. ومنه قوله تعالى: ﴿**خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً**﴾ [الكهف: 81]، أي: صلاحاً[2]. وزكى نفسه، "أي: نماها وأصلحها"[3].

الطهارة: ومنه قوله تعالى: ﴿**مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ**﴾ [النور: 21]، أي: ما طَهُرَ [4]، وقوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**﴾ [الشمس: 9]، أي: من طهَّر نفسه من مذامِّ الأخلاق [5].

واصطلاحاً:

تكميل النفس الإنسانية؛ بتطهيرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، وتنميتها بمحاسن الطباع ومكارم الأخلاق والفضائل [6].

فالتزكية تخلية وتحلية؛

تخلية للقلب من الحقد والحسد والكبر والعجب، وغيرها من مذام الصفات.

وتحلية له بالمحبة، والصفاء، والإخلاص، وغيرها من محامد الصفات.

بما ينعكس على الجوارح بحسن الأقوال وجميل الأفعال.

أهميتها:

التزكية قيمةٌ إنسانية عظيمة، اعتنى بها الدّين الإسلاميّ. ومن مظاهر تلك العناية:

- أنها من أهم المهام التي أرسل بها الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وإِنْ كَانوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [آل عمران:164]، وحينما بعث الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام إلى فرعون قال له: ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى**﴾ [النازعات: 17-18].

---

(1) ابن منظور، **لسان العرب**، 358/14 (زكا).

(2) السابق.

(3) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، 78/22، وينظر: الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص 380-381.

(4) ابن قتيبة، **غريب القرآن**، ص 259.

(5) الحميري، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، 5/ 2819.

(6) ينظر: الخفاجي، أحمد بن محمد، **نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض**، 69/1.

- أن الله تعالى ذكرها في القرآن الكريم في 56 موضعًا، منها 23 موضعًا بمعنى التزكية التي نحن بصدد الحديث عنها، كقوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى**﴾ [الأعلى: 14]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**﴾ [فاطر: 18]. وأقسم الله تعالى في كتابه على فلاح من زكّى نفسه بأحد عشر قسمًا، قال تعالى: ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: الآيات1_10].
- أن النبي ﷺ كان يسأل الله تعالى تزكية نفسه، فيقول: «**اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خيرُ مَن زكَّاها، أنتَ وليها ومولاها**» (7).

وسائل التزكية:

لتزكية النفس والارتقاء بها في مدارج الكمالات وسائل عديدة، يمكن إجمال أهمها فيما يأتي:

1. **الإيمان بالله تعالى:** فإن من أعظم وسائل تزكية النفس؛ الإيمان بالله تعالى، وإدراك عظمته وسلطانه، مما يؤدي إلى إجلاله في القلب، وخشيته في الغيب، ومن ثم العمل بما يرضيه، واجتناب ما يسخطه. فإن الله تعالى سمى الإيمان تزكية، فقال جل جلاله: ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْيَذَّكَّرُفَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾ [عبس: 3-4]، قال ابن زمنين: "أي: يؤمن"(8). وقال تعالى لموسى عليه السلام حين أرسله إلى فرعون يدعوه إلى الإيمان: ﴿**فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى**﴾ [النازعات: 18]، أي: "تؤمن بما جئتُ به، وتعبد ربَّ العالمين"(9). فالإيمان بالله تعالى يمنح الإنسان القوة والعزيمة على مقاومة الشهوات، ويملأ النفس طمأنينةً وسكينةً.
2. **المراقبة:** فمراقبة الله تعالى، واستشعار علمه واستحضار اطلاعه، يزكي نفس الإنسان، قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثٌ مَن فعَلهنَّ فقد ذاقَ طعمَ الإيمان:** - [وذكر منها] - **وزكَّى نفسَه**»، فقال رجل: وما تزكيةُ النفس؟ فقال ﷺ: «**أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ**»(10). فإن ذلك يمنع نفس الإنسان من ارتكاب المعاصي، قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ [النازعات: 40-41]، ويضبطها ويهذبها؛ حتى يتغلب على هواها، وينتصر على وساوسها، قال رسول الله

(7) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2722، 81/8.

(8) ابن أبي زمنين، محمد بن عبد الله، **تفسير القرآن العزيز**، 94/5.

(9) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، 160/3.

(10) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، **السنن الكبرى**، رقم: 7275، 161/4.

ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ نَفْسَه**»[11]. فنفس الإنسان تعتاد ما عودها صاحبها عليه من خير أو شر، قال البوصيري:

والنّفس كالطّفل إن تُهمله شبَّ على *** حُبِّ الرّضاع، وإن تَفطِمه ينفطم

وقد ضرب القرآن الكريم لنا مثلًا يقتدى به في المراقبة؛ يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [يوسف: 23].

3. **المحاسبة:** إن محاسبة النفس ومساءلتها باستمرار؛ مما يحافظ على نقائها وصفائها، ويسهم في سموها ورقيها، فالمؤمن الفطن الذكي يتعهد نفسه بالمساءلة؛ على الرذائل لم فعلتها؟ وعلى الفضائل لِمَ لَم تكثر منها؟ ليبقى قلبه في يقظة دائمة، وخشية مستمرة، قال رسول الله ﷺ: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ**»[12] "ومعنى قوله: من دان نفسه: حاسب نفسه"[13]. ومما كتب "في حكمة آل داود: حق على العاقل ألا يشغل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه، ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذاتها، فيما يحل ويجمل، فإن في هذه الساعة عوناً على هذه الساعات وإجماماً للقلوب" [14]
4. **العبادة والطاعة:** مما يزكي نفس الإنسان ويربيها، ويسمو بها ويرقيها؛ عبادة الله تعالى وطاعته، فإننا إذا نظرنا إلى العبادات الرئيسة في الإسلام نجد أن من أعظم غاياتها تزكية النفس؛ قال الغزالي: "كلما كانت العبادات أكثر، كانت النفس أزكى وأطهر، وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب، وذلك يكون بكثرة المواظبة عليها"[15]. ومن تأمل القرآن الكريم وجد أن العبادات قد وردت مقرونة بثمرتها من تزكية النفس؛ بتطهيرها من أدرانها، والسمو بأخلاقها، وقد تقدم بيان أثر العبادات في تزكية النفس في محاضرة (العبادات؛ مفهومها، وأثرها في حياة الإنسان).
5. **تلاوة القرآن:** فالقرآن الكريم يزكي النفس ويخلصها من الشوائب، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ**﴾ [يونس: 57] فالقرآن الكريم شفاء للعقول، وجلاء للقلوب، وإذا صفا القلب؛ زكت النفس. وقد بين القرآن الكريم أن قراءة هذا الكتاب وسماعه، وتدبر ما فيه من آيات، والاتعاظ بما فيه من مواعظ، والتعلم مما فيه من حكم؛ يزيد الإيمان، ويزكي نفس

(11) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، رقم الحديث: 4602، 386/5.

(12) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 2627، 450/4، وقال: هذا حديث حسن.

(13) السابق.

(14) البيهقي، أحمد بن الحسين، **شعب الإيمان**، رقم الحديث: 4677، 164/4.

(15) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، 58/3.

الإنسان، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال: 2].

6. **الذكر:** فذكر الله تعالى من أزكى الأعمال وخيرها وأرفعها، به تحيا القلوب وتزكو النفوس، قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**﴾ [الأعلى: 14-15]، فقد سمى الله تعالى التزكية في هذه الآية ذكراً، قال عكرمة: ﴿**تَزَكَّى**﴾: أي: قال: لا إله إلا الله [16].

7. **حضور مجالس الكبار:** للنهل من علومهم وحكمهم، والانتفاع بقيمهم ومبادئهم، والإفادة من سعة عقولهم ونضج آرائهم، والاقتداء بهم في عباداتهم ومحاسن أفعالهم، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: 119]، فإن مجالسة الكبار تعين على الصلة بالله تعالى وعبادته، والارتقاء بالنفس وتزكيتها، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، وتمثل القيم النبيلة والعادات الأصيلة، فمن جالس الكبار؛ أخذ من صلاح حالهم، وزكاة نفسهم؛ ما تزكو به نفسه، ويسمو بأخلاقه.

8. **العمل الإنساني:** فالانخراط في الخدمات المجتمعية، والتطوع بالأعمال الخيرية، والإسهام في المبادرات الإنسانية؛ من إعانة للفقراء، وكفالة للأيتام، وسعي على المحتاجين، وغير ذلك؛ من أهم الوسائل التي تساعد على تزكية النفس، وتنقية القلب وصفائه، لأنها تربي صاحبها على البذل والعطاء بلا مقابل، وتنمي فيه قيم الرحمة والعطف والتعاون والتكافل والإيثار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا طلب من النبي ﷺ أن يدله على ما يرقق قلبه، فقال له: «**إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ**»[17].

9. **الدعاء:** بعد أن يفرغ المؤمن وسعه، ويبذل طاقته وجهده في اتخاذ أسباب تزكية نفسه، والرقي بها؛ يستعين بالالتجاء إلى ربه ودعائه أن يعينه على ذلك، ويسر له سبله، اقتداء بالنبي ﷺ الذي كان من دعائه: «**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**»[18]، ومما كان يدعو به عليه الصلاة والسلام: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ**»[19].

وهكذا فإن تزكية النفس؛ ترتقي بها في مدارج الكمالات الإنسانية، وتسمو بها في آفاق الفضائل الأخلاقية، كما أنها توطد أواصر العلاقات الاجتماعية، وتحقق التعايش الإيجابي، وتغرس قيم المحبة والوئام والحوار بين جميع البشرية.

(16) الطبري، **جامع البيان**، 319/24.

(17) أحمد، **مسند أحمد بن حنبل**، رقم الحديث: 9140، 272/4.

(18) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2722، 81/8.

(19) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 771، 185/2.

قيمة العلم

العلم من أعظم القيم الإنسانية، فهو أشرَفُ ما رغِب فيه الرَّاغِب، وأفضَلُ ما طلبَ وجدَّ فيه الطالب، وأنفَعُ ما كَسَبَه واقتناه الكاسِب؛ قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: 9]، فمَنَعَ المساواةَ بين العالم والجاهل؛ لما قد خُصَّ به صاحبُ العلم من فضيلة إدراك حقائق الأشياء، والاعتبار بنظائر الأمور، فقال: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: 43].

تعريف العلم:

لغة: "العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره. من ذلك:

1. **نقيضُ الجَهل**[1]: يقال: "عَلِمتُ الشيءَ: عرَفتُه وخَبَرْته"[2]، "وعَلَّمَه العلمَ، وأعلَمه إيَّاه؛ فتعلَّمه"[3]. وهو عالمٌ به: إذا انكشَفت له حقيقته [4].
2. **العلامة**[5]: يقال: "عَلَمَه يَعْلُمُه ويَعْلِمُه عَلْمًا: وَسَمَهُ"[6].
3. **الراية:** والجمع أعلام[7].
4. **أعلى الجبل**، أَو أَعلَى مَا يلْحقهُ بصرُك مِنْهُ: وَمِنْه قَول الخنساء:

وإنّ صَخْرًا لتأتمُّ الهُداةُ بِهِ *** كأنّه علَمٌ فِي رَأسه نارُ [8]

واصطلاحًا: تعريف العلم يكاد يكون من **السَّهل الممتنع**، يقول الغزالي: "وربما يَعسُر تحديده على الوجه الحقيقي بعبارة محرَّرة جامعة للجنس والفصل الذَّاتي، فإنَّ ذلك عسيرٌ في أكثر الأشياء؛ بل أكثر المدرَكات الحسِّيَّة يتعسَّر تحديدها"[9]، والحقُّ أن ماهيةَ العلم متصوَّرة تصوُّرًا بدهيًا جليًّا، فلا حاجةَ في معرفته إلى معرِّف [10].

(1) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 109/4-110 (علم).
(2) الأزهري، **تهذيب اللغة**، 254/2 (ع ل م).
(3) ابن منظور، **لسان العرب**، 417/12 (علم).
(4) بنت الشاطئ، عائشة محمد علي، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، 203/1.
(5) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 109/4-110 (علم).
(6) ابن منظور، **لسان العرب**، 419/12 (علم).
(7) الأزهري، **تهذيب اللغة**، 254/2 (ع ل م)، وابن فارس، **مقاييس اللغة**، 109/4-110 (علم).
(8) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، (ت 255هـ)، **المحاسن والأضداد**، ص 171.
(9) أبو حامد الغزالي، **المستصفى**، ص 21.
(10) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، **مفاتيح الغيب**، 420/2.

يقول الغزالي: "ويكاد يكون العلم مرتسِمًا في النفس بمعناه وحقيقته من غير تَكَلُّفِ تَحديدٍ"[11]؛ لكن مع ذلك عرفوه بتعريفات كثيرة، لا نطيل بها [12]، لعل من أشهرها أنه: "معرفة المَعلوم على ما هو به"[13]

والقصد ها هنا هو تصور العلم بوصفه قيمة كبرى من القيم الإنسانية التي اعتنى بها الدّين الإسلاميُّ أيَّما اعتناءٍ، وبناء على هذا يمكن أن يقال في تعريفه: **التزود بالمعارف النافعة، والمعلومات المفيدة -أيًّا كان مجالها- بهدف التطوير الذاتي، والنهوض المجتمعي، والرقي الوطني، والتقدم الحضاري الإنساني.**

والعلاقة بين المعاني اللغوية وهذا المعنى الاصطلاحي؛ أن صاحب العلم له علامة تميزه عن غيره، فهو كالراية الشامخة في أعلى الجبل؛ مرفوع القدر والرأس، بيّن في المقام والمقدار.

أهمية العلم:

للعلم أهمية كبرى في الدّين الإسلاميّ، فقد جعله الله تعالى طريقًا إلى كرامته وإكرامه، فقال: ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**﴾ [العلق: 3]، فمن سلك طريق العلم؛ كان ذلك معراجًا له إلى سبل الرِّفعة؛ حتى يُدرِكَ أشرفَ المراتب وأعلى المقامات، قال الله جل جلاله: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: 11].

وتتجلى أهمية العلم فيما يأتي:

1. **اشتقاق اسمٍ من أسماء الله تعالى الحسنى منه**، فهو تعالى عالمٌ بجميع المعلومات والموجودات والمعدومات. قال تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [الأنبياء: 4].
2. **كون الله تعالى هو المعلم الأول**، فقد نسب سبحانه ذلك إلى نفسه في آيات كثيرة من كتابه، كقوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ [الرحمن: 1-4]، وقوله عز وجل: ﴿**عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: 4-5].
3. **أن إكساب العلم وبثه أحد المهام التي بعث بها الأنبياء والمرسلون**، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [الجمعة: 2]. وفي الحديث: «**إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي معلِّمًا ميسِّرًا**»[14].
4. **ذكرُ الله تعالى أدوات العلم في القرآن الكريم**، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿**عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**﴾ [العلق: 4]، وقوله سبحانه: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ [القلم: 1]، **فقد** لفتت الآيتان النّظَرَ إلى سرِّ القلم من

(11) أبو حامد الغزالي، **المستصفى**، ص 21.

(12) ذكر حاجي خليفة في مقدمة "كشف الظنون" للعلم خمسةَ عشر تعريفًا. ينظر: حاجي خليفة، مصطفى عبد الله، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، 4/1.

(13) الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد، **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، ص 25.

(14) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 1478، 187/4.

حيث هو أداةُ الكتابة التي يدوَّن بها العلم ويُحفَظ ويُتَنَاقَلُ على امتداد الزمان والمكان وتتابُع الأجيال [15].

5. **افتتاحُ الله تعالى رسالة السَّماء الأخيرة بالأمرِ بالعلم**، بإنزاله قولَهُ تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ [العلق: 1].
6. **أمْرُ الله تعالى نبيه ﷺ بالاستزادة من العلم خاصَّة دون غيره**[16]، في قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه: 114]، وفيه أدلُّ دليلٍ على نفاسَة العلم وعلوِّ مرتبته وفرطِ محبَّة الله تعالى إيَّاه. فكان ﷺ يسأل الله دائِمًا زيادة العلم، ففي الحديث: «**اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا**» [17]، وهذا دليل على فضل العلم، وحثٌّ على التزوُّد منه ما وجَد الإنسان إلى ذلك سبيلًا[18].

سبل تحصيل العلم:

العلم أغلى ما يعتني الإنسان بتحصيله، وأشرف ما يصرف عمره في نيله، ولقد ذكر العلماء لتحصيل العلم سبلًا نافعة، ولنيله طرقًا ناجعة، منها:

أولًا- الالتحاق بالمؤسسات التعليمية الرسمية: إن الأصل في طلب العلم هو أخذه عن أهله المتخصصين، فالمعلم يأخذ بيد الطالب، ويبين له بم يبدأ؟ وكيف يتعلم؟ ويشرح له الغامض، ويبين له المشكل، ثم إنه يتعلم منه الأخلاق الحسنة، والآداب النافعة؛ بقوله وسمته، ونطقه وصمته، فعندما أرادت أم الإمام مالك رحمه الله تعليمه قالت له: "اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل أن تتعلم من علمه"[19].

وإن المؤسسات التعليمية من مدارس وجامعات تمثل بيئة تعليمية مثالية، تضمن لمن يلتحق بها تحصيلًا معرفيًّا شاملًا ومتكاملًا، يعينه على بناء ذاته، وزيادة معارفه ومعلوماته، واكتساب مهارات حياتية مفيدة، واستكشاف مجالات معرفية جديدة؛ بما توفره من:

- مناهج دراسية غنية علميًّا وآمنة فكريًّا، معدة بحرفية عالية، تلائم مستويات الطلاب وتناسب إمكانهم، مما يطور مستواهم العلمي، ويثري تحصيلهم المعرفي، ويكسبهم مهارات التفكير النقدي البناء.
- وسائل تقنية ومبتكرة وأدوات متطورة، تثري التجربة التعلمية، وتجعل التعليم أكثر سهولة، والمعلومة أسرع وصولًا.

(15) بنت الشاطئ، عائشة محمد، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، 23/2.

(16) الرازي، **مفاتيح الغيب**، 407/2.

(17) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 3599، 578/5. وابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، رقم الحديث: 251، 92/1.

(18) مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، 1072/6.

(19) اليحصبيّ، عياض بن موسى بن عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، 130/1.

- أساليب تعليمية متنوعة، ما بين التلقين، والمناقشة، والأنشطة المدرسية، وغيرها، مما يرسخ المعلومة لدى الطلاب على اختلاف مداركهم، ويعزز التواصل الفعال لديهم، ويبث روح العمل الجماعي فيهم.
- موارد غنية؛ كالمكتبات، والمختبرات، والأدوات التكنولوجية التي تعزز من تجربة التعلم.

إضافة إلى ما تحققه من فوائد، من أهمها:

- الحصول على الاعتراف الأكاديمي.
- بناء مستقبل مهني ناجح.
- تنمية روح الإبداع والابتكار.
- الإسهام في حركة البحث العلمي.
- التمكن من المهارات الحياتية.

ثانيًا- القراءة: وهي من أهم مداخل العلم، وسبل تحصيله؛ لذا كان أول أمر بطلب العلم أمرًا بالقراءة كما سبق من قول الله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ [العلق: 1]، فالقراءة تكسب الثراء العلمي، والتوسع المعرفي، والنضج الفكري، والتجديد المستمر للمعلومات؛ إذ هي في حقيقتها: تجوّل بين عقول الرجال وأفهامهم، و "لا شَيْء أطيب من النّظر فِي عقول الرِّجَال" [20] كما قيل.

ولقد كان العلماء شديدي العناية بالقراءة، عظيمي الاهتمام بها، يقول أحدهم: "غبرتُ أربعينَ عامًا، ما قِلْتُ، ولا بِتُّ، ولا اتكأتُ؛ إلا والكتابُ موضوعٌ على صدري"[21] ويقول آخر: "ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيتُ كتابًا لم أره؛ فكأني وقعت على كنز، ولو قلتُ: إني طالعت عشرين ألف مجلد؛ كان أكثر، وأنا بعدُ في الطلب"[22].

فالذي يريد تحصيل هذه القيمة؛ يلازم الكتاب في كل أحواله وأحيانه [23]؛ يقرأ في تخصصه كثيرًا، ويطلع على باقي التخصصات، لا يغفل منها شيئًا؛ ليتسع اطلاعه، ويطول في العلم باعه. وإن من أعظم ما يوسع المدارك ويفتح الآفاق: مطالعة كتب الفلسفة والمنطق، وكتب التاريخ والسِّيَر، وكتب اللغة والأدب، إضافة إلى كتب التخصصات الكونية الطبيعية، فإنها تزيد العلم وتقوي الإيمان.

ومن تأمَّل حال العلماء في الحضارة الإسلامية وجدَهم يقرؤون في كل فن، ويطالعون في كل علم؛ كعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه، وعلوم اللغة، وعلم الاجتماع والفلسفة والجبر والكيمياء والصيدلة والأحياء والآداب، فبرع منهم في كل ذلك أعلام، وبرز منهم علماء أفذاذ كما سبق. وكذلك فليكن طالب العلم في كل زمان، ليخلف من سبقه، فكم تركَ الأول للآخر! وإن الله تعالى لم يخصَّ بالعِلْم قومًا دون قوم، ولا وَقَفه على زَمَن

(20) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **الأذكياء**، ص 6.

(21) العمري، أحمد بن يحيى، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 363/7.

(22) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **صيد الخاطر**، ص789.

(23) تيسرت اليوم سبل القراءة وتنوعت وسائلها، فمن لم يتمكن من قراءة الكتاب الورقي؛ فإنه يستعين بالكتب الإلكترونية، التي صارت متيسرة عبر الهواتف الذكية، واللوحات الإلكترونية ونحوها.

دون زَمن، بل جعَلَه مشْتركًا مقسومًا بين عباده، يَفتح للآخر منه ما أغْلَقه عن الأَوَّل، وينبّه المُقِلَّ فيه على ما أَغْفَل عنه المكثِر، ويُحيِيه بمتأخِّر يتعقَّب قولَ متقدِّم، وتالٍ يعتبر على ماضٍ[24].

ولا تكونن قراءة طالب العلم إلّا قراءةً نقدية تمحيصية؛ يستشكل فيها ما يطرح الإشكال، ويسأل عما يحتاج السؤال، ليسهم في الحركة العلمية، والتقدم الحضاري.

ثالثًا- التفكروالتأمل: فتح الله تعالى لخلقه في عِلمه المقروء -الوحي- بابَ عِلمه المنظور -الكون-، وفتح لهم بتدبُّر آياته القرآنية أبوابَ التفكُّر في آياته الكونية، فقال سبحانه: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**﴾ [العنكبوت: 20]، وقال: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: 190، 191]، وآيات كثيرة أخرى تفتح أبواب علومِ الكونِ والحياة. فالتفكر باب من أبواب العلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [الأنعام: 97]؛ لذا حث الله تعالى عليه في أكثر من آية، كقوله سبحانه: ﴿**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: 185]، وهذا نصٌّ في الحثِّ على النَّظر في جميع الموجودات، فإنَّ الموجودات إنَّما تدلُّ على الصَّانع لمعرفة صَنعتها، وأنَّه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتمَّ كانت المعرفة بالصانع أكمل، وكأن الشَّرع قد ندب إلى اعتبار الموجودات بالعَقل وتطلُّب معرفتها به، وذلك بيّن في غير ما آية من كتاب الله عز وجل[25]، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ**﴾ [ق: 6]، وقوله: ﴿**أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**﴾ [الغاشية: 17 - 20].

رابعًا- سؤال أهل التخصص: السؤال من أهم مفاتيح العلوم، قال الله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: 43]، وقال النبي ﷺ: «**إنما شِفاءُ العِيّ** [أي: الجهل] **السُّؤالُ**»[26]. فبالسؤال تفتح مغاليق العلم، وتتضح غوامضه، وتزول إشكالاته، روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "العلم قفل مفتاحه السؤال"[27]، وعن ابن شهاب الزهري أنه قال: "العلم خزائن، وتفتحها المسألة"[28]؛ فالتماس العلم لا بد فيه من سؤال أهله، "قيل لابن عباس رضي الله عنهما: بم نلت هذا العلم؟ قال: بلسان سؤول، وقلب عقول"[29].

---

(24) ابن قُتيبة، عبد الله بن مسلم، **إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث**، ص 45.

(25) ينظر: ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد، **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، ص 22.

(26) أبو داود، **سنن أبي داود**، رقم الحديث: 336، 251/1.

(27) ابن المعتز، عبد الله بن محمد، **البديع في البديع**، ص 78.

(28) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، **مسند الدارمي**، 458/1.

(29) الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، ص 70.

وصاحب التخصص في كل فن؛ هو الأهل لأن يُسأل فيفيد، أما غير المتخصص فإما ألا يجيب؛ لأنه لا يعلم، أو يجيب من دون علم فيَزِل ويُزِل، وقد قيل: "إذا تكلم المرء في غير فنِّه؛ أتى بالعجائب!"[30].

خامسًا- الاستفادة من التقنيات الحديثة: تُقدم الوسائل التقنية الحديثة إمكانيات هائلة، تساعد الطالب في الاستزادة من العلوم والمعارف، وتعينه في رحلة البحث العلمي، إن هو استخدمها بحكمة، واستثمرها بعقلانية، دون إفراط فيها، أو تسليم تام لها. ومن أهم الروافد التقنية المتاحة لتحقيق ذلك:

- **المنصات التعليمية الإلكترونية:** فإنها تمثل بيئة تعليمية خصبة، يمكن الرجوع إليها، والاستفادة منها، في توسيع المعرفة، والانفتاح على علوم جديدة، وقد أدخلت وزارة التربية والتعليم في الإمارات على بوابتها للتعلم الذكي (13) منصة تعليمية عالمية، تعتمد على تقنيات الذكاء الاصطناعي، وتمتاز بخصائص تربوية متقدمة، وقادرة على التعرف على مختلف مستويات طلبة المدارس الإماراتية؛ والتكيف مع احتياجاتهم التعليمية والتربوية[31].
- **التطبيقات التعليمية:** لا تخفى أهمية التطبيقات الإلكترونية التعليمية في إثراء المخزون العلمي للطلاب؛ سواء منها:
  - الألعاب التعليمية، التي تستهوي الطلاب، وتستأثر باهتمامهم، لما تحقق لهم من متعة أثناء العملية التعليمية.
  - أو الكتب الإلكترونية التي تتنافس في جذب الطلاب، بما تنهجه من طرق تعليمية ممتعة وأخاذة.
- **الفيديوهات التعليمية:** يتوفر على منصة يوتيوب قنوات تعليمية عدة، تقدم معرفة سهلة وجاهزة، وبطرق حديثة وشيقة، من خلال المحاضرات والدورات في مختلف مجالات المعرفة، مما يتيح للطلاب تنمية معارفهم ومهاراتهم بأقصى قدر ممكن.
- **المكتبات الإلكترونية:** التي تعد أفضل بديل للمكتبات الورقية، لما تتمتع به من سهولة في الوصول إليها، ويسر في البحث عن المعلومة فيها، من خلال الأجهزة الذكية.
- **محركات البحث والذكاء الاصطناعي:** يمكن أخذ المعرفة عن طريق البحث في محركات البحث أو مواقع وتطبيقات الذكاء الاصطناعي مثل: (chat gpt) وغيره، فهي طرق مفيدة لمن أحسن استخدامها، وعرف كيفية استثمارها، وكان قادرًا على تمييز الصحيح من مخرجاتها، ومتسلحًا بالهوية الفكرية السليمة التي تحميه من الانسياق وراء ما قد تحمله من أفكار خاطئة ومتطرفة.

(30) ابن حجر، **فتح الباري**، 584/3.

(31) ينظر: "التربية" تعتمد 13 منصة إلكترونية لدعم "التعلم عن بعد"، مقال منشور بتاريخ: 25 مارس 2020م، موقع الإمارات اليوم، متاح على الرابط: https://2h.ae/lOzs، شوهد بتاريخ: 2024/04/23م.

سادسًا: التعليم والتأليف: إن الإنفاق من كل شيء ينقص منه ويُقِلُّه؛ إلا الإنفاق من العلم فإنه يزيده وينميه، ويكون الإنفاق من العلم بتعليمه تلقينًا أو تأليفًا، ولقد أوْجَب الله سبحانه على كلّ مَن عَلِم شيئًا من الخير أنْ يُظهِره ويَنشره، وجعل ذلك زكاة العِلْم، كما جَعَل الصَّدَقةَ زكاة المال[32]. يقول تعالى: ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ [التوبة: 122]، وعن عبد الله بن عمرو τ أن النبي ﷺ قال: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»[33]، وكذلك الأمر في كل علم نافع ومفيد؛ إذا نشرته بالتعليم أو التأليف؛ نما وزاد، وعمَّ نفعه، وكثر خيره، يقول ابن جماعة رحمه الله: "الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف - مع تمام الفضيلة، وكمال الأهلية - يُطْلِع على حقائق الفنون، ودقائق العلوم؛ للاحتياج إلى كثرة التفتيش والمطالعة، والتنقيب والمراجعة، وهو كما قال الخطيب البغدادي: يثبت الحفظ، ويذكي القلب، ويشحذ الطبع، ويجيد البيان، ويكسب جميل الذكر، وجزيل الأجر، ويخلده إلى آخر الدهر"[34].

ومما يعين على طلب العلم:

أولًا- الالتزام بأخلاقه، ومنها:

- **الأمانةُ العلمية:** فيتحرَّى طالب العلم ومُحبُّه الدِّقَّة والأمانة في النَّقل، وعزو الأقوال والآراء إلى أصحابِها، ولا ينقل عن عالم أو من مصدر ثم يُغفِل ذكرَه عمدًا، بل يحرص على نسبة كل قول إلى صاحبه، وإضافة كلّ نقلٍ إلى مصدره.

ثانيًا- الصبروالاحتمال: فالعلم يحتاج إلى الصبر والمصابرة، "وذلك لأن درجة العلم درجة وراثة الأنبياء، ولا تنال المعالي إلا بشق الأنفس، وفي صحيح مسلم عن يحيى بن أبي كثير، قال: لا يستطاع العلم براحة الجسم[35] ... ومع ذلك فلا يحمِّل نفسه من ذلك فوق طاقتها؛ كي لا تسأم وتمل، فربما نفرت نفرة لا يمكنه تداركها، بل يكون أمره في ذلك قصدًا. وكل إنسان أبصر بنفسه"[36].

ثالثًا- التدرُّج في الطلب: وذلك بالانتقال من مرحلة في العلم أسهل، إلى مرحلة سهلة، ثم إلى الصعب منه شيئًا فشيئًا، فلا يحاول المرء تلقِّي العلوم كلها مرة؛ لأن ذلك مما يشق على الطالب فيضجر وينقطع عن التعلم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الخلق الرفيع في الطلب في قول الله تعالى: ﴿**وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ**

---

(32) ابن قُتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، **إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث**، ص 45.

(33) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 3274، 1275/3.

(34) ابن جماعة، **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**، ص 29-30.

(35) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 612، 104/2. وقد استشكل كثيرون وضع مسلم هذا الأثر في هذا الموضع من كتابه من غير علاقة ظاهرة، لكنَّ القاضيَ عياضًا بين فائدة ذلك فقال: "فكثيرٌ مَن يَسأل عن ذكره هذا الخبر في هذا الموضع وليس منه، ولا هو من حديث النبيّ ﷺ، ولا من شرط الكتاب؟! فقال لنا بعض شيوخنا: إن مسلمًا رحمه الله أعجَبه ما ذَكَر في الباب، وعرَف مقدار ما تعِب في تحصيله وجمعِه من ذلك؛ فأدخَل بينها الخبر تنبيهًا على هذا، وأنه لم يحصل ما ذكَر إلا بعد مشقَّة وتعبٍ في الطلب، وهو بيّن، والله أعلم". اليحصبيّ، عياض بن موسى بن عياض، **إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**، 578/2.

(36) ابن جماعة، **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**، ص 27-28.

الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]، فقد قيل في تفسير "الرباني: هُوَ الَّذِي رَبّي بصغار الْعلم حَتَّى بلغ كباره"[37]، وقال الزهري: "من طلب العلم جملة؛ فاته جملة"[38]. وقال غيره: "ولا يأخذ الطالب نفسه بما لا يطيقه، بل يقتصر على اليسير الذي يضبطه ويحكم حفظه ويتقنه"[39]، وقال أبو حامد الغزالي في معرض بيان أخلاق المتعلم: "ألا يخوض في فن من فنون العلم دفعة؛ بل يراعي الترتيب، ويبتدئ بالأهم ... وألا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله، فإن العلوم مرتبة ترتيبًا ضروريًا، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج ... وليكن قصده في كل علم يتحراه الترقّي إلى ما هو فوقه"[40].

رابعًا- الاستمرار وعدم الانقطاع: إن قيمة العلم يجب أن تلازم المرء طوال حياته، لا ينقطع عنها إلا بالموت، فقد أمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام - بعلو منزلته - بطلب العلم من العبد الصالح، قال العلماء: يستفاد منه "أنه يجب على العالم الرغبة في التزيد من العلم، والحرص عليه، ولا يقنع بما عنده، كما فعل موسى ولم يكتف بعلمه"[41]. ولا يظن المرء - مهما بلغ - أنه وصل مرحلة لم يعد معها مطالبًا بالاستزادة من العلم، قال ابن الجوزي رحمه الله: "أفضل الأشياء التزيد من العلم، فإنه من اقتصر على ما يعلمه فظنه كافيًا؛ استبد برأيه، وصار تعظيمه لنفسه مانعًا له من الاستفادة، والمذاكرة تبين له خطأه"[42].

خامسًا- العمل بما تعلَّم: فإن العمل مما يرسخ العلم، ويبارك فيه، وينفع به؛ إذ العلم شجرةٌ، والعملُ ثمرة، والعلم والدٌ والعمل مولود، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "هتف العلم بالعمل، فإن أجابه، وإلا ارتحل"[43]، فكل من تعلم علمًا وجب عليه تنزيله على واقعه، وتحقيق التنمية والتطوير الذاتي والمجتمعي به، كما كان العلماء السابقون عبر تاريخ الحضارة الإسلامية، فمنهم الطبيب الذي خدم دينه ووطنه بطبه، ومنهم الكيميائي والفيزيائي والمتضلع في علوم الفلسفة والمنطق، وكلهم عملوا بما تعلموا، ونفعوا وطنهم ومجتمعهم والعالم بما أخذوا، وقد تقدم ذكر نماذج منهم في محاضرات سابقة.

العلم والدّين

يحيلنا الحديث عن العلماء المسلمين، والإشارةُ إلى منجزاتهم العلميّة التي أسهموا بها في بناء الحضارة الإنسانيّة، على طبيعة العلاقة بين العلم والدين، في إطارِ التّمييز بين المفهومَيْن وما يختصّ به كلّ منهما من حيثُ الموضوعُ، والمنهجُ، والغاياتُ. فإذا كان العلم يسعى إلى بناء معرفة موضوعية منظّمة بخصوص ظواهر العالم، انطلاقا من منهج واضح وبيّن، وذلك بهدف الوصول إلى القوانين المتحكمة في هذه الظواهر، قصدَ تسخيرها لصالح

(37) السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار، **تفسير القرآن**، 336/1.

(38) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، 232/1.

(39) السابق، 231/1.

(40) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، 52/1.

(41) ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، 160/1.

(42) ابن الجوزي، **صيد الخاطر**، ص 127.

(43) ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، 142/8.

الإنسان، ليحقق بها رفاهيّته وسعادته، ويضمن جودة حياته، فإنّ الدّينَ يشاركُ العلمَ في سعيه إلى تحقيق هذا المقصد، ويتجاوزه إلى مقصد آخر، هو توضيح سُبُل الخلاص، والإجابة عن سؤال المصير.

إنّ العلمَ -بمفهومه الحديث- غلبت عليه السّمة الأداتيّةُ التي حصرت غايتَه في السيطرة على الطبيعة، ثم على الإنسان، والتلاعب بهما. ومن ثم عملت جميع المؤسسات على تطوير العلوم والتقنية؛ إذ اعتقد المحدَثون أن العلم وحده قادر على القضاء على التفاوتات بين الأمم، وتعزيز المساواة بين الشعوب، والارتقاء الحقيقي بالإنسان وتحقيق الخير. غير أن هذا التّصوّرَ لم يكن محركًا للتقدم فحسب، بل أدى إلى تدهور الأخلاق الإنسانية. فوضع حقا مشكلة الأخلاق العلمية موضع تساؤل.

صحيح أن العلم التّقني وفر شروط الراحة وسهل حياة الأفراد في العالم المادي، لكنه بالمقابل أظهر الإنسان في مظاهر لا-أخلاقية. فقد أدى تطور العلوم التقنية في القرن العشرين إلى نتائج لا-إنسانية وتدميرية، فقد غدا العلم تنظيما تعسفيا للإنسانية، فأدى تطور العلم التقني إلى تدهور الوضع الإنساني،لقد وضع العلم قيمه بناء على مبدأ: "كل ما هو ممكن وجب صنعه"، فحول الإمكان إلى وجوب. والحال أن الوجوب، "ما يجب أن يكون"، مبدأ أخلاقي بالأساس. فأدى تطور العلم-بمعناه التّقنيّ الحديث- إلى تدهور الوضع الإنساني، وخاصة الأخلاقي؛ إذ بلغ مداه من خلال التشيؤ والاستلاب، أي المس بالقيم الأخلاقية للإنسان. وهو ما سيقودنا إلى التساؤل عن دور الدين داخل الممارسة العلمية.

هنا يظهر الدين منقذا ومخلصا للبشرية من تغوّل العلم والتقنية، وقد حاول اكوست كونت أن يصنع من نتائج العلم دينا سماه "دين الإنسانية" دينا صالحا للبشرية جمعاء؛ دينا يقدم للإنسان العزاء والطمأنية في هذ العالم، لكن هذا الدين الذي فشل، أولا، لقيامه على العلم وحده، وثانيا، لرفضه للأديان السماوية يجعلنا ننفتح على العلاقة الغنية والتكاملية التي تعرفها علاقة الدين بالعلم في الإسلام، وهي علاقة تشجع على العلم ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[طه: 114]، وترفع من شأن العلماء ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[المجادلة: 11]، وتحرض على البحث العقلي والتجريبي، وتدعو المسلمين إلى ارتياد الآفاق بالعلم ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ**﴾[الرحمن:33]، وغير ذلك من الآيات الكريمات التي تحقق التكامل بين العلم والدين، فتحفظ للعلم مقامه، لأنه طريق عمارة الأرض التي كلف الإنسان بها،﴿ **هوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾ [هود: 61]، وتحرس العلم بقيمه الكبرى حتى لا يزيغ عن رسالته في عمارة الأرض فيسعى إلى تدميرها، ﴿ **ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**﴾ الأعراف:56، وتحافظ للإنسان على جوهر إنسانية كائنا عاقلا مفكرا مريدا حرا كريما ضدا على استعباد التقنية له واستلابها إرادته وحريته. ﴿**ولَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وحَمَلْناهم في البَرِّ والبَحْرِ ورَزَقْناهم مِنَ الطَّيِّباتِ وفَضَّلْناهم عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا**﴾ [الإسراء:70].

إن الدعوة إلى علاقة تكاملية بين الدين والعلم هي الكفيلة وحدها بإنقاذ البشرية من خطر التّقنية الجارف، والحفاظ في العلم على جانبه النفعي الخادم للإنسان، وتعميق إنسانية الإنسان بجعل العلم الطريق إلى معرفة الله وحسن عبادته، وكذا تعميق الفضائل الإنسانية المتمثلة في الحكمة والشجاعة والعفة والإيثار والكمال والكرم والطموح الخَلّاق، فالعلم بلا دين و لا أخلاق هو خراب للنفوس، وإفناءٌ للأرواح، ودمارٌ للإنسانيّة جمعاءَ.

دولة الإمارات العربيّة المتّحدة والعلم

تبذلُ دولة الإمارات العربية المتحدة، بالرؤية المتبصّرة لقيادتها الرشيدة، جهودًا كبيرة في سبيل تعزيز البحث العلمي والتطور التكنولوجي في مختلف المجالات؛ انطلاقًا من رؤيتها المستقبلية، ففي المحور الثاني من مئوية الإمارات 2071 إشارة واضحة إلى أهمية هذا الجانب التطبيقي في تعليم المستقبل الرامي إلى " تعزيز تدريس العلوم والتكنولوجيا المتقدمة، لا سيما في مجالات الفضاء والهندسة والابتكار والعلوم الطبية والصحية، وترسيخ القيم الأخلاقية والتوجهات الإيجابية، التي تُعلي من مستوى الاحترافية والمهنية في المؤسسات التعليمية، وبناء عقول منفتحة على تجارب الدول المتقدمة، ووضع آليات لاستكشاف المواهب الفردية للطلبة منذ المراحل الدراسية الأولى، وتمكين المدارس لتكون بيئة حاضنة في مجال ريادة الأعمال والابتكار، وتحويل المؤسسات التعليمية في الدولة إلى مراكز بحثية عالمية. "[44] هذا فضلاً عن استضافتها ورعايتها العديد من المؤتمرات والمعارض الدولية في مجالات العلوم والتكنولوجيا، والتي تسهم في تعزيز التبادل العلمي وتطوير المعرفة في الإمارات وخارجها.[45]

ولقد بدأت جهود دولة الإمارات العربيّة المتّحدة تؤتي ثمارَها العلمية بشكل ملحوظ؛ إذ بوّأتْهَا المركز الأول عربياً، والخامس والعشرين عالمياً في تقرير التنافسية العالمية لسنة 2019 (باللغة الإنجليزية)، الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي.[46] كما تبوّأت دولة الإمارات مؤخرًا المركز الأول إقليمياً في تقرير مؤشر التنمية البشرية 2024/2023، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، متقدّمة في الترتيب العالمي بتسعة مراكز مقارنة بتصنيفها في التقرير السابق، وحلت في المركز السابع عشر عالمياً من بين مئة وثلاثة وتسعين دولة شملها التقرير، متقدّمة على دول مثل كندا، والولايات المتحدة الأمريكية، واليابان.[47]

---

(44) https://uaecabinet.ae/ar/uae-centennial-plan-2071

(45) . "Science and Technology in the UAE: Building Science Capacity and Supporting Innovation"، بقلم مجموعة من الكتّاب. النشر في: Arabian Humanities. السنة: 2014. تقدّم هذه الدراسة نظرة شاملة على جهود دولة الإمارات في تطوير العلوم والتكنولوجيا، وكيفية بناء القدرات العلمية ودعم الابتكار.

(46) . "Science in the UAE: Current Status and Future Prospects"، بقلم Jamal Al-Khalili وآخرون، النشر في: Nature Middle East. السنة: 2018. يقدّم هذا المقال تحليلاً شاملاً لحالة العلوم في دولة الإمارات والتطورات المستقبلية المتوقعة، مما يسلط الضوء على الجهود المستمرة لتعزيز البحث العلمي والتقني في المنطقة.

(47). المركز الاتحادي للتنافسية والإحصاء، https://fcsc.gov.ae/ar-ae/

ومن أهمّ المؤسسات الإماراتية البارزة عالمياً في المجال العلمي والتكنولوجي:

1. **مؤسسة الإمارات للعلوم والتقنية المتقدّمة**[48]: تعد هذه المؤسسة من أبرز المؤسسات العلمية في الإمارات، إذ تقدّم دعمًا قويًا للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي في مجموعة متنوعة من المجالات، بما في ذلك الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات. وتلتزم هذه المؤسسة بتعزيز ثقافة البحث العلمي والابتكار التقني، انسجاماً مع أهداف ورؤية الحكومة الرشيدة، المتمحورة حول بناء اقتصاد مستدام قائم على المعرفة، لذا بادرت بفتح المجال أمام كل متفوق إماراتي، يرغب في خوض هذا المجال، عبر إطلاق منحة "انطلق" المخصّصة لطلبة الثانوية العامة والجامعات المتفوقين في مختلف الاختصاصات الهندسية، مثل الهندسة الميكانيكية، والكهربائية والإلكترونية، والكيميائية، وهندسة الكمبيوتر، والبرمجيات، والاتصالات، إضافة إلى علوم الفضاء والفيزياء، فكانت النتيجة أنّ 95 % من المهندسين العاملين على تطوير المشاريع التي أطلقتها "إياست" هم من خريجي جامعات الدولة.

2. **مركز خليفة للتقانات الحيوية والهندسة الوراثية**[49]: قطع مركز خليفة للتقانات الحيوية والهندسة الوراثية شوطاً طويلاً منذ افتتاحه عام 2014 في سبيل تحقيق الريادة في مجال الهندسة الوراثية والتقانات الحيوية للنباتات من خلال الاكتشاف والابتكار العلمي لإنتاج وتعديل النبات بسمات زراعية واقتصادية. حيث تعتمد مهمة المركز على دراسة الجينوم بهدف تطوير إنتاج المحاصيل وتحقيق الأمن الغذائي.

3. **مركز محمد بن راشد للفضاء**[50]: بدأت مسيرة مركز محمد بن راشد للفضاء في العام 2006 ليكون الجهة المعنية باحتضان برنامج الإمارات الوطني للفضاء، وقد تولّى المركز مهمات بناء وتطوير وتشغيل عدد من الأقمار الاصطناعية لرصد الأرض وتوفير خدمات الصور وتحليلها ودراستها وتقديم البيانات ذات الصلة للمجتمعات العلمية ومراكز البحث حول العالم. ومن الأقمار الاصطناعية التي يمتلكها المركز "دبي سات-1" و "دبي سات-2"، كما أطلق المركز عام 2018 "خليفة سات"؛ أول قمر اصطناعي إماراتي بالكامل، مِيطاً اللُّثُمَ عن خُطته لتطوير القمر الاصطناعي الجديد "MBZ-SAT" ليكون الأحدث في المنطقة في مجال التصوير عالي الدقة.

4. مرصد المُستقبل[51]: تمّ إطلاق هذا المرصد عام 2016 ، وهو منصة علمية عربية، مختصة في رصد ونشر أحدث المستجدات العالمية يومياً في مجالات علوم الفضاء والذكاء الاصطناعي والصحة والواقع الافتراضي وغيرها الكثير، من خلال الدراسات، والمقالات البحثية، والرسوم البيانية، والمواد المرئية التفاعلية باللغة العربية المُبسّطة. بالإضافة إلى نسخة إنجليزية لهذه المنصة متاحة عبر الموقع الإلكتروني.

(48) . https://www.argaam.com/ar/article/articledetail/id/987668 الموقع الرسمي

(49). https://www.uaeu.ac.ae/ar/research/centers/kcgeb/ الموقع الرسمي

(50). https://www.mbrsc.ae/ar/homepage-ar/ الموقع الرسمي

(51). https://futurism.com الموقع الرسمي

5. **منصة الإمارات للمختبرات العلمية:** أطلقت حكومة دولة الإمارات منصة الإمارات للمختبرات العلمية في عام 2018 لتعمل على ربط المختبرات في الدولة بالعلماء والخبراء، وتوفير فرصة للعلماء للوصول بشكل مباشر وسريع إلى أكثر من مئة وخمسين جهاز بحث دقيق موزّع في أرجاء الدولة، بالإضافة إلى معدّات وأجهزة بحثية ذات مستوى عالمي، بهدف تعزيز مجهود البحث العلمي المحلي، ودعم الباحثين والأكاديميين، وتطوير القدرات العلمية والتكنولوجية في دولة الإمارات.[52]

6. **مركز محمد بن راشد لأبحاث المستقبل**[53]: يشكّل هذا المركز منصة عالمية صُمِّمت من قبل مؤسسة دبي للمستقبل لخلق التواصل بين العلماء الشباب في دولة الإمارات، وكافة العلماء حول العالم من أجل تبادل المعارف وابتكار فرص جديدة من خلال البحوث العلمية المتقدّمة المتاحة عبر شبكة الإنترنت، واستثمار نتائج البحوث في الارتقاء بجودة الحياة البشرية، وبناء مجتمعات معرفية مزدهرة.

يقدّم مركز محمد بن راشد لأبحاث المستقبل مفهوماً جديداً للتعاون العلمي من خلال تبني الأبحاث التشاركية بين العلماء ويسعى إلى:

- تحقيق بحوث علمية أسرع بعشر مرات (10X) من البحوث التقليدية
- خفض تكاليف البحوث بنسبة 70%
- تسريع عملية البحث العلمي بنسبة 50%

ويأتي إطلاق هذا المركز دعماً لتطوير قطاع الصناعات الفضائية والعلوم المتقدّمة في دولة الإمارات، بما يتوافق مع "مئوية الإمارات 2071" التي تهدف إلى أن يكون لدولة الإمارات موقع متميّز في مختلف القطاعات بحلول الذكرى المئة لقيامها، ومما يدعم تطوير هذا القطاع كذلك "مدينة المريخ العلمية" التي أطلقت بعد الاجتماعات السنوية لدولة الإمارات، و"مشروع المريخ 2117" الذي يسعى للإسهام في الوجود البشري على الكوكب الأحمر.

ولتحقيق الفائدة القصوى واستثمار العقول العلمية الناهضة يقدّم المركز مِنَحاً ميسّرة لأفضل الباحثين في جميع أنحاء العالم، مساهمة منه في تسريع وتسهيل عملية التمويل العلمي، ما يتيح للباحثين التركيز على أهمّ تحدّيات القرن الحادي والعشرين . كذلك يعمل المركز بشكل مفتوح على نشر كافة أبحاثه ونتائجها للمجتمعات الأكاديمية والبحثية حول العالم.

(52). البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، تحفيز التقدم العلمي والتكنولوجي في الدولة، https://u.ae/ar-ae/about-the-uae/science-and-technology/inspiration-behind-the-advancement

(53). مؤسسة دبي للمستقبل، https://www.dubaifuture.ae/ar/insights/h-h-mohammed-bin-rashid-launches-centre-dedicated-to-future-research/

وتأتي جهود دولة الإمارات العربية المتحدة في تمكين العلوم التجريبية منبثقةً من رؤاها الرامية إلى تمكين الأجيال لبناء دولة علمية قوية ، بحيث تكون قادرة على مواكبة تحديات المستقبل، وضمان استمرارية التنمية، واستدامة السعادة لعقود طويلة، وذلك انطلاقا من المعرفة بوصفها المكون الاقتصادي الأهم.

قيمة الحكمة

الحكمة قيمة عليا من القيم الإنسانيّة التي اهتمّ به الدّين الإسلاميّ، وسمة رئيسة من سمات الإنسان العاقل، وهي ثمرةٌ من ثمرات العلوم المتنوعة، والتجارب الطويلة، والخبرات المتراكمة، وأثر من آثار الفهم العميق، والتفكير الناضج، والإدراك الواعي، الذي يؤدي إلى الأقوال المتزنة، والتصرفات القويمة، والقرارات الصائبة؛ في مختلف مجالات الحياة ومناحيها.

تعريف الحكمة:

لغة: تأتي في اللغة على معان عدة:

1. **المنع والتحكم:** قال ابن فارس: "الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حَكَمَةُ الدابة[1]؛ لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها ... والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل"[2].
2. **القضاء والتصرف**[3]: قال ابن الأثير: "في أسماء الله تعالى الحكم والحكيم؛ وهما بمعنى الحاكم، وهو القاضي"[4]. وقال الأزهري: "الحكم: القضاء بالعدل"[5].
3. **الإتقان والإحكام:** ومنه قيل لمن يحكم الأشياء ويتقنها: حكيم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم[6].
4. **المعرفة والعلم:** قال ابن الأثير: "والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم"[7].
5. **الشأن والقدر:** ومنه قيل: "رفع الله حكمته؛ أي: قدره ومنزلته، كما يقال: له عندنا حكمة، أي: قدر"[8].

واصطلاحًا: عرفت الحكمة بتعريفات عدة؛ من أهمها:

- "العِلْمُ بحَقائق الأَشْياءِ على مَا هِيَ عَلَيْه، والعَمَلُ بُمُقْتَضاها"[9].
- "تركُ ما لا ينبغي، وفعلُ ما ينبغي"[10].

---

(1) هي "حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه، تمنعه عن مخالفة راكبه" ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 420/1 (حكم).
(2) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 91/2 (حكم).
(3) ينظر: مجموعة من المؤلفين، **المعجم الوسيط**، 190/1 (حكم).
(4) ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 418/1 (حكم).
(5) الأزهري، **تهذيب اللغة**، 69/4 (ح ك م).
(6) ينظر: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 419/1 (حكم).
(7) السابق.
(8) السابق، 420/1 (حكم).
(9) الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، 512/31 (حكم).
(10) الرازي، **مفاتيح الغيب**، 422/2.

- "الإتيان بالفعل الذي عاقبتُه محمودة"[11].
- "الإصابة في القول والفعل"[12].

وبمجموع ما سبق؛ يظهر أن الحِكمة نوعان:

- **الحكمة العِلمية**: هي إدراك حقائق الأشياء ومعانيها ومرامِيها.
- **والحكمة العمَليَّة**: هي وضع الشَّيء في موضعه[13].

والعلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية: أن الحكيم ينطلق من معرفة وبصيرة، تمنعه عن كل ما لا يليق، وتدفعه إلى الإحسان والإتقان، فلا يتصرف إلا بما هو حق، ولا يقضي إلا بما هو عدل، وبذلك ترفع مكانته بين الناس ويعظم فيهم قدره وشأنه.

أهمية الحكمة:

للحكمة أهمية كبيرة في حياة الإنسان؛ حيث تعد دليلًا هاديًا يوجه سلوكه نحو التصرفات السليمة، واتخاذ القرارات الصائبة، ومواجهة التحديات الحياتية، بوعي وبصيرة، كما أنها تعينه على بناء شخصية ناضجة ومُحَصّنة، معتدلة ومتزنة، وتعزز لديه القدرة على التفكير العميق، والتأمل في العواقب، وهي سبيل قويم من سبل بناء العلاقات الصحيحة والمتوازنة مع الآخرين، تسهم في تعزيز التفاهم والتعاطف والاحترام المتبادل، والحكمة عامل رئيس من عوامل النجاح في مختلف مجالات الحياة، قال بعضهم: "الحكمة من جملة مسالك النجاح، ومدارك الفلاح"[14]. وهي وسيلة ناجعة في الوقاية من المخاطر والمشكلات، وتتجلى أهمية الحكمة فيما يأتي:

1. **اهتمام القرآن الكريم بها:** فقد اهتم القرآن الكريم بالحكمة اهتمامًا بالغًا وملحوظًا؛ حيث وردت مادتها في مئتين وثمانية مواضع منه، ووردت بلفظها في عشرين موضعًا.
2. **أنها من صفات الله تعالى:** فمن مادتها اشتُقَّ اسم الله تعالى الحكيم، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: 18]، قال الأَزهري: "مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ: الحَكَمُ والحَكِيمُ والحاكِمُ، وَمَعَانِي هَذِهِ الأَسماء متقارِبة، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَراد بِهَا، وَعَلَيْنَا الإِيمانُ بأَنها مِنْ أَسمائه"[15].
3. **أنها من صفات كتاب الله تعالى:** فقد وصف سبحانه وتعالى القرآن الكريم بالحكمة فقال: ﴿**يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**﴾ [يس: 1-2]؛ وذلك لأنه كلام الحكيم جل جلاله، المشتمل على الصواب

(11) السابق، 422/2.

(12) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 576/5، وابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، **تفسير القرآن العظيم**، 531/2.

(13) الهروي، **منازل السائرين**، ص 78.

(14) الغزي، محمد بن محمد، **حسن التنبيه لما ورد في التشبيه**، 184/1.

(15) ابن منظور، **لسان العرب**، 140/12 (حكم).

والحكمة، والناطق بها[16]، ولأنه محكم لا اختلاف فيه ولا اضطراب[17]، لا يتعرض للبطلان والتناقض[18].

4. **أن الله تعالى امتن بها على أنبيائه والصالحين والعقلاء من عباده:** فالحكمة مضمون رسالتهم، وأسلوب تعاملهم، قال سبحانه عن إبراهيم عليه السلام وآله: ﴿**فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [النساء: 54]، وقال على لسان عيسى عليه السلام: ﴿**قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ**﴾ [الزخرف: 63]، وقال عن نبيه داود عليه السلام: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ**﴾ [ص: 20]، وقال عن لقمان الحكيم: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**﴾ [لقمان: 12].
5. **أنها من المهام الرسالية العظمى للأنبياء عليهم الصلاة والسلام**[19]، قال تعالى عن سيدنا ونبينا محمد ﷺ: ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [الجمعة: 2]، قال أبو حيان: "﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**﴾ الْقُرْآنَ، ﴿**وَالْحِكْمَةَ**﴾: الشَّرِيعَةَ وَبَيَانَ الْأَحْكَامِ"[20]، وأمر نبيه ﷺ بأن يتبع أسلوب الحكمة في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته، فقال جل جلاله: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ [النحل: 125].
6. **أنها مجمع الفضائل:** فقد جعل سبحانه وتعالى الحكمة مجمع كل خير، ومنتهى كل فضل، فقال: ﴿**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [البقرة: 269]، فأكملُ النّاس بعد الأنبياء؛ أوفرهم من الحكمة نصيبًا، وأكملهم منها ميراثًا. والحكمة هي الميزان الذي بنى الله سبحانه الوجود عليه، وبها تنتظم حياة الناس ومعيشتهم، ويتحقق أمنهم واستقرارهم، وتماسكهم وتلاحمهم.

وسائل اكتساب الحكمة:

الحكمة ينالها الإنسان بسلوك سُبُلها، واتخاذ أسبابها، ومن أهمها:

1. **الاجتهاد في طلب العلم:** قرن الله تعالى في كثير من مواضع القرآن الكريم بين الحكمة والعلم، فقال جل جلاله عن يوسف عليه السلام: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ [يوسف: 22]، وقال عن لوط عليه السلام: ﴿**وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ [الأنبياء: 74]، وقال عن سليمان وداود عليهما السلام: ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ [الأنبياء: 79]، وقال عن موسى عليه السلام: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ [القصص: 14]، قال الزجاج: "أي: جعلناه حكيمًا

(16) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، 184/17 - 185.
(17) ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 419/1 (حكم).
(18) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 5/15.
(19) الشافعي، **الرسالة**، ص 32، 78.
(20) أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، 626/1.

عالمًا"[21]. وقد فسر الرازي الحكمة بالعلم، فقال: "الحكمة هي العلم الذي يتصل به الفعل، فإن من يعلم أمرًا ولم يأت بما يناسب علمه، لا يقال له حكيم، فالفاعل الذي فعله على وفق العلم هو الحكيم"[22]. وذلك أن العلم نور، يدرك به صاحبه الحقائق، ويساعده على توسيع مداركه المعرفية، ويعينه على فهم مختلف جوانب الحياة، وينمي لديه مهارات التفكير النقدي البناء، ويعزز فيه القدرة على حل المشكلات، ويرسخ لديه قيم التأني والتُّؤَدة والتأمل وعدم التعجل، فيفهم الأمور بعمق، ويحيط بكل أبعادها، ويحللها بشكل شامل، مما يؤدي إلى تصرفات سليمة، وقرارات صائبة، وهذا هو جوهر الحكمة، ولأجل هذا فقد مَيّز الله تعالى بين العلماء وغيرهم؛ لأنهم يدركون وجه الحكمة في الأقوال والأفعال، فقال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: 9].

2. **الخبرة والتجربة:** فالخبرات المتراكمة، والتجارب المتكررة، والمرور بالمواقف المتنوعة؛ من أعظم المعينات على اكتساب الحكمة، وذلك أن أصحاب الخبرات والتجارب:

- يعلمون الأمور النافعة فيأتونها، والضارة فيجتنبوها، قال ابن حجر: "من جرب الأمور؛ علم نفعها وضررها، فلا يفعل شيئًا إلا عن حكمة"[23]. فالحكمة حصانة للإنسان من التطرف الفكري والانحراف السلوكي بكافة أشكالهما وأبعادهما.
- يتعلمون من الأخطاء والتحديات التي يمرون بها، ويتقنون سبل تجاوزها وتخطيها، ومن ثم قيل: "المرء لا يوصف بالحكمة ولا يترق إلى درجتها؛ حتى يركب الأمور ويجربها، فيستبين مواضع الخطأ فيجتنبها"[24]. ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**»[25].
- تتشكل لديهم بصيرة بعواقب الأمور، وتفكّر في المآلات والنتائج، ويكوّنون رصيدًا كبيرًا من الطرق والكيفيات التي تمكنهم من تفادي المشكلات.
- يتميزون بفهم عميق للنفوس والشخصيات، ومعرفة دقيقة بالبيئة المحيطة، وإحاطة بمختلف جوانب الحياة، مما يساعدهم على حسن التعامل مع الطبائع المختلفة والمواقف المتنوعة في البيئات المتعددة بحكمة ورشد. وقال الحكيم الترمذي: "الحكمة نور يكشف عن مكنون الأمور، ولا تستكمل الحكمة حتى يطالع المرء الأمور بمباشرة النفس، فالحكيم يرى عواقب الأمور وزينها وشينها، فإذا رأى ذلك بالجوارح كان ذلك

(21) الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، 99/3، وينظر: الماوردي، **النكت والعيون**، 21/3.

(22) الرازي، **مفاتيح الغيب**، 543/24.

(23) ابن حجر، **فتح الباري**، 530/10.

(24) الخطابي، **غريب الحديث**، 618/1.

(25) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 6133، 31/8.

عيانًا لا يرفع ولا ينسى، فبعد التجارب تستكمل الحكمة؛ لأنها كانت قبل التجربة معاينة القلب فصارت معاينة العين، وكان ذلك علم اليقين فصار الآن عين اليقين، ولهذا قيل: إن العقل بالتجارب"[26].

3. **إدامة مطالعة كتب الحكمة:** فمن خلالها يطلع القارئ على قيم الآخرين وحكمهم، وتجاربهم، ومواقفهم، ومن أهم ما يقرأ ويطالع من أجل اكتساب الحكمة واكتنازها:

- **القرآن الكريم:** فالقرآن الكريم ينبوع الحكمة الإلهية، فهو كلام الله حكيم الحكماء، وعليم العلماء، قال تعالى: ﴿**وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**﴾ [يس: 2]، ضمنه سبحانه حِكمًا بالغة، وأورد فيه سيَر الحكماء من الأنبياء والصالحين، وما اشتملت عليه قصصهم من توجهات حكيمة، ودروس مفيدة، وتجارب حياتية ناجحة، ولكي يحظى القارئ بِحِكَمِ القرآن؛ لا بد أن يديم تلاوته، ويستديم تدبُّر معانيه وآياته.
- **السيرة النبوية:** فقد أرسل الله تعالى نبينا محمدًا ﷺ ليعلِّم الناس الحكمة على كافة المستويات؛ القولية منها والعملية، قال تعالى: ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [البقرة: 129]، فكان ﷺ أحكم العقلاء، وأعقل الحكماء، ينطق بالحكمة، ويتصرف بحكمة، مع القريب والبعيد، والموافق والمخالف، فسيرته ﷺ مليئة بالمواقف والتصرفات الحكيمة، التي ينهل منها المؤمن ما يكون به حكيمًا في جميع شؤونه وأحواله.
- **سيَر الحكماء:** قصَّ علينا القرآن الكريم سيرة لقمان الحكيم، وأنبأنا بجانب من حِكمه البالغة، ووصاياه الحكيمة لابنه وهو يعظه، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**﴾ [لقمان: 12]، وفي ذلك إشارة إلى مطالعة سير الحكماء، ممن لهم قدم راسخة في العلم، وتجربة طويلة في الحياة، ومواقف تنمُّ عن تعقُّل وبُعد نظر، للاهتداء بحكمهم، وتمثل قيمهم ومبادئهم وأخلاقهم، والاستقاء من مواعظهم ودروسهم وعبرهم، ما يفيد منه المرء في دينه ودنياه.
- **كتب الحِكَم والأمثال:** فإنها تعَد كنزًا ثقافيًّا يزخر بالقيم والحكم؛ تتضمن صفوة كلام الحكماء، وتقدم لمحة عن معاييرهم الاجتماعية، ومبادئهم الأخلاقية، وخلاصة تجاربهم، كل ذلك في عبارات مركَّزة ومعبِّرة، دقيقة في الصياغة، غزيرة في المعاني، تعكس فهمهم للحياة، وأساليب تعاملهم، مما يمكن القارئ من الغوص في أعماق الثقافات المختلفة، يستلهم منها

(26) الحكيم الترمذي، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول**، 297/2.

القيم العليا، والمبادئ الراقية، والتجارب الفائقة؛ ما يثري فكره، ويوسع مداركه، ويعمق وعيه.

4. **مجالسة الحكماء:** فمجالسة الحكماء، والاطلاع على أحوالهم، والإنصات إلى أقوالهم، والاستفادة من تصرفاتهم ومواقفهم سواء في المجالس أو المتلقيات العلمية أو نحوها؛ من أعظم المعينات على اكتساب الحكمة، قيل لبعض العلماء: أي الأمور أمتع؟ قال: "مجالسة الحكماء، ومذاكرة العلماء"[27]. وروي عن لقمان الحكيم أنه أوصى ابنه فقال: "يا بني، جالس العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله تبارك وتعالى يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء"[28]. وقال أبو جُحَيفة: "جالسوا الكُبراء، وخالطوا الحكماء، وسائلوا العلماء"[29]. "أي: اختلطوا بهم في كل وقت؛ فإنهم المصيبون في أقوالهم وأفعالهم، ففي مداخلتهم تهذيب للأخلاق"[30]. وبمخالطتهم يقتبس المرء منهم صفوة علمهم، وخلاصة تجاربهم، وعصارة خبرتهم، فيسهل عليه معرفة أهدافه وغاياته، ويتجنب المزالق ويتخطى العوائق، قال أبو العباس بن عطاء: "من أراد أن يستضيء بنور الحكمة، فليجالس الحكماء، وليلاق بها أهل الفهم والعقل"[31].

5. **استشارة أصحاب الحكمة:** ذوي العقول الراجحة، والتجارب السابقة، والأفكار السليمة، والأمانة التامة، فإن طلب مشورتهم والتماس رأيهم؛ خاصة في المواقف المعقدة، والقضايا المهمة، والمستجدات الطارئة، له أهميته الواضحة، وفائدته المرجوَّة، فإن المستشير "يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء"[32]، كما أن استشارتهم توسِّع مداركه، وتمكِّنه من الفهم الشامل لما يهمه، والنظر إليه من زوايا مختلفة، وتفتح له آفاقًا من الحلول متعددة، وتوقفه على نقاط القوة في أمر مشورته فيركز عليها، وعلى نقاط الضعف فيجتنبها، مما يسهم في اتخاذ قرارات سليمة، وحلول حكيمة، قال عمر بن عبد العزيز: "إن المشورة باب رحمة، ومفتاح بركة، لا يضل معها رأي"[33]. وقال بعض الحكماء: "إذا أشكلَت عليك الأمور؛ فارجع إلى رأي العقلاء، وافزع إلى استشارة العلماء، فَلَأَنْ تسألَ وتسلم، خيرٌ لك من أن تستبد وتندم، وينبغي أن تكثر من استشارة ذوي الألباب لا سيما في الأمر الجليل، فقلما يضل عنهم رأي، أو يذهب عنهم صواب"[34].

(27) الحكيم الترمذي، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول**، 297/2.

(28) الأصبحي، مالك بن أنس، **الموطأ**، رواية: أبي مصعب الزهري، رقم الحديث: 2117، 181/2.

(29) ابن أبي شيبة، **المصنف**، رقم الحديث: 27243، 208/14.

(30) المناوي، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، 485/1.

(31) أبو نعيم الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، 303/10.

(32) الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، ص 300.

(33) المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، 2/4.

(34) الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، ص 303.

6. **المشاركة في الندوات والمؤتمرات العلمية:** التي تناقش قضايا الفكر والثقافة والقيم، فهي بمنزلة نوادٍ مكتنزة بالعلم، ومنصات مفعمة بالحِكَمِ، تمكّن الإنسان من تبادل الأفكار مع غيره، والاطلاع على وجهات النظر المتعددة، مما يغذّي عقله، ويثري ثقافته، ويُقَوّم سلوكه، ويوسع آفاقه، ويبني شخصيته، فتجعل منه حكيمًا متكامل أركان الحكمة؛ في تفكيره، وأقواله، وأفعاله، وسائر ما يصدر منه، قال أحد الحكماء: "غَنِمَ من أدَّبته الحكمة، وأحكمَته التجربة"[35].

7. **المشاركة في الأنشطة الاجتماعية، والتطوعية:** فهي فرصة لاكتساب الخبرات العملية، والمهارات الحياتية، وتعزيز القدرات التواصلية، وتنمية الحس بالمسؤولية، وتعميق الفهم للحياة، والوقوف على طرق التعامل مع مختلف الظروف والأحوال، بحكمة ودراية، وتأنٍّ وروية.

ومما تتأكد معرفته أن اكتساب الحكمة رحلة طويلة، وطريق ممتدة، تتطلب الصبر والمثابرة، والمران والدربة، وتحمل أعباء طلب العلم، ومخالطة أهل العقل والحكمة، والاستفادة من توجيهاتهم، والحرص على التأمل والتدبر في تجارب الحياة، والاستشعار الدائم بالحاجة إلى التعلم المستمر والمستدام.

* * *

(35) التوحيدي، علي بن محمد، **الإمتاع والمؤانسة**، ص 258.

قيمة الرَّحمة

الرّحمة من القيم الإيمانية الرَّاقية، والمبادئ الإنسانية السامية في الدّين الإسلاميّ، اتصف بها الخالق سبحانه، وأرسل بها رسله وأنبياءَهُ، وأودع معانيها ومضامينها كُتبَه ورسالاته، وركَزها سبحانه في نفوس خلقه وفطَرهم عليها، فهي قوة داخلية، ورحابة نفسية، تتكامل مع قيم العدل والحزم، فلا تعني - بحال من الأحوال - التهاون أو الضعف، فصاحب القلب الرحيم يجمع في معاملاته بين الحزم واللطف، والجد والعطف، حسب ما تقتضيه المصلحة الخاصة والعامة.

والرحمة قيمة تدل على سلامة صدر صاحبها، ونقاء سريرته، وصفاء قلبه، وتتجلى مظاهرها في الشفقة على الناس، والرفق بهم، وحسن التعامل معهم، والمبادرة إلى قضاء حوائجهم، والمسارعة إلى إنماء كل خير وبر لهم، وتظهر آثارها في علاقات اجتماعية متماسكة، ومجتمعات إنسانية متلاحمة، وعالم تسوده المحبة والتعاون والسلام.

تعريف الرحمة:

لغة: تأتي لمعان عدة، أهمها:

1. **الر أفة والعطف والرقة:** قال ابن فارس: "الراء والحاء والميم أصل واحد، يدل على الرقة والعطف والرأفة ... ومنه سميت رحم الأنثى رحمًا؛ لأن منها يكون ما يرحم ويرق له من ولد"[1].
2. **القر ابة:** سُمُّوا بذلك "لكونهم خارجين من رحم واحدة"[2].
3. **الإحسان:** ومنه: "رحم الله فلانًا"، أي: أحسن إليه، وتفضل عليه، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال[3].

واصطلاحًا: عُرِّفت بتعاريف عدَّة؛ من أهمها:

- قال الجاحظ: "خُلُق مركَّب من الودِّ والجَزع، فهي محبَّة للمرحوم، مع جزع من الحال الَّتي من أجلها رُحِم"[4].
- وعرَّفها الراغب بأنها: "رقَّة تقتضي الإحسان إلى المَرْحُومِ"[5].
- وقال الكفويّ: "هِيَ حَالَة وجدانية تعرض غَالِبًا لمن بِهِ رقة القلب، وَتَكون مبدأ للانعطاف النفساني الَّذِي هُوَ مبدأ الْإِحْسَان" [6].

(1) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، 498/2 (رحم). بتصرف يسير.
(2) السابق.
(3) السابق.
(4) الجاحظ، عمرو بن بحر، **تهذيب الأخلاق**، ص24.
(5) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص347.
(6) الكفوي، **الكليات**، ص471.

وبناء على ذلك؛ يمكننا تعريف الرحمة: بأنها خُلق إنسانيٌّ مركَّب من المحبة والشفقة، يتمثل في إرادة الخير للغير، وينتج عنه بذلُ الإحسان له.

أهمية الرَّحمة:

الرحمة خلق أساس ومحوري، اتصف به رب العالمين، وأرسل به الأنبياء والمرسلين، وانطوت عليه تعاليم الكتب السماوية، جعله سبحانه مرتكزًا يغذي الروابط الإنسانية، ويعزز السلم الاجتماعي. وتتجلى أهمية الرحمة في مظاهر عدة، من أهمها:

- **اشتقاق اسمَي الله (الرحمن الرحيم) من مادة الرحمة، واتصافه جل جلاله بها:** قال ابن الأثير: "﴿**الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ**﴾ [الفاتحة: 3] اسمان مشتقان من الرحمة، وهما من أبنية المبالغة، ورحمان أبلغ من رحيم"[7]. فرحمته سبحانه فوق كل رحمة، قال تبارك اسمه: ﴿**وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [يوسف: 92]، وسعت رحمته كل شيء، قال تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: 156]، قال الفيروزآبادي: "الرَّحمةُ سبب واصلٌ بين الله وبين عباده، بها أَرسل إليهم رُسُله، وأَنزل عليهم كُتُبه، وبها هداهم، وبها أَسكنهم دار ثوابِه، وبها رزقَهم وعافاهم"[8]. تجلَّت رحمته سبحانه في خلقه إحسانًا وإنعامًا، وحفظًا وحلمًا، ومغفرة وعفوًا، قال تعالى: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌرَحِيمٌ**﴾ [الأنعام: 54].
- **الرحمة من صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:** فقد أرسل الرحمن الرحيم رسلَه بالرحمة إلى خلقه، فكانت رحيمة بهم قلوبهم، يريدون الخير لهم، ويشفقون عليهم، قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿**يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ آتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ**﴾ [هود: 28]، ومن رحمة إبراهيم الخليل عليه السلام بقومه قوله لربه: ﴿**فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌرَحِيمٌ**﴾ [إبراهيم: 35-36]، ومن رحمة عيسى بقومه استجداؤه المغفرة لهم من الله تعالى، قال تعالى حكاية عنه عليه السلام: ﴿**وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [المائدة: 118]، كما أرسل سبحانه نبي الرحمة محمدًا، رحمة للناس كافة، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: 107]، وقال ﷺ: «**إِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**»[9].
- **الكتب السماوية دساتيررحمة للإنسانية:** أرسل الله تعالى الرسل وأنزل معهم الكتب مفعمة بمضامين الرحمة، قال تعالى عن التوراة: ﴿**ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً**﴾ [الأنعام: 154]، وقال سبحانه: ﴿**وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ**﴾ [الأعراف: 154]، وقال

(7) ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 210/2 (رحم).

(8) الفيروزآبادي، **بصائرذوي التمييزفي لطائف الكتاب العزيز**، 3/ 55.

(9) أبو داود، **سنن أبي داود**، رقم الحديث: 4659، 53/7، وأحمد، **مسند أحمد بن حنبل**، رقم الحديث: 24203، 517/10.

جل جلاله عن القرآن الكريم: ﴿**فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ**﴾ [الأنعام: 157]، وقد وردت مادة الرحمة بمشتقاتها في القرآن الكريم في نحو ثلاثمئة وستة وعشرين موضعًا، وسميت سورة في القرآن الكريم باسم (الرحمن)، وقد جمع الفيروزآبادي معاني الرَّحمة التي وردت في القرآن الكريم، فوجدها عشرين وجهًا[10]، كما تضمنت تعاليم القرآن الكريم أبلغ معاني الرحمة، وأسمى معالم التراحم بين الناس أجمعين، قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [العنكبوت: 51].

مجالات الرَّحمة:

تتنوَّع مجالات الرحمة، وتتسع دوائرها، بدءًا من الفرد، مرورًا بالأسرة، فالمجتمع، فالوطن، انتهاء بجميع المخلوقات على وجه الأرض، قال رسول الله ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**» [11].

وفيما يأتي بيان لأهم مجالات الرحمة:

أولًا- الرحمة بالناس: وتتمثل في:

1. **الرحمة الذاتية:** إن أعظم مجالات الرحمة وأولاها: رحمة الإنسان ذاتَه، قال بعض الحكماء: "ارحم نفسك قبل أن تسترحم غيرك؛ فإنها إذا رحمتَها أكرمَتك"[12]. وتتمثل الرحمة الذاتية في:
   - الرفق بالذات، والاهتمام بصحتها، والعناية بتغذيتها، وتطوير مهاراتها، وإعطاؤها حقها من الراحة، وتجنيبها الضغوط النفسية، والتوازن بين متطلباتها، ومقتضيات المسؤوليات والأعمال.
   - الحرص على مداواتها، وحمايتها، وسلامتها، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾ [النساء: 29].
   - تزكيتها بالتقوى والعمل الصالح، والعلم النافع، وتعزيز الثقة فيها، والحرص على نفعها، قال ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»[13].
2. **الرحمة العائلية:** وهي الرحمة التي تكون بين أفراد العائلة الواحدة، من أزواج وزوجات، وأبناء وبنات، وإخوة وأخوات، وسائر الأقارب والأرحام، فمن الرحمة ما يكون:

(10) الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، 56/3 - 58.

(11) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 1924، 323/4، وأبو داود، **سنن أبي داود**، رقم الحديث: 4941، 298/7.

(12) التوحيدي، علي بن محمد، **المقابسات**، ص 255.

(13) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2664، 56/8.

- **بالعيال:** وتتمثل في العطف عليهم، واللطف معهم، واحتوائهم، ومراعاة أحوالهم، قال ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا**»[14]، وأثنى النبي ﷺ على رحمة أمٍّ بأبنائها، ففي الحديث أن امرأة جاءت إلى عائشة رضي الله عنها تسأل ومعها صبيَّان، فأعطتها عائشة رضي الله عنها ثلاث تمرات، فأعطت كلَّ صبيٍّ تمرةً تمرة، وأمسكَت لنفسها تمرة، فأكلَ الصبيَّان التمرتين، فعمَدت إلى التمرة فشقَّتها نصفين؛ فأعطت كلَّ صبيٍّ لها نصفَ تمرة، فجاء النبي ﷺ فأخبَرته، فقال: «**وَمَا يُعْجِبُكِ مِنْهَا؟! لَقَدْ رَحِمَهَا اللَّهُ بِرَحْمَتِهَا صَبِيَّهَا**»[15].
- **وبالوالدين:** ببرهما، والإحسان إليهما، وقضاء حوائجهما، قال الله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [الإسراء: 23-24].
- **وبين الأزواج:** قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ [الروم: 21]، فالحياة الزوجية قائمة على التراحم بين الزوجين؛ رعايةً ومراعاةً، وبذلًا واهتمامًا، وتقديرًا وإعانة.

* * *

(14) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 2031، 47/4.

(15) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، رقم الحديث: 2485، 196/4.

قيمة السَّلام

السلام قيمةٌ إنسانية مركزية في الدّين الإسلاميّ، وهي من القيم المشتركة التي تتلاقى على مائدتها البشرية جمعاء؛ على اختلاف ألوانها وأعراقها وأديانها ومذاهبها، لتحقيق التعايش الإنساني، والتكامل الحضاري. وقد أسس الإسلام لقيمة السلام، وما يتصل بها من قيم إنسانية سامية؛ كالتسامح، والتعايش، والاحترام، وقبول الآخر، ودعا إلى ترسيخها بين الناس، ونبذ كل ما يخالفها من أشكال الكراهية، والعنف، والتفرق، والنزاع، والخصومة، والإقصاء.

تعريف السلام:

لغةً: يَرِد لمعانٍ عدة، من أهمِّها:

أ. السَّلامة والعَافية: قال ابن فارس: "السِّينُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ؛ مُعْظَمُ بَابِهِ مِنَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ"[1]، فالسَّلامُ في الأَصل: السَّلامةُ، والبراءة من العيوب[2]، ومن الآفات الظاهرة والباطنة[3].

ب. الصُّلح والمسالمة[4]: ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**﴾ [الأنفال: 61].

ج. الرضا والتقبُّل: فمعنى التَّسْليمُ: بَذْلُ الرضا بالحكم[5].

واصطلاحًا: يمكن تعريفه بأنّه: حالة من الطمأنينة في المجتمعات الإنسانية، ناتجة عن تبني أفرادها لقيم التعايش والتسامح، ونبذهم للعنف والتطرف، وبعدهم عن الصراعات والنزاعات، تؤدي إلى الاستقرار والازدهار.

فهو عبارة عن حالةٍ تسود فيها الطّمأنينة النّفسيّة والرّوحيّة والسّكينة بين أفراد المجتمع؛ لتنعكس على العلاقات بين الأفراد؛ ليكون السّلم الاجتماعيّ حالة من الوفاق....، تتمظهر في التّضامن والتّعاون لإيصال النّفع إلى الجميع، ودرء الضّرّ عن الجميع، وتتجلّى في اللّغة والسّلوك والمعاملة، فلا عنفَ في اللّغة، ولا اعتداءَ في السّلوك، ولا ظلمَ في المعاملة.[6]

أهمية السلام:

أولى الإسلام قيمة السلام أهمية بالغة، وخصها بعناية فائقة، يمكن إجمال مظاهرها فيما يأتي:

1. **السَّلام اسمٌ من أسماء الله الحسنى:** قال تعالى: ﴿**هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ**﴾ [الحشر: 23].

---

(1) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، 90/3 (سلم).

(2) الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، 1951/5 – 1952 (سلم). وابن منظور، **لسان العرب**، 291/12 (سلم).

(3) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص 421.

(4) ينظر: الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص 423، وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، 90/3 -91 (سلم)، والطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 41/14، والرازي، **مفاتيح الغيب**، 500/15.

(5) الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، 1951/5 – 1952 (سلم).

(6) ابن بيّه، عبد الله بن الشّيخ المحفوظ، **الكلمة التّأطيريّة للملتقى الأول لمنتدى أبوظبي للسّلم**، ص 31.

2. **القرآن الكريم كتاب السَّلام:** قال تعالى: ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌوَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ**﴾ [المائدة: 15-16]، أي: طرقَ السَّلامة[7].
3. **أورد الله تعالى مادة السلام بمشتقاتها في 130 موضعًا من القرآن الكريم**، إشارة إلى مركزية السلم في العلاقات البشرية في الإسلام، وقد جاءت مادة السلام لمعان عدة في القرآن الكريم، قال أبو هلال العسكري: "وهو في القرآن على ستة أوجه:
   - **اسم الله تعالى**، قال جل جلاله: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ**﴾ [الحشر: 23].
   - **الخير**، قال تعالى: ﴿**فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ**﴾ [الزخرف: 89]، أي: قل: خير، وقال عز وجل: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ [الفرقان: 63]، أي: ردُّوا خيرًا.
   - **الثناء الحسن:** ومنه قوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الصافات: 109].
   - **التحية المعروفة** (السلام عليكم ورحمة الله): قال تعالى: ﴿**فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً**﴾ [النور: 61].
   - **السلامة من كل شر:** قال تعالى: ﴿**فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ**﴾ [الواقعة: 91].
   - **تسليم الشيء إلى صاحبه:** قال: ﴿**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ**﴾ [الحجر: 46]، أي: قد سُلِّمت إليكم، فخذوها مهنأة[8].
4. **السلام تحية الإسلام:** قال رسول الله ﷺ: «**أَفْشُوا السَّلَام بَيْنَكُمْ**»[9]. ولما سئل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «**تَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَعَلَى مَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»[10]. وقال عمار: "ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ: ... وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ"[11]، أي: "لجميع الناس"[12].
5. **جعل الجنة دار السلام:** قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ**﴾ [يونس: 25]، قال الزجاج: سميت دار السلام؛ لأنها دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع ولا تفنى[13].
6. **السّلام من المقاصد العليا للإسلام**؛ فهو حاضنة المقاصد الشّرعيّة كلّها، وجامعة المصالحِ المرعيّة بأجمعها، لذلك وجب التّسليم بعلوّ منزلته، ورِفعة مكانتِه، ولزِمَ السّعي في سبيل تحقيقه، والاستجابة لكلّ دعوةٍ إلى استبقائه واستدامته. [14]

---

(7) الرازي، **مفاتيح الغيب**، 327/11.

(8) ينظر: العسكري، الحسن بن عبد الله، **الوجوه والنظائر**، ص 256-257.

(9) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 2510، 664/4، وأحمد، **مسند أحمد**، رقم الحديث: 1412، 29/3.

(10) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 6236، 52/8، ومسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 39، 47/1.

(11) البخاري، **الجامع الصحيح**، تعليقًا. 15/1.

(12) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **السيرة النبوية**، ص 193.

(13) ابن منظور، **لسان العرب**، 291/12 (سلم).

(14) ابن بيّه، عبد الله بن الشّيخ المحفوظ، الكلمة التّأطيريّة للملتقى الأول لمنتدى أبوظبي للسّلم، ص 89.

سبل تحقيق السلام:

دعا الإسلام البشرية كافة للانضواء تحت راية السلام، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ [الأنفال: 61]، وقال جل شأنه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾ [البقرة: 208]؛ لما للسلام من أثر على سلامة الأفراد، واستقرار المجتمعات، وازدهار الأوطان والحضارات، ولتحقيق هذه القيمة ثمة سبل ينبغي سلوكها، وهي على النحو الآتي:

1) المشاريع والمبادرات والبرامج الرسمية: من أهم ما يحقق السلام، ويبث الاستقرار: الجهود الرسمية التي تبذلها الدول، والمبادرات التي تسعى لتنزيلها، والبرامج التي تعمل على إقامتها؛ لما تمثله من قوة ناعمة ذات أثر كبير، ولما تحققه من نتائج بارزة، وسمعة دولية واسعة، ولقد كان لدولة الإمارات العربية المتحدة جهود كبيرة في تعزيز السلام من خلال مجموعة من البرامج والمبادرات والمشاريع، من أهمها:

- **وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك**: وهي وثيقة دينية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ولدت من خلال محادثات جادة وأخوية بين الأزهر الشريف، والكنيسة الكاثوليكية – الفاتيكان –، ووُقّعت في العاصمة الإماراتية أبوظبي برعاية كريمة من سيدي صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدّولة – حفظه الله –، بحضور الإمام الأكبر شيخ الأزهر أحمد الطيب وبابا الفاتيكان رئيس الكنيسة الكاثوليكية، في فبراير 2019م، ويعد هذا الحدث حدثاً تاريخياً في مسار الحوار بين الشرق والغرب ونقلة فريدة في تاريخ الإنسانية.

تضم الوثيقة التاريخية ما يشترك به الإسلام مع المسيحية من قيمٍ إنسانية وهموم وقضايا عالمية، فجاءت داعيةً إلى[15]:

- التمسك بقيم السلام، وإعلاء قيم التعارف والمتبادل والأخوة الإنسانية والعيش المشترك.
- الحوار والتفاهم بين الديانتين ونشر ثقافة التسامح مما يسهم ذلك في احتواء كثير من المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.
- حماية دور العبادة من معابد وكنائس ومساجد واجب تكفله الأديان والقيم الإنسانية والمواثيق الدولية

[15]- المحرر، وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي، مجلة تعايش - منتدى تعزيز السلم - أبوظبي، العدد الخامس، إبريل 2019م، ص24 - 25.

- العلاقة بين الشـرق والغرب ضـرورة قصـوى لكليهما، ولا يمكن الاسـتعاضـة عنها أو تجاهلها، ولابد من ترسيخ الحقوق الإنسانية العامة المشتركة.
- ضـمان حقوق الطفل في التنشـئة الأسـرية والتغذية والتعليم والرعاية وهذه الحقوق واجب تكفله الأسرة والمجتمع، ويجب إدانة أي ممارسة تنال من كرامتهم أو تخل بحقوقهم.
- الحرية في الاعتقاد، فهو حق لكل إنسـان، والاختلاف في الدين واللون والجنس والعرق حكمة لمشيئة إلهية.
- نشر الأخلاق والحوار بين المؤمنين والتلاقي في المساحة الهائلة للقيم الروحية والإنسانية والاجتماعية المشتركة، واستثمار ذلك في نشر الأخلاق وتجنب الجدل العقيم.
- الدعوة إلى المواطنة في الواجبات والحقوق، فمن ثم واجب على علماء الدين ترسيخ قيم المواطنة الفاعلة والإيجابية.
- الاعتراف بحق المرأة في التعليم والعمل وممارسـة حقوقها السـياسـية وتحريرها من الضغوط التاريخية والاجتماعية.
- حماية حقوق المسـنين والضـعفاء وأصـحاب الهمم فذلك واجب ديني ومجتمع يجب العمل على توفيرها وحمايتها بتشريعات حازمة.
- يجب وقف دعم الحركات الإرهابية بالمال أو السـلاح أو التخطيط أو التبرير أو بتوفير الغطاء الإعلامي لها، واعتبار ذلك من الجرائم الدولية التي تهدد الأمن والسـلم العالميين، ويجب إدانة ذلك التطرف بكل صوره وأشكاله.

لقد أتى إعلانُ هذه الوثيقة ليزرع بذور السلم وينشر ثقافة التسامح والوئام، و يستأنف جهود إطفاء الحرائق المنشـرة في جسـم العالم الإنسـاني، ويمد جسـور الود والصـداقة بين الشـرق والغرب، ويبني مرحلة جديدة من يقوم على التآخي الإنسـاني، وجميع بنودها نابعةٌ من رحم الدّيانتين ومبادئهما المرجعيّة؛ إذ إن الإسـلام يعتبر البشـر جميعاً إخوة ، يقول الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – (أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق) [16]. وأما الآخر بالنسبة للديانة المسـيحية فهو أخ في الإنسـانية أيضـا؛ ففي عام 1981 م خاطب البابا يوحنا بولس الثاني حشـداً كبيراً من المسـيحيين والمسـلمين في مدينة مانيلا عاصـمة فلبين قائلاً: " إني أتوجه إليكم كأخوة، وأنا أعني ما أقول، لأن ذلك هو ما نحن عليه، فنحن أبناء أسرة إنسانية واحدة ولكن إخوة في الله أيضًا "[17].

[16] نفسه، ص33.

[17]- محمد السماك، الفاتيكان والعلاقات الإسلامية، ص 10.

لقد كان توقيع إعلان أبوظبي – وثيقة الأخوة الإنسانية – من قِبَل الإمام أحمد الطيب والبابا فرانسيس حدثاً دينياً عميقاً وذا رؤية ثاقبة و وآفاق عالمية، يفتح للباحثين والعلماء والمفكرين والمثقفين آفاقاً جديدة ورؤى معاصرة في قراءة الخطاب الديني واللاهوتي ضمن السياق الحياتي والواقعي والآني للإنسان واحتياجاته، فقد جاء هذا الإعلان وفق متطلبات عصرية واحتياجات زمانية ومكانية استدعت صدوره من قطبين في الدين الإسلامي والمسيحي، فقد جاء الإعلان مستوعباً الكثير من القضايا الدينية والإنسانية التي تسهم في بناء الإنسان الكوني والحفاظ على كوكبه وموارده، وجاء ملبيا لسياقه حاملاً مشعل الخير ليطفئ ما اضطرم في العالم من نيران، وما انتهك في حق الإنسان.

فقد أعطى هذا الإعلان نموذجاً فذاً للغاية في أنسنة الخطاب الديني، والمقصود بالأنسنة هنا: اعتبار إنسانية الفرد وطبيعته واحتياجه إلى البيان والتأويل والتفكير العلمي والتنزيل العملي لقضايا الاقتصاد والمجتمع والدين، فهي عبارةٌ عن تجديد قراءة نصوص الشّريعة وأحكامها بمنهج يناسب الزمان والمكان ومتغيرات الحياة، فالإنسان هو الفاعل الحضاري، وهو مركز الكون، وهو مرجع المراجع الذي تؤول إليه الأمور بداية ونهاية، وهو منتج الحقيقة.

إنّ مواصلة سير الأنسنة تتطلب تعليم الأجيال قراءة واقعهم واحتياجاتهم، وتعليمهم ثقافة الحوار وقبول الآخر، وتربيتهم على الإيمان بالتعددية وفطريّة الاختلاف، وآنّ التّنوّعَ مصدر غنًى وثراءٍ، لا سببُ تعاسةٍ، أو مسوّغُ معاملة الآخر بالرّفض والإقصاء.

كما أن الإعلان وما وجده من صدى يعطي مثالاً رائعاً على أن العقل الحديث يتميز عن كل تجلياته وممارساته السابقة لما اكتسبه من القدرات العلمية، والمهارات الفكرية، التي ساعدته على الخروج من الانغلاق العقائدي، الذي طالما استدرجته إليه أفكار خاطئة، ومعتقدات موروثة، وقفت عائقاً أمام أي حوار أو اتصال بين المختلفين في المعتقد أو المذهب، لقد كسر هذا الإعلان تلك الحواجز والعوائق والقيودَ، فكان حضور المرجعيات الدينية وشهودَها لحظةَ التّوقيع على الوثيقة الخالدة رسالة عظمى تدلّ أبلغَ دلالة على تحرك الإطار الفكري الديني إلى جادة الصواب، وفساد معتقد الانغلاق العقائدي.

لقد تجاوزت وثيقة الأخوّة الإنسانيّة تلك النظرة الإقصائية والتهميشية للآخر، وأسّست لأنموذج معرفيٍّ فريدٍ يسعُ مختلف المرجعيات الدينية ويؤطّر مبادراتها في سبيل إحلال السلام العالمي.

وإذا كانت مسوّغات إشعال الحروب والفتن قد تعددت في عصر تطورت فيه قدرات الإنسان على التدمير، فمن مصلحة الأديان أن تعيد اكتشاف مخزونها القيمي الذي تشترك في احتضانه، وأن تستثمره في تقديم تصورات ورؤًى تساعدُ على نبذ ثقافة العنف والتطرف، وإيجاد سبل لفض النزاعات والصراعات المسلحة، وإحلال السلام والوئام بين الشعوب والدول، فإن الأديان

تمتلك من الوسائل والأدوات ما يجعل البشريّة بأجمعها تتعايشُ في طمأنينة وسلام وراحة وخير.[18]

ولأجل ذلكَ، انبثقَ عن الملتقى الثّامن لمنتدى أبوظبي للسّلم "إعلان أبوظبي للمواطنة الشّاملة" الذي نصّ في بنده الثّامن على أنّ "المنظومة القيميّة المشتركة بين الأديان تشكّل منطلقا قويًّا وطاقةً فريدةً للإسهام في تحقيق الخير العامّ؛ فالأديان تدعو إلى الرّحمة والمحبّة والعفو والصّفح والغفران والإصلاح بين النّاس....، فعلى أتباع الأديان والمؤسّسات والقيادات الدّينيّة أن يضطلعوا معًا بدورٍ رياديٍّ في هذه المجالات؛ استنادًا إلى قيمهم الدّينيّة المشتركة".[19]

- **بيت العائلة الإبراهيمية:** وهو صرح حضاري يضم مسجدًا، وكنيسةً، وكنيسًا يهوديًّا، ومركزًا تعليميًّا، ويجسد القيم المشتركة بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ويمثل رمزًا فريدًا للتفاهم المتبادل، والتعايش المتناغم، من أجل تحقيق السلام بين مختلف أبناء الديانات[(20)].
- **البرنامج الوطني للتسامح:** وهو برنامج وطني استراتيجي، اعتمده مجلس الوزراء في عام 2016م، بهدف إظهار الصورة الحقيقية للاعتدال، واحترام الآخر، ونشر قيم السلام والتعايش، وضمان التعددية الدينية والفكرية والثقافية؛ التي تتميز بها دولة الإمارات العربية المتحدة، ونبذ أساليب الكراهية، والعنف، والطائفية، والتمييز، والتعصب؛ فكرًا وتعليمًا وسلوكًا[(21)].
- **المبادرات الإنسانية الخيرية:** لقد قامت دولة الإمارات بتقنين العمل الخيري والإنساني وحوكمته، ضمن مؤسسات حكومية رسمية ومجتمعية مرخصة، يصل عددها إلى نحو (40) مؤسسة، تغطي جميع مناطق الدولة، من أبرزها: (الهلال الأحمر الإماراتي، ومؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ومؤسسة خليفة بن زايد آل نهيان للأعمال الإنسانية)[(22)]، وتنطلق دولة الإمارات العربية المتحدة في مبادراتها الإنسانية من رؤية شاملة، تأخذ في الاعتبار تحقيق

(18) الطّاهريّ، خليفة مبارك عليّ، تفكيك خطاب التّطرّف الدّينيّ في تجربة دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، ص 457-463. وانظر: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، **لقاء الأخوة الإنسانية**، (موقع إلكتروني)، أبو ظبي، 2019/02/04م، متاح على الرابط: http: humanfraternitymeeting.com ar declaration، شوهد بتاريخ: 2024/04/25م، ونبذة حول بيت العائلة الإبراهيمية، **بيت العائلة الإبراهيمية** (الموقع الإلكتروني الرسمي)، متاح على الرابط: https://2u.pw/OK2J59، شوهد بتاريخ: 2024/04/25م.

(19) منتدى أبوظبي للسّلم، إعلان أبوظبي للمواطنة الشّاملة 2021، ص 11.

(20) ينظر: نبذة حول بيت العائلة الإبراهيمية، **بيت العائلة الإبراهيمية** (الموقع الإلكتروني الرسمي)، متاح على الرابط: https://2u.pw/OK2J59، شوهد بتاريخ: 2024/04/25م.

(21) ينظر، **البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات**، 2022/12/26م، متاح على الرابط: https://u.ae/ar-ae/about-the-uae/human-rights-in-the-uae/fostering-tolerance-and-co-existence، شوهد بتاريخ: 2024/04/25م، وينظر: تقرير بعنوان: ممثلو الأديان في "قمة التسامح": الإمارات رائدة التسامح عالميًا والأكثر إيمانًا بالعيش المشترك، **جريدة الاتحاد الإماراتية**، 2018/11/16م، متاح على الرابط: https://2u.pw/IDFBWM0L.

(22) ينظر: **البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة**، متاح على الرابط: https://u.ae/ar-ae/information-and-services/charity-and-humanitarian-work/ways-of-doing-charity-in-the-uae/charitable-organisations، شوهد بتاريخ: 2024/04/25م.

الأمن الإنساني العالمي، دون التفرقة بين الشعوب بحسب الدين أو الجنس أو اللون أو المنطقة الجغرافية[23]، وتهدف إلى إرساء مبدأ السلام، وإعلاء قيمه.

2) **التوعية الفكرية والتثقيف العلمي:** الأفكار منطلق السلوك، والفكر المتشبع بقيم السلام والتسامح والتعايش واحترام التنوع والاختلاف، تصدر عنه تصرفات وسلوكيات داعمة للسلام، مرسخة له، ومن هنا تأتي أهمية التوعية الفكرية والتثقيف العلمي بالسلام وقيمه، والتي تضطلع بها:

- **الأسرة:** للأسرة دور محوري وأساس في ترسيخ قيم السلام والتسامح والاعتدال في نفوس الأبناء، وتحصينهم ضد الأفكار المتطرفة والسلوكيات المنحرفة اجتماعيًّا، وذلك من خلال:
  - **التعليم والتوجيه:** فبتوجيهات الآباء يحصل الأطفال مهارات الاستماع والتفاهم، ويتعلمون مبادئ الاحترام المتبادل وقبول الآخر، ويكتسبون طرق حل الخلافات بشكل سلمي.
  - **القدوة الحسنة:** فالأبوان هما النموذج الأول الذي يقتدي به الأطفال، ويلاحظون أفعالهم وتصرفاتهم، فينبغي أن يتمثل الآباء في تصرفاتهم اليومية قيم السلام، ويتحلوا بالصبر والرفق في الأقوال والأفعال، ويتجنبوا العنف والصدام.
  - **الحوار الأسري:** إن فتح الآباء مع أبنائهم باب الحوار والمناقشة في المواضيع المتصلة بقيمة السلام؛ كالتسامح، والعدالة، والاحترام، وقبول الآخر؛ يسهم في تعميق فهم هذه القيم، وكيفية تطبيقها في الحياة اليومية.
- **المؤسسات التعليمية:** من مدارس، وجامعات، ومراكز بحثية، فدورها محوري في بناء عقلية فكرية سليمة ومعتدلة لدى طلابها ومنتسبيها، وضبط المنهجية الصحيحة لفهم النصوص الدينية وتفسيرها، بعيدًا عن الوقوع في فخ التأويلات المتشددة أو المنحرفة التي تتعارض مع المقاصد السامية للإسلام. وذلك من خلال:
  - **المناهج التعليمية:** المتضمنة سبل ترسيخ ثقافة السلام، والحث على التسامح والاعتدال، ونبذ التشدد المفضي إلى العنف والكراهية، وازدراء الأديان.
  - **الفعاليات الأكاديمية:** من ندوات، ومؤتمرات، وأنشطة طلابية؛ من شأنها أن تسهم في نشر الوعي بأهمية قيمة السلام، وتعزز روحه بين الطلبة والباحثين.
  - **المكتبات الآمنة:** التي تمثل مصادر ومراجع علمية موثوقة يعتمد عليها الطلاب في دراستهم وبحوثهم العلمية.

3) **تعزيز معاني الأخوَّة الإنسانية:** خلق الله تعالى الناس جميعًا من نفس آدم عليه السلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [النساء: 1]. وقال عليه الصلاة والسلام:

(23) ينظر: الإمارات تتبوأ مكانة متقدمة ضمن منظومة القوى الخيرة عالميًا وتقدم نموذجًا للعطاء الإنساني، مركز الاتحاد للأخبار (موقع إلكتروني)، 2012/12/20م، متاح على الرابط: https://bit.ly/3tsTHcP، شوهد بتاريخ: 2024/04/25م.

«**النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ**»[24]. وجعلهم إخوة في الإنسانية، قال رسول الله: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ**»[25]. فالإنسانية كلها أسرة واحدة، من رحم واحدة، قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ**»[26]. يتواصلون ويتعارفون، ويتآلفون ويتعاونون، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ [الحجرات: 13]، وبمبدأ الأخوة الإنسانية خاطب الأنبياء أقوامهم، قال الله تعالى عن نوح عليه السلام وقومه: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ**﴾ [الشعراء: 106]، وقال عز وجل عن قوم هود عليه السلام: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا**﴾ [الأعراف: 65]، وقال تبارك وتعالى عن ثمود: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا**﴾ [الأعراف: 73]، وقال سبحانه عن مدين: ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا**﴾ [الأعراف: 85]. ومن منطلق الأخوّة الإنسانية جعل القرآن الكريم حياة الفرد مساوية لحياة الإنسانية جمعاء، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾ [النساء: 29]، أي: لا يقتل بعضكم بعضًا، فإنه ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ [المائدة: 32].

4) **العفو والتسامح:** حث القرآن الكريم على العفو والتسامح في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**﴾ [البقرة: 109]. وقوله سبحانه: ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ [الشورى: 40]. وأكد النبي ﷺ على هذا الأمر الإلهي فقال: «**مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا**»[27]. ولقد كان التسامح من صفات الأنبياء عليهم السلام، يعفون عمن ظلمهم، ويسامحون من أساء إليهم، ومن نماذج تسامحهم ما كان من يوسف عليه السلام مع إخوته، فقد قال لهم بعد ما كان منهم: ﴿**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**﴾ [يوسف: 92]. ومن أعظم نماذج التسامح ما كان من سيدنا ونبينا محمد ﷺ مع قومه حين آذوه، فقد دعا لهم عليه الصلاة والسلام قائلًا: «**اللهمَّ اغفِرْ لقومي فإنَّهم لا يعلمونَ**»[28]. ويوم عاد إلى مكة، وقابل من كانوا سببًا في إخراجه منها، قال لهم: «**يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟**» قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم عافيًا متسامحًا حليمًا صافحًا: «**أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** [يوسف: 92]»[29].

بل كان ﷺ يحسن إلى من أساء إليه، عملًا بقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت: 34].

5) **التعايش وقبول الآخر:** الاختلاف بين الناس آية ربانية، وطبيعة بشرية، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾ [الروم: 22]. فالله تعالى لم يشأ أن

(24) أبو داود، **سنن أبي داود**، رقم الحديث: 5116، 438/7، والترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 3956، 225/6.

(25) أحمد، **مسند أحمد**، رقم الحديث: 23489، 474/38.

(26) أبو داود، **سنن أبي داود**، رقم الحديث: 1508، 621/2، وأحمد، **مسند أحمد**، رقم الحديث: 19293، 48/32.

(27) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2588، 21/8.

(28) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، رقم الحديث: 973، 254/3.

(29) الأزرقي، **أخبار مكة**، 121/2.

يجعل كل الناس على نهج واحد وعلى طريقة واحدة، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾ [هود: 118 - 119]، وهذا الاختلاف بينهم يستوجب تعايشهم وتعاونهم، بغض النظر عن ألوانهم وأعراقهم وتوجهاتهم وأفكارهم ومعتقداتهم، ومما يؤسس لمبدأ التعايش في ديننا الحنيف:

- **عدم الإكراه في الدين:** قال تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [البقرة: 256]. يقول الطاهر ابن عاشور رحمه الله: "ونفي الإكراه خبر في معنى النهي، أي: لا تكرهوا أحدًا على اتباع الإسلام قسرًا، وجيء بنفي الجنس لقصد العموم نصًّا. وهذا دليل واضح على إبطال الإكراه على الدين بسائر أنواعه"[30]، ومما يؤكد هذا المبدأ ما جاءت به:
  - **وثيقة المدينة:** التي وضعها النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة، وهي وثيقة تنبض بأصول التعايش، والتعامل الأخوي الإنساني الضامن للحقوق والحريَّات، وفيها: «**لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِيْنِ دِينُهُمْ مَوَالِيهِمْ وَ أَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَم و أثِم...، وإنَّ بينهم النُّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ، وَالْبِرَّ دُونَ الإثم...، وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضارٍ وَلَا آثِمٌ**»[31].
  - **عهدة نجران:** التي كانت بين أبي بكر رضي الله عنه وبين أهل نجران تجديدًا لعهد رسول الله ﷺ الذي كان بينهم، ومما جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب عبد الله أبي بكر خليفة محمد رسول الله ﷺ لأهل نجران؛ أجارهم بجوار الله تعالى وذمة رسول الله ﷺ على أنفسهم، وأراضيهم، وملتهم، وأموالهم، وحاشيتهم، وعماراتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وأساقفتهم، ورهبانهم، وبِيَعهم، وكل ما تحت أيديهم؛ من قليل أو كثير، ولا يحشرون ولا يعشرون، ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته؛ وفاء لهم بكل ما كتب لهم محمد النبي ﷺ، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله تعالى وذمة محمد صلى الله عليه وسلم أبدًا"[32].
  - **العهدة العمرية:** التي كانت بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأهل إيلياء، ومما جاء فيها: "هذا ما أعطى عبد اللَّه عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضارَّ أحدٌ منهم"[33].

(30) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 26/3.

(31) ابن هشام، **السيرة النبوية**، 503/1.

(32) الشيباني، محمد بن الحسن، **السير الصغير**، ص 267.

(33) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 609/3.

- **الأمر بالتعامل مع الآخر بالبر والعدل:** فذلك مما يحفظ الحقوق، ويحدد الواجبات والمسؤوليات، ويؤسس للتعايش بسلام واحترام؛ قال تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة: 8].

قال القرافي رحمه الله: "فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك؛ فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام"[34].

6) إصلاح ذات البين: فإصلاحُ ذاتِ البينِ لاَ يأتِي إلاَّ بالخيرِ، قال تعالى: ﴿**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾ [النساء:128]، ففيهِ تأليفٌ بينَ القلوبِ، وتقويةٌ للصلات، وتوثيق للعلاقات، ودفْعٌ للخصومات، ودرء للخلافات، ولذَا دعا اللهُ تعالَى إليهِ، وحث عليه، قال تعالى: ﴿**لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: 114]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: 224]، أي: إذا حلفتم على ألا تصلحوا بين الناس، فلا تمضوا يمينكم، ولكن أصلحوا، فذلك خير لكم من الوفاء باليمين، قالَ تعالَى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾ [الأنفال: 1]. ولعظيم نفع الإصلاح بين الناس وبالغ أثره؛ جعل النبي ﷺ درجته أعلى من بعض العبادات، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟**» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «**إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ**»[35].

7) سلامة الصدر: وتعني تحرر القلب من الحقد والحسد والضغينة والكراهية تجاه الآخرين، مما يسهم في تعزيز العلاقات الإنسانية، وتقوية أواصر المودة والتعاون بين الناس، ونشر الإيجابية والتفاؤل في محيطهم ومجتمعاتهم.

* * *

(34) القرافي، **الفروق**، 14/3.

(35) أبو داود، **سنن أبي داود**، رقم الحديث: 4919، 280/7، والترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 2509، 663/4.

قيمة المواطنة

تعدّ قيمة المواطنة من أهم المبادئ التي حظيت بعناية فائقة في الدّين الإسلاميّ؛ انطلاقًا من عصر النبي ﷺ تأصيلًا وتنزيلًا، ومرورًا بمختلف مراحل تاريخ المجتمعات المسلمة، إلى عصرنا الحالي؛ حيث أسست وثيقة المدينة للمواطنة التي سار المسلمون على نهجها، فتعايشوا مع أهل الملل المختلفة في الوطن الواحد؛ فتعانقت المنائر مع الكنائس، والبِيَع والصوامع والأديرة وغيرها من غير نكير[1]. وفي هذا العصر عمل العلماء والمفكرون المسلمون لتأصيل مبدأ المواطنة الذي يستوعب مختلف الانتماءات بالفهم الصحيح، والتقويم السليم للموروث الفقهي والممارسات التاريخية، وباستيعاب المتغيرات التي حدثت في العالم، والتي ارتقت بالمواطنة إلى مرتبة كُلِّي الزَّمان؛ حيث غَدَتْ تتمثّل في ميثاقين يحكمان الواقع: ميثاق داخلي؛ وهو دستور البلاد الذي يمثل عقدًا بين كل المواطنين، وميثاق عالمي؛ وهو ميثاق الأمم المتحدة ولواحقه، كإعلان حقوق الإنسان والمعاهدات الدولية[2].

تعريف المواطنة:

لغة: أصل المواطنة في الاشتقاق العربي مفاعلة من الوطن، تدل على التشارك بين اثنين فأكثر في وطن، والوطن يَرِد في اللغة لمعانٍ عدة، منها:

1. **مكان الولادة أو السَّكن والإقامة:** فالوَطَن مكان الإنسان ومحلُّه[3]، وأَوْطَنْتُ الْأَرْضَ: اتَّخذتُها وَطَنًا[4]، ووَطَن بالمكان وأوطَن: أقام، والوطن: المَنْزل تقيم به[5].
2. **المواضع والأماكن:** ومنه قوله الله تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**﴾ [التوبة:25]، والمواطِنُ هنا: الأماكِنُ[6]، ومَوَاطِنُ مكة: مَوَاقفها، وكل مقام قام به الإنسان لأمرٍ فهو موطن له[7].
3. **العزم على فعل أمر ما، أو قبوله،** قال ابن سِيدَه: "وطَّن نفسَه على الشَّيء وله فتوطَّنت: حَمَلها عليه فتحمَّلت"[8].

---

(1) ينظر: الحداد، أحمد بن عبد العزيز، **المواطنة الشـاملة في نظر الإسـلام**، مقال منشـور بتاريخ 10 ديسـمبر 2021م، على موقع الإمارات اليوم، https://2u.pw/un7GC9vN شوهد بتاريخ: 2024/04/22م.

(2) ينظر: عبد الله بن بيه، **المواطنة الشـاملة: موضـوع للبحث**، مقالة منشـورة على الموقع الرسـمي لمعاليه: https://2u.pw/FBzzFQu شـوهد بتاريخ: 2024/04/22م.

(3) المطَرِّزيّ، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي الحنفي الخوارزمي، **المغرب في ترتيب المعرب**، ص 489.

(4) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، 6/120 (وطن).

(5) ابن منظور، **لسان العرب**، 154/13 (وطن).

(6) ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 178/14.

(7) ابن منظور، **لسان العرب**، 154/13 (وطن).

(8) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، 240/9 (و ط ن).

واصطلاحًا: عرفتها وثيقة قيم وسلوكيات المواطن الإماراتي[9] بأنها: **"موروث مشترك من المبادئ والقيم والعادات والسلوكيات بين الأفراد في الدولة الواحدة، والتي تسهم في تشكيل شخصية المواطن، وتمنحها خصائص تميزه عن غيره من المواطنين في الدول الأخرى**.

وبمعنى آخر: **هي عبارة عن عضوية الفرد التامة والمسؤولة في الدولة، وما يترتب على تلك العضوية من واجبات ومسؤوليات"**[10].

وهذا المعنى الاصطلاحي ليس خارجًا عن المعاني اللغوية السابقة، فإن الإنسان يكون بينه وبين بلده ووطنه تفاعل إيجابي؛ من حيث المشاعر من جهة، والعمل والإنتاج من جهة أخرى، وهذه العلاقة تتسم بالجدية والعزم والمسؤولية.

أهمية المواطنة:

تتجلى أهمية المواطنة فيما يأتي:

1. **اهتمام الأنبياء بأوطانهم:** لقد كان اهتمام الأنبياء بأوطانهم بالغًا، وحرصهم عليها واضحًا، لذا كان من تهديد قومهم لهم أن قالوا لهم: ﴿**لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾ [إبراهيم: 13]. وقد اتخذ هذا الاهتمام والحرص صورًا عديدة، منها:
   - **إظهار حبها:** وضع الله حبَّ المدينة في قلب النبي ﷺ، فكان «**إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ المَدِينَةِ، أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا**»[11]. قال ابن بطال: "وتعجيل سيره ﷺ إذا نظر إليها من أجل أنَّ قُربَ الدار يجدِّد الشَّوق للأحبَّة والأهل، ويؤكِّد الحنين إلى الوطن، وفي رسول الله ﷺ الأسوَة الحسنة"[12].
   - **الاشتياق إليها:** كما قص علينا ربنا من خبر اشتياق كليمه موسى عليه السلام إلى بلده، فقال تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾ [القصص: 29]. قال ابن العربي: "لما قضى موسى الأجل طلب الرجوع إلى أهله، وحن إلى وطنه، وفي الرجوع إلى الأوطان

(9) هي وثيقة تضم أهم الخصائص والسلوكيات والقيم والمهارات التي ينبغي أن يتحلى بها المواطن الإماراتي، وتهدف إلى تنشئة جيل إماراتي واع بمسؤولياته وواجباته تجاه وطنه وأسرته ومجتمعه. وقد تم اعتمادها من مجلس الوزراء في دار الاتحاد بتاريخ 27 نوفمبر 2012م. ينظر: وثيقة قيم وسلوكيات المواطن الإماراتي. وزارة الموارد البشرية والتوطين، الموقع الإلكتروني الرسمي، **وثيقة قيم وسلوكيات المواطن الإماراتي**، شوهد بتاريخ: 2024/04/24، متاح على الرابط: https://2u.pw/jvzDz4So.

(10) وزارة الموارد البشرية والتوطين، الموقع الإلكتروني الرسمي، **وثيقة قيم وسلوكيات المواطن الإماراتي**، شوهد بتاريخ: 2024/04/24، متاح على الرابط: https://2u.pw/jvzDz4So.

(11) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 1886، 23/3.

(12) ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، 555/4.

تقتحم الأغرار، وتركب الأخطار، وتعلل الخواطر"[13]. كما كان نبينا ﷺ كلما سمع حديثًا عن وطنه مكة حن إليها، فقد سألت عائشة رضي الله عنها يومًا أُصيْلًا الهذلي وقد قدم من مكة: كيف تركت مكة؟ قال: اخضرت جنباتها، وابيضت بطحاؤها، وأغدق إذخرها، وانتشر سلمها، فقال له رسول الله ﷺ: «**حَسْبُكَ يَا أُصَيلُ، لَا تُحْزِنِّي**»[14]، وفي رواية: «**وَيْهًا يَا أُصَيلُ، دَعِ الْقُلُوبَ تَقَرُّ**»[15]، ولما رأى ربنا سبحانه وتعالى من اشتياق سيدنا ونبينا محمد ﷺ إلى مكة حيث مولده، أنزل تعالى عليه قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾ [القصص:85]، وكان المراد منه أن يردَّه إِلَى مكة، وردَّه إليها سبحانه[16]، قال العلماء: "معاد الرجل: بلده؛ لأنه ينصرف ثم يعود إلى بلده؛ وذلك أن النبي ﷺ لما خرج من الغار مهاجرا إلى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب، فلما أمن ورجع إلى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة اشتاق إليها، فأتاه جبريل عليه السلام وقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ قال: نعم، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾ [القصص:85]"[17].

- **مدحها وذكر محاسنها:** كان نبينا ﷺ يذكر محاسن المدينة ويثني عليها، فعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أنه ﷺ قال: «**هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ**» يَعْنِي الْمَدِينَةَ[18]. وفي حديث آخر: «**هَذِهِ طَابَةُ**»[19]، قال القاضي عياض رحمه الله: "(طيبة) - بفتح الطاء وسكون الياء - اسم مدينة النبي ﷺ، وهي طابة أيضًا، سماها بذلك من الطيب، وهو الزكاة والطهارة الذي هو ضد الخبث والنجاسة... وقيل: لطيبها لساكنها، وأمنهم بها، وسكون حال من هاجر إليها، ... أو من الطيب وحسن العيش بها، من طاب لي الشيء: إذا وافقني وواتاني، والطاب والطيب لغتان بمعنى واحد"[20].
- **استثقال مغادرتها، والخروج منها:** لقد كان الأنبياء عليهم السلام متشبثين بأوطانهم، يصعب عليهم مفارقتها، ويشق عليهم مغادرتها، فهذا شعيب عليه السلام لما هدده قومه بإخراجه ومن معه من وطنهم؛ ﴿**قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ**﴾ [الأعراف: 88]، يعني: هل تجبروننا على أن نخرج من

(13) ابن العربي، **أحكام القرآن**، 511/3.

(14) ينظر: السهيلي، **الروض الأنف**، 31/5.

(15) السابق.

(16) الرازي، **مفاتيح الغيب**، 19/25.

(17) البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، 226/6-227.

(18) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2942، 203/8.

(19) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 1872، 21/3.

(20) اليحصبيّ، عياض بن موسى بن عياض، **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، 326/1.

أوطاننا، ونحن نكره ذلك؟»[21] قال أبو حيان: "وهذا يدل على صعوبة مفارقة الوطن"[22]. وبعد نزول الوحي على النبي ﷺ قال له ورقة بن نوفل: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَعٌ، ليتني أكون حيًا إذ يُخرجك قومك! فقال رسول الله ﷺ: **«أَوَمُخرِجِيَّ هُم؟!»** قال: نعم. قال السهيلي: "قال لرسول الله ﷺ: لتكذبنَّه. فلم يقل له النبي ﷺ شيئًا، ثم قال: ولتؤذينَّه. فلم يقل له شيئًا، ثم قال: ولتخرجنه، فقال: **«أَوَمُخرِجِيَّ هُم؟»** ففي هذا دليل على حبّ الوطن وشدَّة مفارقته على النفس...، فلذلك تحركت نفسه ﷺ عند ذِكر الخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك، فقال: **«أَوَمُخرِجِيَّ هُم؟!»**، والواو ترد إلى الكلام وتشعِر المخاطب بأن الاستفهام على جهة الإنكار أو التفجع لكلامه أو التألُّم منه"[23]. وحين خرج رسول الله ﷺ قال لمكة: «**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ! وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ**»[24].

- **الدعاء لها:** كما فعل خليل الله إبراهيم حين دعا لمكة - موطن زوجه وولده - بالأمن والرزق، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ [البقرة:126]، وكما فعل سيدنا ونبينا محمد ﷺ حين دعا لوطنه المدينة بقوله: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**»[25]. «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ**»[26].

2. **ذكر القرآن الكريم للوطن واحتفاؤه به**، تحدث القرآن الكريم عن الوطن في آيات كثيرة، فذكر الديار والبلدان وغيرها من معاني الأوطان، بل لقد سمى الله سبحانه سورة كاملة باسم (البلد)، وهو بمعنى الموطن والوطن، وأقسم سبحانه به حين قال: ﴿**لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**﴾ [البلد: 1-2]، وقال سبحانه: ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ**﴾ [التين: 1-3].
3. **اهتمام النبي ﷺ بإرساء أسس المواطنة:** من أول ما بدأ به النبي ﷺ حين وصل المدينة المنورة أن أرسى أسس المواطنة، فوضع وثيقة المدينة، التي تضبط العلاقات بين سكانها، وتبيّن ما للمواطنين فيها من حقوق وواجبات، فكان لهذه الوثيقة الأسبقية في هذا النوع من المواطنة الموثّقة؛ حيث لم تكن معروفة

(21) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 250/7.

(22) أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، 112/5.

(23) السهيلي، **الروض الأنف**، 273/2.

(24) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 3926، 723/5.

(25) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 1889، 23/3.

(26) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 1374، 117/4.

ولا معهودة من قبل، فكانت أساسًا صالحًا للمواطنة التعاقدية في المجتمع، واتفاقًا سلِسًا تداعت إليه أطرافه طواعية، للالتفاف حول المبادئ التي تضمنها ضمن دائرة التفاعل الإيجابي مع الواقع ومع مكوّنات مجتمع المدينة، وتحقيق السلم الاجتماعي القائم على الاعتراف المتبادل بالحقوق والواجبات، والقبول بما يفرضه التنوع من اختلاف العقائد والمصالح وأنماط الحياة، مع وجود مرجعية حاكمة يفيء إليها الجميع حال التنازع والاختلاف[27]. فكانت هذه الوثيقة دستورًا لمجتمع متعدد الأعراق والمعتقدات، وتجسيدًا للكليات القرآنية والقيم الإسلامية الكبرى، وقد تضمنت بنودها كثيرًا من مبادئ المواطنة التعاقدية؛ كحرية التدين، وحرية التنقل والتملك، ومبدأ التكافل العام، ومبدأ الدفاع المشترك، ومبدأ العدالة والمساواة أمام القانون...، وإنها لتقدم الأساس المرجعي المبدئي للمواطنة؛ فهي صيغة مواطنة تعاقدية، ودستور عادل، لمجتمعٍ تعددي أعراقًا وديانة ولغة، متضامنٍ، يتمتع أفراده بنفس الحقوق، ويتحملون نفس الواجبات، وينتمون - مع اختلافهم - إلى مجتمع واحد[28].

أركان المواطنة الإيجابية:

للمواطنة الإيجابية والفعالة ثلاثة أركان رئيسة، حيثما توفرت؛ تتحول الأرض بتحققها إلى وطن، ويتحول الإنسان الذي يعيش علمها إلى مواطن، يُسهم في بناء وطنه واستقراره، ويسعى في رقيه وازدهاره، وهي:

1. **الانتماء للوطَن:** ويقصد به -إضافة إلى الانتماء الجغرافي- شعور الفرد بارتباطه العاطفي والنفسي بوطنه، مما يجعله وفيًّا مخلصًا له، مهتمًّا بمصلحته، قائمًا بحقه تجاهه.
2. **المشاركة المثمرة:** وتعني الدور الفعال الذي يقوم به الفرد تجاه هذا الوطن؛ اجتماعيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا وثقافيًّا.

أسس المواطنة الإيجابية:

المواطنة الإيجابية تعني المشاركة الفعالة والمسؤولة لكل فرد في مجتمعه، وهي تقوم على مجموعة من الأسس التي تهدف إلى تعزيز التلاحم المجتمعي، والتنمية المستدامة، والارتقاء بالوطن وازدهاره.

ولقد اهتمت دولة الإمارات العربية المتحدة بقيم المواطنة الإيجابية في جوانبها المختلفة، سواء منها المواطنة الجغرافية، أم المواطنة الرقمية.

---

(27) ينظر: عبد الله بن بيه، **المواطنة الشاملة: موضوع للبحث**، مقالة منشورة على الموقع الرسمي لمعاليه، https://2u.pw/FBzzFQu شوهد بتاريخ: 2024/04/22م.

(28) ينظر: **إعلان مراكش لحقوق الأقليات الدينية في العالم الإسلامي**، المحور الثاني، البنود (9 - 16)، https://2u.pw/Bzhsn9v0 شوهد بتاريخ: 2024/4/22م.

أولًا- المواطنة الجغرافية: ويمكن تحقيقها من خلال عدة أسس وقواعد تشمل ثلاثة جوانب[29]:

الجانب الأول: الأخلاق والسلوكيات العامة، ويدخل تحته ما يأتي:

أ. **التحلي بالأخلاق الحميدة والسلوكيات الفاضلة:** فعلى المواطن أن:

- يتمسك بالأمانة والشرف في جميع معاملاته اليومية، ويتقيد بأخلاقيات المهنة في حياته العملية.
- يتأدب بالآداب التي تجسد قيم التحضر والرقي، والحرص على الذوق العام.
- يلتزم بالصدق في قوله وعمله، ويعزز من قيمة الشفافية في حياته اليومية ومعاملاته المختلفة.
- يتحلى بالصبر والحلم عند الشدائد، ويراعي اللين والتسامح في التعامل مع الناس.
- يتحلى بالكرم في أخلاقه ومعاملاته، ويتخلق بالإيثار مع أقرانه وزملائه.

ب. **التقيد بالقيم الإسلامية والتسامح الديني:** فعلى المواطن أن:

- يلتزم ويعمل وفق القيم والمبادىء الإسلامية.
- يحترم جميع الديانات الأخرى.
- ينتهج الاعتدال والتسامح في الدين، وفي جميع جوانب حياته، ويبتعد عن التطرف والغلو.

ت. **الاعتزاز بالعادات والتقاليد الأصيلة:** فعلى المواطن أن:

- يكون مطلعًا على العادات والتقاليد الأصيلة للدولة التي كان يتمتع بها مجتمع الآباء والأجداد.
- يطبق القيم والتقاليد الأصيلة في حياته اليومية، ويعكسها في سلوكياته وتعاملاته مع الآخرين.
- يقدم أفضل صورة عن الهوية الوطنية للإماراتيين في حياته اليومية، وتعامله مع الآخرين.
- يحرص على التعريف بالعادات الإماراتية، وإبراز تقاليدها الأصيلة لغير المواطنين شكلًا ومضمونًا.

ث. **الاجتهاد والمثابرة:** فعلى المواطن أن:

- يسعى دائمًا للتفوق وتبوئ أعلى المراتب في مختلف المجالات.
- يكون نموذجًا يحتذى به في جميع المحافل ومختلف الأصعدة.
- يقرن أقواله بالأفعال، ويؤمن أن النجاح رهين بالمثابرة والعمل الجاد.

ج. **الابتكار والريادة:** فعلى المواطن أن:

- ينتهج التفكير المنطلق والخلاق، ويسعى دائمًا للإبداع والابتكار في مختلف جوانب حياته اليومية.
- يسعى للابتكار والريادة والتميز في عمله ويبتعد عن الروتين.
- ينمي المعارف والمهارات التي من شأنها أن تدعم مقدرته على الإبداع والتميز.
- يطلع على كل ما هو جديد ومبتكر في مختلف المجالات.

(29) وزارة الموارد البشرية والتوطين، الموقع الإلكتروني الرسمي، وثيقة قيم وسلوكيات المواطن الإماراتي، شوهد بتاريخ: 2024/04/24، متاح على الرابط: https://2u.pw/jvzDz4So.

ح. **تحقيق الذات:** فعلى المواطن أن:

- يضع لنفسه رؤية واضحة الأهداف والملامح، ويعمل بجد واجتهاد في سبيل تحقيق هذه الرؤية.
- يتمتع بصحة نفسية وجسدية متوازنة، فالفرد السليم والصحيح نفسيًا هو أكثر نفعًا لمجتمعه.
- يسعى باستمرار إلى تثقيف نفسه، وتوسيع مدارك فهمه، ورفع مستوى تحصيله العلمي.
- يواظب باستمرار على بناء خبراته العملية، وتوسيع معارفه في مجال اختصاصه.
- ينمي مهاراته الفردية، ويسعى باستمرار إلى اكتساب مهارات جديدة.
- يُوازن بين حياته العملية وحياته الخاصة، ويعطي عمله وأسرته القدر المناسب من الاهتمام.

خ. **التمثيل خارج الدولة:** فعلى المواطن أن:

- يعكس صورة إيجابية عن الدولة أثناء تواجده بالخارج من خلال حسن التعامل والتصرف.
- يحترم قوانين وبيئة وعادات وتقاليد الدول التي يزورها.

الجانب الثاني: الأسرة والمجتمع، ويدخل تحته ما يأتي:

أ. **بناء أسرة متماسكة ومفيدة للمجتمع:** فعلى المواطن أن:

- يضع لأسرته رؤية واضحة الأهداف، تحدد دور الأسرة كنسيج فعال في المجتمع.
- يحترم ويثمن مؤسسة الزواج وأهمية تكوين أسرة، والمسؤوليات التي تترتب عليه كفرد مسؤول في هذه الأسرة.
- يعزز بيئة الحوار بين أفراد الأسرة الواحدة، ويدعم الاحترام المتبادل فيما بينهم.
- يدعم الثقة المتبادلة بين أفراد الأسرة الواحدة، ويعزز الشفافية بين أفرادها.
- يغرس في أبنائه الوعي بالقيم الإسلامية، والأخلاق الحميدة، وضرورة التمثل بها.
- يربي أبناءه على أهمية التمسك بالعادات والتقاليد، وضرورة الحفاظ على الهوية الوطنية.
- يغرس في أبنائه حب الوطن، والمشاعر الوطنية.
- يغرس في أبنائه أهمية البذل والعطاء في سبيل رفعة الوطن، ويعزز من دورهم كأفراد فاعلين في المجتمع.

ب. **ضمان الحرية لبقية أفراد المجتمع:** فعلى المواطن أن:

- يحترم الآخرين في المجتمع على اختلاف فئاتهم.
- يحترم الثقافات الأخرى في المجتمع.
- يؤمن بمبدأ تكافؤ الفرص، ويبتعد عن الوساطة والمحسوبية.

ت. **التكافل والترابط الاجتماعي:** فعلى المواطن أن:

- يُعزز روح المسؤولية الاجتماعية، ويسعى للبذل في سبيل خدمة المجتمع.

- يسعى للانخراط في العمل التطوعي والخيري؛ بما يخدم المجتمع وأفراده.
- يعمل في سبيل تحقيق التناغم المجتمعي، ودعم الترابط بين أفراده.
- يسعى إلى مد يد العون للفئات الأقل حظًا في المجتمع؛ كأصحاب الهمم، والأيتام، والكبار، والفقراء.

الجانب الثالث: الوطن، ويدخل تحته ما يأتي:

أ. **الولاء للوطن:** فعلى المواطن أن:

- يكون مخلصًا لدولة الإمارات العربية المتحدة وقيادتها.
- يحافظ على أمن الدولة وسلامتها.
- يكون مطيعًا لدستور الدولة وعاملًا بثوابته.
- يؤدي كامل واجباته بصدق وأمانة.

ب. **العلم والعمل:** فعلى المواطن أن:

- يعمل بجد في سبيل رفعة الوطن، وإكمال مسيرة التقدم والتطور فيه.
- يتسلح بالعلم والمعرفة، ويتزود بالعلوم المفيدة، لتحقيق الازدهار والنماء في الدولة.
- يحرص على أداء العمل المناط به على أفضل وجه، ويجعل الإتقان في العمل جزءًا من سلوكه الفعلي اليومي.

ت. **الوحدة والتلاحم:** فعلى المواطن أن:

- يدعم التلاحم المجتمعي في الدولة، ويعمل في سبيل تعزيز الوحدة الوطنية.
- يدعم مفهوم الانتماء إلى دولة واحدة، وليس الانتماء إلى إمارة معينة.
- يدعم روابط الوحدة الوطنية، ويحافظ على إنجازات الاتحاد.

ث. **احترام التشريعات:** فعلى المواطن أن:

- يبقى على اطلاع ومعرفة بمجمل القوانين واللوائح في الدولة.
- يتقيد بالتشريعات العامة في الدولة، ويبتعد عن أي تجاوزات تخل بالأنظمة.
- يدعم تطبيق القانون والنظام في الدولة، وإحلال الأمن فيها.
- يجعل التقيد بالنظام أساسًا لحياته بمختلف جوانبها.

ج. **الحفاظ على البيئة:** فعلى المواطن أن:

- يلتزم بجميع قوانين وتعليمات المحافظة على البيئة والسلامة العامة في الدولة وصحة أفرادها.
- يعمل من أجل تحقيق التنمية المستدامة والمحافظة على الموارد الطبيعية في البيئة.
- يستخدم الطاقة بشكل فعال ومؤثر، ويبتعد عن الإسراف والتبذير.

ح. **الحفاظ على الممتلكات العامة:** فعلى المواطن أن:

- يتحمل المسؤولية الاجتماعية تجاه المرافق العامة، ويبتعد عن العبث بها وتشويهها.
- يتبع الإرشادات والتعليمات الخاصة باستعمال المرافق العامة.

خ. **الوعي بالحقوق والواجبات:** فعلى المواطن أن:

- يُلِمَّ بالحقوق التي كفلها له الدستور ضمن الأطر والقوانين المفروضة.
- يعمل في سبيل إتمام الواجبات المفروضة عليه كمواطن.
- يضمن لبقية أفراد المجتمع حرية ممارسة حقوقهم وواجباتهم.

ثانيًا- المواطنة الرقمية: ويمكن تحقيقها من خلال عدة أسس وقواعد مبينة في ميثاق قيم وسلوكيات المواطنة الرقمية الإيجابية؛ الذي أطلقه مجلس الإمارات لجودة الحياة الرقمية؛ بهدف تعزيز جودة الحياة الرقمية في الإمارات، وترسيخ مجتمع رقمي آمن وإيجابي.

وقد نص الميثاق على مجموعة من القيم والسلوكيات للمواطنة الرقمية الإيجابية لدولة الإمارات، والتي يجب على جميع أفراد المجتمع من المواطنين والمقيمين الالتزام بها، وتفاصيلها في البنود الآتية:

1. **الإرث الإماراتي:** أن ألتزم بالولاء للدولة، وأن أكون نموذجًا للقيم والعادات والتقاليد الإماراتية والإنسانية في العالم الرقمي.
2. **السمعة الرقمية:** أن أمثل وطني أفضل تمثيل، وأن أدافع عن مكتسبات وسمعة الدولة في العالم الرقمي.
3. **احترام الآخرين:** أن أحترم الآخرين وخصوصيتهم وملكيتهم الفكرية، ولا أتنمر عليهم، أو أتسبب في الضرر لعملهم أو هويتهم الرقمية.
4. **الاستثمار الإيجابي:** أن أستخدم العالم الرقمي لتطوير مهاراتي، ومواكبة التطورات، واستشراف المستقبل؛ تحقيقًا لرؤية دولة الإمارات العربية المتحدة.
5. **حسن التعامل:** أن أعزز قيم التضامن والتعاطف الاجتماعي والمعاملة بإيجابية، وأستخدم منصات التواصل الاجتماعي بحكمة.
6. **الخصوصية الرقمية:** أن أحرص على حماية المعلومات الشخصية وعدم نشرها، وأحافظ على خصوصية الآخرين.
7. **مصداقية النشر:** أن أتأكد من مصداقية المحتوى الذي أقوم بنشره أو الذي أتلقاه من الآخرين، وأن أرجع إلى المصادر الموثوقة.
8. **المسؤولية والنظم:** أن أكون مسؤولًا عن تعاملي مع العالم الرقمي، وأن أحترم القوانين والقواعد المنظمة لذلك.

9. **الأخلاقيات الرقمية:** أن أكون فعالًا في الحد من المحتوى الذي يتعارض مع القيم الأخلاقية والإنسانية.
10. **الاستخدام المتوازن:** أن أحافظ على صحتي الجسدية والنفسية من خلال الموازنة وضبط الوقت بين العالم الافتراضي والواقعي[30].

وهكذا، فإن المواطنة مسؤولية مجتمعية ودينية، تحمل في ثناياها مجموعة من القيم العليا، والمبادئ السامية؛ التي تنظم العلاقة بين الأفراد في الدولة، وبين الفرد والدولة، على أساس متين وراسخ.

وفي عصر العولمة، غدا المفكّرون يتحدّثون عن مستوًى جديد للمواطنة، يتّسم بالسّعة والشّمول، بحيث يتعلّق بالإنسانيّة كلّها، من حيثُ علاقتها بوطنها المشترك، وهو الأرض؛ ذلكَ أنّ التّشابك بين الشعوبِ في أوضاعها الواقعيّة، ومصائرها المستقبليّة، استلزم التّفكيرَ في "مواطنة كونيّة شاملة" تتأسّس على الوعي العميق بالمسؤوليّة عن الوجود المشترَك للبشريّة على هذه الأرض، والذي من شأنه أن يوجّهها نحو التّحلّي بقيم التّضامن والتّعاونِ والضّيافة؛[31] إحياءً لروح ركّاب السّفينة، التي أضحى العالم بأسره اليومَ أقربَ ما يكون إلى إدراك شدّة الاحتياج إليها، والاقتناع بكونها أوحد السّبُلِ التي يمكن أن تضمَن بها استقامةَ مسيرِهَا، وسلامةَ مصيرِها. [32]

* * *

(30) 10 قيم لـــ(المواطنة الإيجابية) رقميًا، **مركز الاتحاد للأخبار**، علوم الدار، 29 يناير، 2021م، متاح على الرابط: https://2u.pw/JuWFPl8k ، شوهد بتاريخ: 2024/04/24.

(31) انظر: ابن بيّه، عبد الله بن الشيخ المحفوظ، **الكلمة التّأطيريّة للملتقى الخامس "حلف الفضول فرصة للسّلم العالميّ"**، منتدى أبوظبي للسّلم، 2018م، ص 51-55.

(32) ابن بيّه، عبد الله بن الشيخ المحفوظ، **الكلمة التّأطيريّة للملتقى الثّامن "المواطنة الشّاملة من الوجود المشترك إلى الوجدان المشترك"**، منتدى أبوظبي للسّلم، 2021م، ص 24-23.

التحصين الفكري:
أسسهُ ووسائلُه وثمَراتُه

التحصين الفكري: أسسهُ ووسائلُه وثمَراتُه

من الأهداف الرئيسة التي تسعى الثقافة الإسلامية إلى تحقيقها: تكوين الهوية الفكرية السليمة؛ التي تنطلق من فهم صحيح للدين، فالفكر السليم يُشكِّل حصانة ضدَّ الأفكار الهدَّامة، ويحرك سلوك الإنسان نحو التصرفات الصحيحة، ويجعل نظرته للحياة أكثر تفاؤلًا وإيجابية، مما يؤدي إلى اتزان في النفس، واستقرار في المجتمع، وازدهار في الوطن.

تعريف التحصين الفكري وأهمّيّته:

التحصين لغة: قال ابن فارس: "الحاء والصاد والنون أصل واحد منقاس، وهو الحفظ، والحياطة، والحِرْز"[1]. وقال ابن سيده: "الحِصْنُ: كل مَوضِع حَصِينٍ لَا يُوصل إِلَى مَا فِي جَوْفه. وَالْجمع حُصون، ومنه قيل للقفل: المِحْصَنُ"[2]؛ لأنه يُحَصَّنُ به ما يقفله، ويحفظ ما بداخله. "وتَحَصَّنَ الْإِنْسَان من الْمَرَض ونحوه: اتخذ الحيطة للوقاية مِنْهُ، وحَصَّنَ الشَّيءَ: مَنعه، وصانه"[3].

والفكر لغة: "إِعْمَال الخاطر فِي الشَّيْء"[4]، وتردُّدُ القلب فيه، يقال: "تفكَّر؛ إذا ردد قلبَهُ معتبِرًا، ورجل فِكِّير: كثير الفكر"[5]. جاء في المصباح: "الفكر: تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ولي في الأمر فكر، أي: نظر ورَوية"[6].

التحصين الفكري في الاصطلاح: "وقاية فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف، والخروج عن منهج الاعتدال، في فهمه للأمور الدينية، وتصوُّره للكون والحياة"[7].

إنّ التّحصين الفكريّ يكتسي أهمية بالغة في حياة الإنسان؛ خاصة في ظل ما يشهده العالم اليوم من فضاءات إلكترونية مفتوحة، وتحديات كبيرة ومتلاحقة، تنوعت فيها منافذ الأفكار، وتعددت فيها محاولات الاختراق والتشويش، وكثرت فيها العوامل المؤدية إلى الإخلال بالأمن؛ وتبرز هذه الأهمية في:

- كون التحصين الفكري إحدى ركائز الأمن الوقائي؛ الذي يشكل مناعة للإنسان ضد الأفكار المتطرفة، ويكسبه القدرة على مقاومتها قبل أن تتحول إلى سلوكيات عنيفة تشكل خطرًا على أمن المجتمعات واستقرارها، وسلامة هويتها، ذلك أن الجانب الفكري جانب رئيس ووثيق الصلة ببقية الجوانب السلوكية، فكل سلوك معتدل، ومجتمع متلاحم، ووطن مستقر، وحضارة مزدهرة، على مر التاريخ ما قامت إلا على فكر سليم.

(1) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 69/2 (حصن).

(2) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، 153/3-154 (الحاء والصاد والنون) بتصرف يسير.

(3) مجموعة من المؤلفين، **المعجم الوسيط**، 180/1 (حصن) بتصرف يسير.

(4) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، 7/7 (ف ك ر).

(5) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 446/4 (فكر).

(6) الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، 479/2 (ف ك ر).

(7) محمود شاكر سعيد، وخالد بن عبد العزيز الحرفش، **مفاهيم أمنية**، ص 14، بتصرف يسير.

- كون انعدام الحصـانة الفكرية ينطوي على أخطار ثقافية وأخلاقية واجتماعية جسـيمة، فقد أثبتت الدراسـات أن تلقي الطلاب لبعض الأفكار المتطرفة قد يضعف مستوى التعليم لديهم، ويشغلهم عن الدراسـة، ويضـيع أوقاتهم بلا فائدة، ويشـيع فيهم الخمول وعدم الجدية، ويضـعف لغتهم العربية، إضـافة إلى تلقينهم مفاهيم وثقافة غريبة عن مفاهيمنا وثقافتنا الإسـلامية، ومبادئنا الاجتماعية؛ قد تثير غرائزهم، وتشـيع الرذيلة والسـلوك الانحرافي فيهم، مما يؤدي إلى غياب القيم والمثل العليا في المجتمع، وهو الأمر الذي يؤثر بشكل سلبي على كافة مجالات الحياة.

أسس التحصين الفكري:

من أهم السبل التي يتحقق بها التحصين الفكري، وتتكون من خلالها الهوية الفكرية السليمة، ما يأتي:

أولًا- الإيمان: فإن للإيمان بالله تعالى أثرًا إيجابيًّا في التحصين الفكري؛ حيث إنه يشكل أساسًا فكريًا راسخًا، يعزز ثقة الإنسان بنفسه، ويمنحه القدرة على مواجهة التحديات الفكرية، ويحميه من زعزعة قناعاته الفكرية، ويقيه شر الأخطار الفكرية الوافدة، ويزوده بالأسس اللازمة للتمييز بين الحق والباطل، ويعينه على رفض الأفكار التي تتعارض مع معتقده، ويوفر له إطارًا قيميًّا ومعنويًّا يسهم في تشكيل هويته الفكرية السليمة، ويمكنه من فهم أعمق للوجود، مما يساعده على توجيه تفكيره نحو أهداف محددة، فالشخصية المؤمنة تتمتع بالمراقبة الذاتية، مما يدفعها لتهذيب أفكارها، وترسيخ حب الفضيلة فيها، والتطلع للمُثُل العليا، مما يؤسس لشخصية متوازنة، قادرة على خدمة دينها ومجتمعها بثقة عالية ووعي تام.

ثانيًا- العلم: فالعلم القويم يمثل ركيزة أساسًا في التحصين الفكري، ودعامة قوية في تكوين الهوية الفكرية السليمة، وذلك من خلال:

- **مد الإنسان بالأفكار السليمة، والمبادئ الفكرية القويمة:** فالعلم يوسع أفق الإنسان، ويزوده بالأدوات اللازمة لفهم تعاليم الدين الحنيف فهمًا صحيحًا، ويساعده على إدراك قيمه السمحة وأخلاقه الفاضلة إدراكًا قويمًا، ويبين له أصول المنهج العلمي المعتمد على البحث والتجريب، ويمكنه من فحص مدى مصداقية المصادر؛ لمقاومة الادعاءات غير المستندة إلى أدلة علمية، وتبنّي الأفكار القائمة على المنطق والدليل.
- **وقايته من الأفكار المتطرفة، والتصورات المنحرفة:** فالعلم السليم يُشَكِّلُ سورًا حاميًا للإنسان ضد الأفكار المنحرفة والمتطرفة؛ ذلك أنه يُطلع الإنسان على أخطائها، ويُبصره بأخطارها، قبل وصولها منمقة مزخرفة؛ لأن الفكر الهدام ينتقل بشكل أسرع، ويكون تأثيره إذا سبق إلى الذهن أشد.
- **تقويم أفكاره الدخيلة، ومفاهيمه المعوجة:** فالأفكار المتطرفة تؤثر على فطرة الإنسان الفكرية السليمة، وبالعلم يمكن دراستها دراسة دقيقة في بداية تشكلها والتأثر بها، والوقوف على مسبباتها، وتقويمها بالحجة، ومعالجتها بالإقناع، قبل أن تستفحل، وتصبح سلوكًا اعتياديًّا، وممارسة مستساغة.

ثالثًا- القدوة: فالاقتداء بشخصيّاتنا الوطنيّة والاعتزازُ بذلكَ، له دور كبير في تشكيل الوعي الفكري، وبناء النضج الأخلاقي، ومن أبرز هذه الشّخصيّات شخصيّة الوالد المؤسّس، الشّيخ زايد بن سلطان آل نهيّان طيّب الله

ثراه، فسيرةُ حياته تمثل إرثًا حضاريًّا فريدًا، ومدرسة فكرية متكاملة، تنير العقل، وتهذب النفس، وتعلّم السّلوكَ المعتدلَ القويمَ.

وقد دعا الدّين الإسلاميّ إلى بناء الهوية الفكرية السليمة من خلال وسائل منها:

أولًا: بث ثقافة السلام: فالدّينُ رسالةُ سلام، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾ [البقرة: 208]، وقال تعالى مشجعًا على الاستجابة لدعوات السلام والتهدئة في مواقف الصراع والنزاع: ﴿**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**﴾ [الأنفال: 61]، وأكدت هذا المبدأ دولة الإمارات العربية المتحدة من خلال تشريعات ومبادرات منها: (وثيقة الأخوة الإنسانية) التي أطلقتها عام 2019م[8].

فإيمان المرء بهذا المبدأ من شأنه أن يُكَوّن لديه عقلية تجعل من السلام قاعدة أساسًا في التعامل مع الآخرين، سواء كانوا من نفس الدين أو من ديانات أخرى، بعيدًا عن العنف والصدام، وتؤمن بالحوار سبيلًا لحل الخلافات، وبالتفاهم طريقًا للتعامل مع الآخرين؛ إلا من اعتدى منهم أو ظلم، فإن عدوانه يرد، قال تعالى: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**﴾ [البقرة: 194]، من غير بغي ولا تجاوز، قال سبحانه: ﴿**وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة: 190]، أما من كان مسالمًا، فإنه يعامل وفق مبدأ السلام، وعلى أساس من القسط والبر، قال تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[الممتحنة:8].

وفي المقابل؛ فإن من لا يؤمن بثقافة السلام منهجًا وطريقًا، فإنه يتبنى أفكارًا تتسم بالتشدد تجاه الآخرين؛ خاصة إذا كانوا ممن يخالفونه في الدين، ويعتقد أن العلاقات الإنسانية قائمة على الصراع والصدام، ومبنية على معاداة كل مخالف، وأن الأساس في التعامل مع غير المسلمين سواء كانوا مسالمين أو غير مسالمين، إنما هو القتال حتى يؤمنوا، مستدلين استدلالًا خاطئًا ومجتزءًا بقول الله تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ [التوبة: 29]، من غير نظر في سياقها، ولا اعتبار لمقاصدها، ولا اعتداد بهدي النبي ﷺ في التعامل مع غير المسلمين.

ثانيًا- ترسيخ مبدأ احترام الآخر: حرص الدّين الإسلاميّ على مبدأ احترام الآخر، أيًّا كان لونه، أو جنسه، أو عرقه، أو معتقده، فالاختلاف مما فطر الله تعالى الناس عليه، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾ [الروم: 22]، وقال جل جلاله: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾ [هود: 118-119]، وكفل سبحانه وتعالى حرية المعتقد، فليس لأحد أن يكره أحدًا على تغيير عقيدته، أو الخروج من دينه، قال جل جلاله: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [البقرة: 256]، وهذا ما أكدت عليه دولة الإمارات العربية المتحدة في (قانون مكافحة التمييز

(8) ينظر: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، **لقاء الأخوة الإنسانية**، (موقع إلكتروني)، أبو ظبي، 2019/02/04م، متاح على الرابط: http: humanfraternitymeeting.com ar declaration، شوهد بتاريخ: 2024/04/25م، ونبذة حول بيت العائلة الإبراهيمية، **بيت العائلة الإبراهيمية** (الموقع الإلكتروني الرسمي)، متاح على الرابط: https://2u.pw/OK2J59 ، شوهد بتاريخ: 2024/04/25م.

والكراهية)، وهو مرسوم بقانون رقم (34) لسنة 2023م، والذي يجرم التمييز والكراهية على أساس الدين أو العرق أو الجنس أو أي أساس آخر [9].

فالإيمان بمبدأ احترام التنوع والاختلاف يسهم في صناعة عقلية منفتحة ومتسامحة، تحترم التنوع، وتقبل الاختلاف، وتعده غنى وثراء، كما أنها تنبذ التعصب والتمييز والكراهية، وترفض إقصاء الآخر وإلغاء وجوده.

وفي المقابل؛ فإن من لا يؤمن بمبدأ احترام المخالف، تتشكل لديه عقلية منغلقة إقصائية، تحتكر الحق، وتنبذ التنوع، وترفض الاختلاف، وتعتقد أنه يجب على جميع الناس أن يصطبغوا بصبغة واحدة، ويلتزموا منهجًا موحدًا، ولا يصدروا إلا عن رأي واحد، كما توقن بأنه لا يمكن التعايش مع غير المسلم مطلقًا، مستدلين استدلالًا سقيمًا وغير مستقيم بقول الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: 51]، متجاهلين ما ورد في السيرة النبوية من صور التعامل الأخلاقي، والتعايش الإنساني مع غير المسلمين، في العهود والمواثيق، والمشاركات المجتمعية، وسائر المعاملات.

ثالثًا- التأكيد على مبدأ التيسير: التيسير سمة بارزة في الخطاب الشّرعيّ، فليس فيه تكليف بما لا يطاق، قال تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: 286]، وقال سبحانه: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا**﴾ [الطلاق: 7]، فالدّينُ الإسلاميّ إنما جاء بالتيسير على الناس، ورفع الحرج والمشقة عنهم، قال تعالى: ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ**﴾ [المائدة: 6]، وقد سعت دولة الإمارات العربية المتحدة إلى ترسيخ هذا المبدأ وتعزيزه في المجتمع من خلال نظام رعاية المساجد؛ لضبط الخطاب الديني، فقد أصدرت بذلك قرارًا من مجلس الوزراء رقم (39) لسنة 2012م.

فالذي يدرك أن التيسير مبدأ من مبادئ الدين، يتسع عقله للآراء المخالفة، والمذاهب المختلفة، وتتعزز لديه الرحمة تجاه الآخرين.

ومن ناحية أخرى، فإن من لا يدرك يسر هذا الدين، ويعتقد أن نصوصه جامدة ومتحجرة، يظن أنه قائم على التشديد والتعسير، وأن الإنسان كلما شدد على نفسه وأرهقها بالعبادة كان أكثر قربًا من الله تعالى، تاركًا هدي النبي ﷺ الذي كان ينتهج التيسير في العبادة ويأمر به، ويتجنب التعسير وينهى عنه، ويبين أن هذا الدين ما شاده أحد إلا غلبه، كما نقل ذلك إلينا من عايشوه ﷺ، وعرفوا نهجه عليه الصّلاة والسّلام.

خامسًا- توطيد منهج العقلانية: يعلي الدّين الإسلاميّ من شأن العقل في استيعاب الحقائق وإدراكها، وتحليلها بموضوعية، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: 43]، وربط سبحانه الإدراك والاستفادة بالعقل في آيات كثيرة، قال سبحانه: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [الرعد: 4]، ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [النحل: 67]، وإدراكًا من دولة الإمارات لأهمية النظرة العقلانية الصحيحة؛ اهتمت بتكوين جيل يتمتع بها من خلال تطوير المنظومة التعليمية في المناهج والوسائل والأساليب؛ لتبني عقلية منطقية متفتحة متوازنة، تتبنى الحوار وترفض الانقياد والتسليم، كما عملت على مكافحة الأفكار المتحجرة، وتأهيل أصحابها من خلال

(9) قانون مكافحة التمييز والكراهية، **البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة**، 2023/12/07م، متاح على الرابط: https://u.ae/ar-ae/about-the-uae/culture/tolerance/anti-discriminationanti-hatred-law، شوهد بتاريخ: 2024/04/27م.

عدة برامج؛ كالبرامج التي يقدمها المركز الوطني للمناصحة، وهو مركز تم إنشاؤه بمرسوم بقانون اتحادي رقم (28) لسنة 2019م.

فالذي يعتمد العقلانية منهجًا له وسبيلًا تتشكل لديه ملكة نقدية بناءة، وتكون تصوراته منسجمة مع العقل، ومتوافقة مع المنطق، يُقيّم الأمور ويميز صحيحها من سقيمها بشكل موضوعي، معتمدًا على الأدلة الواضحة، والبراهين القاطعة.

وخلافًا لذلك، فإن من لا يعتمد العقلانية منهجًا له، فإنه يتسم بالجمود الفكري الذي يشل قدرته على الابتكار والتجديد، ويجعله يفسر الأمور تفسيرًا عاطفيًّا، ويفهمها فهمًا سطحيًّا، دون تحليلها أو الالتفات إلى عمقها ومقاصدها، ويكون أكثر عرضة لتصديق الخرافات والأساطير، بدلًا من البحث عن التفسيرات العلمية والمنطقية، ويتعصب لآرائه ويتمسك بأفكاره دون إعمال للحجج والبراهين الموضوعية، مما يؤدي إلى تفسيرات خاطئة لنصوص الدين وتعاليمه، بعيدة عن العقل والمنطق، ومن ذلك ما يعتقده الناس من ربط للأشياء بغير أسبابها المنطقية، كالتشاؤم، فإنهم كانوا إذا خرجوا في سفر، أو عزموا على عمل: زَجَروا الطائر، فإذا طارت لجهة اليمين تفاءلوا، وإذا طارت للشمال تشاءموا، فأبطل النبي ﷺ ذلك. وعندما انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ - ابن رسول الله ﷺ-، فَقَالَ النَّاسُ: انْكَسَفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ**»[10].

سادسًا- تمثل المواطنة الحقة: اعتنى الدّين الإسلاميّ بقيمة المواطنة، من خلال إعلائها لشأن الوطن، فجعلت حبه والدعاء له من صفات الأنبياء، وفطر الأسوياء، فقد خص إبراهيم عليه السلام وطنه مكة بالدعاء قائلًا: ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ [البقرة:126]، كما خص النبي ﷺ وطنه مكة بتعبيره عن شدة حبه له، فقال مخاطبًا إياه: «**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ**»[11]. فالذي يتأمل علاقة الأنبياء بوطنهم، وارتباطهم ببلدهم، يدرك أن الوطن الذي يعيش عليه، والمؤطر بحدود جغرافية، ويقوم على شأنه حاكم، وتحكمه قوانين وأعراف وتقاليد خاصة، له مكانة رفيعة في الدّين الإسلاميّ، وهذا ما أكدته دولة الإمارات العربية المتحدة من خلال دستورها وقوانينها، وتبينه تفصيلًا في (وثيقة قيم وسلوكيات المواطن الإماراتي)[12].

وهذا التصور الصحيح للوطن، يدفع صاحبه إلى الانتماء له، والارتباط به، والولاء لقيادته، واحترام قوانينه، وأعرافه، وتقاليده.

وعلى نقيض ذلك، فإن من لا يتبنى التصور الصحيح للوطن، ويزعم أن الوطن لا حدود له، أو هو أرض الله كلها، أو أنه مجرد حفنة من تراب، يعتقد أنه لا يجب الانتماء له، والولاء لقيادته، والالتزام بقوانينه، فلا يهتم بهمومه، ولا يعترف بسيادته، ولا يقر بحقوقه وواجباته، ولا يؤمن بالرابطة الوطنية بين أفراده؛ بل يدعي أن الانتماء إنما يكون بناء على المشترك العقدي، وهي اعتقادات خاطئة تتعارض مع ما ثبت من سيرة النبي ﷺ من

(10) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 1060، 39/2.

(11) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 3926، 723/5.

(12) وزارة الموارد البشرية والتوطين، الموقع الإلكتروني الرسمي، وثيقة قيم وسلوكيات المواطن الإماراتي، شوهد بتاريخ: 2024/04/24، متاح على الرابط: https://2u.pw/jvzDz4So.

حبه لوطنه، وتعلقه به، وتعامله معه، وعدّه إياه وطنًا ذا حدود معينة، حيث رسم حدوده الجغرافية، كما في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، أنه قال: «**بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُعَلِّمُ حِمَى الْمَدِينَةِ**»[13]. ووضع له دستورًا يحدد أسس المواطنة في حدود المدينة المنورة، بيّن فيه الأسس الناظمة لعلاقة المسلمين بعضهم ببعض، وعلاقة غيرهم بهم، كما سبق عند الحديث عن وثيقة المدينة.

ومن مقتضيات المواطنة الحقّة طاعة وليّ الأمر التي أوجبها الله تعالى بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ)[14]. وقد نصّ المفسّرون على أنّ وليّ الأمر هو الحاكم[15].

فهذه النصوص النبوية تدل على وجوب طاعة ولي الأمر وجوباً شرعياً، ووجوب السمع والطاعة له في العسر واليسر والمنشط والمكره، فطاعة ولي الأمر دين يدين به الإنسان، وشرع يجب أن يسير عليه المرء حفظاً للأمن والاستقرار، وتحقيقاً للمطلب التعبدي، فهو صِمَامُ أمانٍ للأوطان ولحفظ الأنفس والأديان والأموال والأعراض.

وتتحقّق طاعة ولي الأمر بما يلي:

- البيعة لحاكم الوطن، ولا تجوز البيعة لغير حاكم الوطن، فأما التنظيمات الإرهابية فيجعلون بيعتهم لمرشد جماعتهم، فيخونون العهد ويخلعون يد الطاعة فقد توعد النبي – صلى الله عليه وسلم- هؤلاء أشد العذاب والعقاب.

- احترام قانون الوطن، والقرارات التي يصدرها ولي الأمر، فما هي إلا قرارات لحفظ الأمن واستقرار البلاد والسير بها إلى مسار التطور والبناء والنماء، والعمل بإخلاص لتحقيق الازدهار في الوطن والمحافظة على ثرواته ومكتسباته.

- عدم الخروج على ولي الأمر بالكلمة أو بالفعل، فيجب تجنب الإنكار العلني الذي يغذي الفتن والاضطرابات في الأوطان، كما يجب الامتناعُ عن المظاهرات الزائفة، فإنّما هي بداية مهلكة، ليس مآلُها إلّا زعزعة الأمن والاستقرار، وتخريب الأوطان والدّيار، ولا يترتّب عليها إلا فتَنُ الاحترابِ وسفك الدماءِ.

- الدعاء لولي الأمر بالخير والسداد، وهو دأبُ علمائنا الصالحين؛ يقول الإمام أحمد بن حنبل: " لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها لولي الأمر "[16]. فولي الأمر ينشغل باله ووقته لتوفير الأمن والأمان للأوطان، وتوفير الحياة الكريمة، فهو في شغل شاغل، وفي همٍّ كبير، بحاجة إلى دعاء صادق.

- يجب الحذر من دعاة الفتنة والشقاق الذين يحرّضون على الخروج على ولاة الأمر ويحرّضون على المظاهرات والاعتصامات والفوضى، فهؤلاء لا يجلبون للأوطان إلا الشَّر والفتن، وإما الطاعة والتزام ولي الأمر فهي مفتاح يغلق كل فتنة، ويسد باب كل شر وفوضى. [17]

---

(13) ابن أبي أسامة، **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، رقم الحديث: 393، 466/1.

(14)- سورة النساء، الآية 59.

(15)- الطبري، **تفسير الطبري**، ج4، ص39.

(16)- ابن عبد البرّ، **جامع بيان العلم وفضله**، ج1، ص40.

(17) انظر: الظّاهريّ، خليفة مبارك، **تفكيك خطاب التّطرّف الدّينيّ في تجربة دولة الإمارات العربيّة المتّحدة**، ص 402-405.

سابعًا- النظرة الإيجابية للحياة: إنّ الحياة مرحلة مهمّة من مراحل الوجود الإنسانيّ، أودع الله فيها مظاهر الجمال والبهاء، قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ**»[18]. ورغّب في الاستمتاع بطيباتها، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ [القصص: 77]، وقال سبحانه: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾ [الأعراف: 32]، وحث على استثمارها، والسعي في بلوغ أقصى مراحل الازدهار فيها، قال تعالى: ﴿**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ [هود: 61]، ولقد عززت هذه النظرة دولة الإمارات العربية المتحدة من خلال الاستراتيجية الوطنية لجودة الحياة، التي تهدف إلى جعل دولة الإمارات رائدة عالميًا في مجال جودة الحياة، وتعزيز مكانتها لتكون الدولة الأسعد عالميًا. وتتضمن الاستراتيجية 14 محورًا و9 أهداف استراتيجية، تشمل تعزيز نمط حياة الأفراد من خلال تشجيع تبني أسلوب الحياة الصحي، وتعزيز الصحة النفسية الجيدة، وتبني التفكير الإيجابي كقيمة أساسية، وبناء مهارات الحياة[19].

فالذي ينظر إلى الحياة هذه النظرة السوية، يحمله ذلك على التفاؤل والايجابية، وعدم الاستسلام لليأس والقنوط، قال تعالى: ﴿**لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ**﴾ [الزمر: 53]، وقال سبحانه: ﴿**وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ**﴾ [يوسف: 87]، مما ينهي فيه روح الإبداع والابتكار، ويحيي فيه حافز التجديد والتطوير، ويدفعه نحو التفكير البناء، ويعزز شعوره بالسعادة والرضا.

غير أن الذي ينظر إلى الحياة نظرة سلبية وقاصرة، يرى أنه لا قيمة لها، فيتوقع الأسوأ، ويعتقد أن الاعتزال والاغتراب وعدم مخالطة الناس هو الحل الأمثل، مما يصيبه بالاكتئاب والحزن المستمر، ويضعف دافعيته نحو العمل والإنتاج، ويفقده الاهتمام بالأنشطة الحياتية، ويحمله على ترك الاستمتاع بملذات الحياة الدنيا، والمبالغة في العبادات على حساب واجباته الدنيوية، تاركًا هدي النبي ﷺ في النظرة المتوازنة للحياة، التي تقتضي التوازن بين متطلبات الدنيا ومقتضيات الآخرة.

وهكذا؛ فإن الدّين الإسلاميَّ يكوّن الهوية الفكرية السليمة؛ التي تتبنى مبادئ السلام، وتقوم على أسس الاحترام، وتتمثل قيم العدل، وتسلك نهج التيسير، وتتخذ من العقلانية منهجًا راسخًا، وتؤسس للمواطنة الحقة، وتكرس النظرة الإيجابية للحياة، مما يحقق للفرد والمجتمع الأمان والاستقرار، ويقود الوطن إلى التطور والازدهار.

(18) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 2336، 260/4.

(19) ينظر: الاستراتيجية الوطنية لجودة الحياة 2031، البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، 2023/06/20، متاح على الرابط: https://2u.pw/kCxGliF1، شوهد بتاريخ: 2024/04/27م.

وسائل التّحصين الفكريّ:

لقد حرص الدّين الإسلاميّ على بناء الهوية الفكرية السليمة، والتحصين الفكري، اعتمادًا على وسائل منها:

أولًا- الأمرُ بالاتزان في التدين: إن الاتزان في التدين هو النهج الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، وأمرهم به في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ، فكما أنه لا ينبغي التراخي والتهاون حدَّ التفريط في الواجبات، والإصرارِ على المعاصي، كذلك لا ينبغي التشدد ولا التنطع، ولا إرهاق النفس حتى تمل، قال تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [الحج: 78].

فالمؤمن المعتدل المتزن الذي يعلم أن الشريعة إنما جاءت لإسعاده لا لتشق عليه؛ لا يحمل نفسه على ما هو فوق طاقتها، ولا يكلفها غير وسعها، عملًا بقول الله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: 286]، فيُؤدّي ما يستطيع دون إرهاق لنفسه.

وعلى النقيض؛ فإن المتطرف يميل إلى التشدد في التزامه بالأحكام الدينية، فيحمل نفسه على ما لا تطيق، ويشدد عليها ويرهقها، ولا يأخذ بالرخص والتيسيرات الشرعية التي شرعها الدين لتسهيل العبادات والمعاملات إلا في أضيق الأحوال، وفي نصحه وتوجيهه للآخرين يفرض آراءه عليهم، ويأمرهم بالأشد الأثقل، ويكثر من انتقادهم وذم تصرفاتهم، من غير مراعاة لظروفهم وما يناسب حالهم، مما يؤدي إلى تحميلهم فوق طاقتهم، وإلزامهم بما ليس واجبًا عليهم، كمن يحرّج على الناس إخراج زكاة الفطر نقدًا؛تمسكًا بظاهر الحديث النبوي الشريف، مع أن الأمر فيه سعة وتيسير، مراعاة للواقع ومتغيرات العصر.

ثانيًا- إيجابُ التوازن في الممارسة: التوازن مبدأ مهم جاء به الدّين الإسلاميّ ودعا إليه؛ لبناء السلوك المعتدل، القائم على حسن التّوفيق بين مقتضيات الدّين ومتطلّبات الدّنيا؛ قال تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ [القصص: 77].

فالمعتدل هو الذي يحافظ على التوازن بين حق ربه، وحق نفسه، وحقوق أسرته، ويعتني بصحته الجسدية وراحته البدنية من خلال النوم الكافي والتغذية السليمة وممارسة الرياضة، كما يعتني بصحته الروحية من خلال العبادة والذكر، ويوازن بين قربه من ربه وصلته به، وبين اهتمامه بشؤون مجتمعه، وقضايا وطنه.

وبخلاف ذلك، فإن الذي يسلك سلوكًا متطرفًا، ينقطع إلى عبادة ربه، وينغلق على نفسه، ويعزف عن دنياه، فيهمل مظهره وصحته، وحاجات جسده؛ من نوم، وغذاء، ودواء، وغيرها، وهو بذلك يخالف هدي النبي ﷺ.

فالمتطرف يتجاهل حقوق أسرته، ولا يبالي باهتمامات مجتمعه، ولا يلقي بالًا لشؤون وطنه.

ثالثًا- الدّعوة إلى التحلي بالقيم والأخلاق: تمثل القيم والأخلاق في الأقوال والأفعال مع جميع الناس - بغض النظر عن أعراقهم وأديانهم وألوانهم- سمة من سمات الشخصية المعتدلة في تديّنها، فالإنسان المعتدل يسلك سلوكًا راقيًا في التعامل مع جميع الناس بلا استثناء؛ مع أفراد أسرته، ومجتمعه، ووطنه، بل والبشرية جميعًا، فيحترم خصوصياتهم ومعتقداتهم، ويحفظ كرامتهم وحقوقهم، ويحسن الظن بهم، ويعاملهم بالرفق والرأفة، والمحبة والمودة، والابتسامة والبشاشة، ويخاطبهم بالقول الحسن والكلمة الطيبة، ويتمثل معهم الصدق في أقواله، والأمانة في تعاملاته، والوفاء في وعوده وعهوده، والتواضع والتسامح في علاقاته، والعدل والإنصاف في تصرفاته، ويجعل الرحمة والإحسان محور تحركاته، والحوار والتفاهم حلًّا لخصوماته ونزاعاته، وإسداء النفع للناس الجوهر الرئيس لثقافته وهويته، متمثلًا قول النبي ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**»[20]. وقوله عليه الصلاة والسلام: «**مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**»[21].

وفي المقابل، فإن غير المعتدل يجعل من سوء الظن الأساس في علاقاته وتعاملاته، والشدة والغلظة والفظاظة منهجًا في تعليمه وتقويمه لأفراد أسرته، ويظن أنه يتقرب إلى الله تعالى بعداوة من يخالفه في دينه ومعتقده، مُعْرِضًا في ذلك عن دعوة الله تعالى إلى برّهم والعدل معهم، كما في قوله تعالى: ﴿**أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة: 8]، وقوله تعالى: ﴿**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة: 195].

رابعًا- تشريعُ المواطنة الإيجابية التي تستوعب جميع الأفراد داخل الوطن الواحد، فلا شأن لها بأي انتماء؛ دينيًا كان أو طائفيًا أو عرقيًا أو غيره، وإنما متعلقها حقوق مضمونة للجميع، وواجبات يلزم أداؤها على الجميع؛ لتحقيق الغايات المستهدفة، ومواجهة التحديات القائمة والقادمة، فعمادها -إذن- هو تحقيق المصالح المشتركة، ودفع المفاسد المختلفة، بفعل كل ما يسهم في أمان الوطن واستقراره، ورقيه ورفعته، وتطوره وازدهاره، ودرء كل ما يسيءُ إلى سمعته، أو يؤدي إلى خرابه؛ وهي صفة مركزية من صفات السلوك المعتدل؛ بل هي فطرة متأصلة في نفس الإنسان المعتدل، تترجمها نياته وأقواله وأفعاله، فقد قدم الله تعالى في القرآن الكريم حق الوطن على حق الفرد -وإن كان من الأبناء- فقال جل جلاله في معرض الدفاع عن الوطن: ﴿**وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَ أَبْنَائِنَا**﴾ [البقرة: 246]، فقدم الديار على الأبناء، وطلبُ الخير للوطن كان همًّا شاغلًا للأنبياء؛ حتى إنهم جعلوه في دعائهم، ومن ذلك دعاء إبراهيم عليه السلام بمجامع الخير لوطنه، حين قال: ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا**﴾ [إبراهيم: 35]، قال ابن عاشور: "جمع إبراهيم عليه السلام في هذه الجملة جميع ما يطلب لخير البلد"[22].

(20) الطبراني، **المعجم الكبير**، رقم الحديث: 13646، 453/12.

(21) أحمد، **مسند أحمد ابن حنبل**، رقم الحديث: 14451، 170/6، والحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، رقم الحديث: 8277، 460/4.

(22) ابن عاشور، **التحريروالتنوير**، 55/13.

فالمواطن المعتدل يسعى جاهدًا في حماية وطنه، والحفاظ على سمعته، ويستجيب بشرف للدفاع عن كرامته؛ وحماية حدوده، ورفع رايته، في أوقات السلم والحرب؛ بنفسه وماله وقوله، فيصد عنه الشائعات التي تزعزع استقراره، ويتصدى لمن يبغي زرع الفتنة والفرقة بين أبنائه، ويقدم الولاء لقادته وحكامه، ويقدرهم ويوقرهم، ويحافظ على نقاء صيتهم، ويدعو لهم في سره وعلانيته، ويأتمر بأمرهم، ويقتدي برأيهم، خاصة في الأمور الجسيمة، والوقائع الخطيرة، ويحترم دستور وطنه، ويحتكم إلى قوانينه، ويتفاعل مع نظامه الاجتماعي، ويبني العلاقات الإيجابية بين مؤسسات الوطن وأفراده على أساس من الحقوق والواجبات المتبادلة والمنوطة بكل طرف؛ من ولاء ووفاء واحترام، وتقدير والتزام، وجلب للمنافع ودفع للمضار، كما يسعى في إعمار وطنه، وبناء حضارته، ويجتهد في ازدهاره، وصون مكتسابته وثرواته، وحماية خيراته منجزاته، والحفاظ على مقدراته، والمحافظة على مجده، ويحرص على تلاحم مجتمعه، وتعزيز مقومات تماسكه، والتعايش مع كافة أفراده، والتكافل فيما بينهم، والانخراط بالعمل التطوعي، والتعاون المجتمعي، دليله في ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ**﴾ [الزمر: 17-18]، ويكثر من الدعاء لوطنه، أن يديم الله تعالى عليه فضله ونعمه، وخيره وهناءه، وتقدمه ورفعته، ورخاءه وازدهاره، ويزيده من عطائه وكرمه، ويحفظ عليه أمنه واستقراره، وينشر السعادة والوئام بين أهله.

إلا أن صاحب السلوك غير المعتدل، منقطع الصلة بوطنه، منبتٌّ عن جذروه، ولاؤه لغيره، وانتماؤه لغير حكامه، لا يكترث بما يحدث فيه؛ من نفع أو ضر، ينبذ قوانينه، ويعادي مؤسساته الرسمية، ويكثر انتقاده، والانتقاص من ولاة أمره، ولا يقدر أي تطور أو ازدهار يحصل فيه، ولا يلقي بالًا لعاداته وتقاليده وأعرافه، ويظهر العداء للمجتمع ومكوناته وأطيافه، خاصة من يخالفونه في الدين والمعتقد، وربما اشترك مع أعدائه والجهات الخارجية المشبوهة لتقويض بنيانه، ونشر الفوضى في مجتمعه، وبث الفرقة بين أبنائه، متغافلًا عن قول رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، حَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ**»[23].

خامسًا- تشجيعُ التواصل الحضاري: التواصل الحضاري بين شعوب العالم، على اختلاف أديانهم وأعراقهم، وألسنتهم وألوانهم، وبلدانهم، والمبني على ركائز من الحدود المحترمة، والعهود المعتبرة، والمصالح المشتركة، والتعايش الإنساني، والتسامح الديني، والتفاهم العالمي؛ كل ذلك من ركائز السلوك المعتدل؛ قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13].

فالشخص المعتدل يلتزم بالمعاهدات الدولية، ويفي بالعقود الأممية، ويلتزم بالقوانين العالمية التي تقرها دولته، ويحترم السيادة الوطنية، والوحدة الترابية للدول الأخرى، ويسعى إلى تحقيق الاستقرار والسلام فيها،

(23) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، رقم الحديث: 5103، 191/6.

ويجرم استخدام العنف والقوة ضدها، وينأى بنفسه عن التدخل في شؤونها وخصوصياتها، و يقدر الأديان والثقافات والحضارات والأعراق الأخرى، ويحترم رموزها، وينأى بنفسه عن المساس بها، أو انتقاصها، ويسعى إلى حسن الجوار مع جميع الدول، وإلى تحقيق الود والاحترام المتبادل بين الشعوب، على أساس من المساواة، وقيم الصدق والأمانة في الأقوال والأفعال وسائر التصرفات، كما يستفيد من الثقافات والحضارات الأخرى، ويتبادل معهم المعارف والعلوم، والمنافع والتجارات، ويتناقل أحدث الابتكارات والإبداعات، ويساعدهم أوقات الكوارث والأزمات، ويتعاون معهم تعاونًا بناءً، ويحاورهم حوارًا مثمرًا، يسهم في نفع وطنه وبقية أوطان العالم.

وعلى العكس من ذلك، فإن غير المعتدل يسلك مسلك العداء والقطيعة، ونشر الكراهية والضغينة، مع جميع دول العالم وشعوبها، ويرفض الانخراط معهم في حوار بناء؛ إلا إذا كان على أساس من الإذعان لرأيه ومعتقده، ويجرم كل أنواع التعامل مع الدول، ويعد جميع أنواع العهود والمواثيق والأحلاف معهم ملغية وباطلة، كما يحرم الاحتكام إلى أي من قوانينها، ويمنع من التبادل التجاري والاقتصادي معها، متغافلًا عن سيرة النبي ﷺ التي حفلت بنماذج من التواصل الحضاري مع سائر الشعوب، من خلال إبرام العهود والمواثيق، وتناقل الرسائل، وتبادل الزيارات والهدايا، والاستفادة من علومهم وثقافاتهم وابتكاراتهم.

وهكذا؛ فإن الاعتدال منهج شامل، ينبغي تطبيقه في جميع مجالات الحياة؛ في العبادات، والمعاملات، والأخلاق، والعادات، وفي الحياة الشخصية، والأسرية، والاجتماعية، والمهنية، به يكونُ المسلمُ متزنًا في تدينه، مستقيمًا في سلوكه وتعاملاته، مسهمًا في كل ما ينفع وطنه، منفتحًا على الحضارات العالمية من حوله.

ثمرات التّحصين الفكريّ:

إنّ للتّحصين الفكريّ ثمراتٍ ونتائجَ تتجلّى في السّلوك المعتدل الذي يلتزم به الأفرادُ فينعكس أثره في مختلف علاقاتهم؛ إذ السلوك هو الترجمة العملية للأفكار، والأثرُ الفعلي لها، وأيًّا ما تكُنِ الأفكارُ التي يعتنقها الإنسان، فإن آثارها لا تظهر إلا في سلوكه؛ ولذلك فإنه لا يحاسب إلا على فعله، ولا يؤاخذ إلا بعمله، قال تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ [البقرة: 286]، ومن ثَم اكتسى السلوك المعتدل أهميته الكبيرة، التي تتجلّى في:

- أنّه يعود على صاحبه بالراحة النفسية، والاطمئنان القلبي، ويعزز جودة حياته، وشعوره بالانتماء لمجتمعه ووطنه، ويزيد من محبة الناس واحترامهم له، ويساعده على الإبداع في عمله؛ لأنه يُشيع في المجتمع روح الخير والسلام والمحبة، ويقلل من الصراعات والتوترات بين الأفراد.[24]
- أنّ انعدام السلوك المعتدل يسبب الخراب للإنسان نفسه، ولمجتمعه، ووطنه، وربما تعدى خرابه إلى أبعد من ذلك، فمن كان سلوكه غير معتدل؛ تجده في صراع مع نفسه وفطرته، يثقل على نفسه

(24) ينظر: الجندي، محمد عادل محمود، **قاموس علم النفس**، ص 45-46.

بالتشدد في العبادات، ويبالغ في الاحتياطات؛ كما أنه يضر بمجتمعه، من خلال تأثيره السلبي على من حوله، بتكفيره لمجتمعه، وإضمار العداء له، ومخاصمة كل من يختلف معه في رأي أو موقف. ثم إنه لا يطيع حاكمه وولي أمره، ولا يسهم في بناء وطنه، ولا يستنكف عن أن يؤذيه بأقواله السلبية، وأفعاله التخريبية، فيكون ضرره على وطنه بالغًا، وأثره السلبي عليه مستطيرًا.

إنّ التّحصينَ الفكريّ متى أُخذ بأسبابه أنتجَ ثمارَهُ في مستويات ثلاثةٍ، عليها مدارُ جودة الحياة الإنسانيّة: الجانب الأسريّ، والجانب المجتمعي، والجانب الوطنيّ.

أولًا- الجانب الأسري:

الأسرة نواة المجتمع، فباستقرارها يكون استقراره، وبتماسكها يكون تماسكه، وهذا المعنى هو ما أشار إليه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -طيّب الله ثراه- إذ قال: **"الأسرة هي أساس تقدم المجتمع كله"**[25].

لذا اهتمّ الدّين الإسلاميّ بالأسرة، فحرَص على حفظِها وتماسكها، يتجلى ذلك في دعوته إلى بناء العلاقة بين الزوجين على المودّة والرّحمة والرفق واللين؛ قال الله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ [الروم: 21]، وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ**»[26]. وفي رواية: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**»[27]. فكلما ارتقى المسلم في عشرة أهله بالمعروف، والقيام بشأنهم ورعاية أمرهم، ارتقى عند ربه، ومثله في ذلك المرأة، فـ «**إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقَ الرِّجَالِ**»[28]، وعند ذلك تنتهج الأسرة نهج السعادة والاستقرار.

وتتجلّى عناية الدّين الإسلاميّ بالجانب الأسريّ كذلك في أمره بتأسيس علاقة الآباء مع أبنائهم على الرّحمة الفطريّة، وعلى استشعار المسؤوليّة التّربويّة، وقد تجلّى ذلك في حال النّبيّ ﷺ مع عياله، ففي حديث أنس بن مالك قال: «**مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»[29].

إن الجمع بين مقتضيي الفطرة والمسؤوليّة لا ينحصر التّكليف به في علاقة الآباء بالأبناء، بل يشمل كذلك علاقة الأبناء بالآباء؛ قال الله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [الإسراء: 23-24].

---

(25) شرف، محمد ياسر، **الحياة الاجتماعية في الإمارات**، ص 85.

(26) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 2612، 9/5، وأحمد، **مسند أحمد بن حنبل**، رقم الحديث: 24841، 153/11.

(27) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 1162، 458/3، وأحمد، **مسند أحمد بن حنبل**، رقم الحديث: 10247، 483/4.

(28) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: 113، 189/1، وأبو داود، **سنن أبي داود**، رقم الحديث: 236، 171/1، وأحمد، **مسند أحمد بن حنبل**، رقم الحديث: 26836، 125/12.

(29) مسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2316، 76/7.

وأتى رسول الله ﷺ رجل، ومعه شيخ، فقال: «**يَا فُلَانُ، مَنْ هَذَا مَعَكُمْ؟**» قال: أبي. قال: «**فَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ، وَلَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ، وَلَا تَسْتَسِبَّ لَهُ**»[30].

فإذا أدى الآباء ما عليهم من واجبات تجاه أبنائهم، وحفظ الأبناء حقوق آبائهم؛ عاشت الأسرة في استقرار وهناء وسعادة.

ولأهمية التماسك الأسري؛ نجد أن القانون الإماراتي اهتم به أيما اهتمام، فسن من القوانين ما يحققه، ووضع من التشريعات ما يعززه، وخصص مؤسسات تحميه، مستندًا في ذلك إلى قاعدة ثابتة من العادات والتقاليد والأعراف المجتمعية.

وتتصدر حماية الأسرة وتعزيز تماسكها وتنمية مكتسباتها قائمة الأولويات في الخطط والسياسات والبرامج الحكومية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وذلك انطلاقًا من قناعة ثابتة بأن الأسرة هي الحاضنة الأساسية والنواة الأولى في مجتمع متلاحم متماسك ووطن آمن مزدهر يتمتع أبناؤه بالرفاهية والاستقرار فيه.

من هنا تركزت العديد من الجهود وسخرت الكثير من الطاقات لتأسيس وإدارة وتطوير منظومة متكاملة من الهيئات والمؤسسات والقوانين والإجراءات والمبادرات المرتبطة بحماية الأسرة ورعايتها ودعمها؛ حتى تبوأت الإمارات العربية المركز الأول عربيًا ضمن قائمة "أفضل الدول لرعاية الأسرة" لعام 2019م، وتبوأت المرتبة الـ22 عالميًا في إجمالي معايير جودة الحياة الأسرية وتنشئة الأطفال، والمرتبة الـ23 في معايير الريادة الأممية في هذه المجالات، إضافة إلى المرتبة الـ25 في مقاييس جودة الحياة، والمرتبة الـ26 في موضوع المرأة[31].

وقد عملت المؤسسات الحكومية في المجتمع الإماراتي من خلال السياسة الوطنية للأسرة التي تشتمل على 6 محاور رئيسة، وهي: الزواج، والعلاقات الأسرية، والتوازن في الأدوار، ورعاية الأطفال، وحماية الأسرة، وإطار العمل[32].

ومن أبرز هذه المؤسسات الفاعلة في المجال الأسري على الساحة الإماراتية: وزارة تنمية المجتمع، والمجلس الأعلى للأمومة والطفولة، ومؤسسة التنمية الأسرية، وصندوق الزواج (منحة الزواج)، ودائرة تنمية المجتمع في أبوظبي، وهيئة تنمية المجتمع في دبي، والمجلس الأعلى لشؤون الأسرة في الشارقة.

(30) الطبراني، **المعجم الأوسط**، رقم الحديث: 4159، 267/4.

(31) وذلك وفقًا لـــ صحيفة "U.S. News & World Report" الأميركية، استنادًا إلى الاستطلاع السنوي الذي أجرته مجموعة "باف" (BAV) البحثية بالتعاون مع كلية وارتون التابعة لجامعة بنسيلفانيا الأميركية. نقلًا عن: (حماية الأسرة في الإمارات أولوية يكفلها القانون وتعززها التطبيقات الذكية)، **وكالة أنباء الإمارات**، 12 أغسطس 2023م، و(خليفة.. رسخ دور الأسرة الإماراتية)، **مركز الاتحاد للأخبار**، 23 يونيو 2022م.

(32) ينظر: **البو ابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة**، السياسة الوطنية للأسرة.

ثانيًا- الجانب المجتمعي:

إنّ للتّحصين الفكريّ أثرًا واضحًا في تلاحم المجتمع وتعاضده، يتجلّى ذلك في أنّ الالتزامَ بالآداب الاجتماعيّة التي ورد بها الخطاب الشّرعيّ سبيلٌ لتحقيق التّلاحم المجتمعيّ، ومن تلك الآداب:

- **حسن الجوار**: فقد أوصى الله تعالى بالجار، فقال: ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ**﴾ [النساء: 36]. وعن النبي ﷺ قال: «**مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[33].
- **صلةُ الأرحام**: قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء: 1].
- **حسن العلاقة بين الأصدقاء**: فقد وصى الله تعالى بالصاحب إحسانًا في قوله: ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ**﴾ [النساء: 36].
- **الإحسان إلى الضعفاء**: قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾ [الضحى: 9-10]، وقال النبي ﷺ: «**امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ**»[34].
- **البرُّ بالآخَرِ**: يقول تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**﴾، أي: تعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم، وبركم بهم[35]، ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة: 8]، وصحَّ أن النبي ﷺ قام لجنازة يهودي، وقال: «**أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟!**»[36].

ثالثًا- الجانب الوطنيّ:

يتجلّى أثر التّحصين الفكريّ في استقرار الوطن وازدهاره في مظاهر منها:

- **التّعلّقُ بالوطن**: وذلك بمحبته والاعتزاز بالانتماء إليه، والاهتمام بقضاياه، ومعرفة تاريخه ورموزه وقدواته، والتعرف على ثقافته وعاداته وتقاليده، والحرص على نفع أهله، وقد ذكر القرآن الكريم دعوة إبراهيم لوطنه مكة، فقال: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ [البقرة: 126]، كما ذكر شوق موسى إلى بلاده وأهله، وعزمه على زيارتهم في قوله: ﴿**فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ**﴾ الآية [القصص: 29]، وقص

(33) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 5668، 2239/5، ومسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 2624، 36/8.

(34) أحمد، **مسند أحمد بن حنبل**، رقم الحديث: 9140، 272/4.

(35) الطبري، **جامع البيان**، 321/23.

(36) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم الحديث: 1250، 441/1، ومسلم، **المسند الصحيح**، رقم الحديث: 960، 57/3.

علينا اشتياق النبي ﷺ إلى موطنه مكة، وما أنزل عليه حينها من قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾ [القصص:85]، أي: إلى مكة[37].

- **الوفاءُ لوليّ الأمر والتزامُ طاعته**: قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء: 59].
- **احترام القوانين الرسمية**: وذلك بامتثالها، بأداء الواجبات، والوفاء بالمسؤوليات، والحفاظ على المكتسبات، والإسهام في تعزيز الأمن والأمان، وعدم الإخلال بالنظام العام، فذلك من طاعة ولي الأمر، ومن أداء الأمانة التي أمر الله تعالى بها في آيات كثيرة، منها قوله: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾ [المؤمنون: 8].
- **احترام العادات والتقاليد**: فكل ما تعارف عليه الناس يجب احترامه وتقديره وعدم مخالفته، وقد دأب العلماء والفقهاء على اعتبار العرف ومراعاته، وبنوا عليه الكثير من الأحكام، ولم ينكر ذلك أحد منهم.

* * *

(37) الرازي، **مفاتيح الغيب**، 19/25.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تم بحمد الله تعالى هذا الكتاب المرجعي لمساق الثقافة الإسلامية؛ الذي اشتمل على تعريف الثقافة الإسلامية، بأنها "مجموعة من العقائد، والمعارف، والفنون، والمثل، والتقاليد، والمهارات؛ تنبعُ من الخطاب الشّرعيّ، وتستوعب قضاياهُ، وتتواءَمُ مع القيم الإنسانيّة المشتركة، وتضمن الحصانة الفكريّةَ والاستقامةَ السّلوكيّة في المجتمعات المسلمة"، مبرزًا أهمّ ملامح الخطاب الشّرعيّ المتمثلة في العقلانية، والتوازن، والواقعية، ومحورية القيم الأخلاقيّة، والانفتاح وقبول الآخر.

كما تناول منابع الخطاب الشّرعيّ المتمثلة في القرآن الكريم، والهدي النبوي والسيرة العطرة، والفقه الإسلامي والفتوى، والحضارة الإسلامية، والقوانين والأعراف والتقاليد، موضحًا مفهوم كلٍّ منها، وكيفية استثمارها والاستفادة منها.

وعرج الكتاب على مكونات الخطاب الشّرعيّ وقضاياه، ملخصًا إياها في الإيمان بالله تعالى، موضحًا مفهومه، وأثره في تعزيز القيم، ثم انتقل إلى الحديث عن القيم الإنسانية؛ مفهومِهَا، وخصائصها؛ من شمول، وثبات، وتكامل واستمرارية، وفطرية، وواقعية، ومرونة، إضافة إلى أبعادها الاجتماعية والإنسانية، مركزًا على القيم الكبرى منها؛ وهي: التزكية، والعلم، والحكمة، والرحمة، والسلام، والتسامح، والمواطنة، مبينًا مفهومها، وأهميتها، وسبل تحصيلها، وطرق تعزيزها، ووسائل تحقيقها؛ من تعلم هادف، وجد واجتهاد، ومثابرة ومصابرة، وقدوة حسنة.

واختتم الكتاب مادته؛ بالحديث عن التّحصين الفكريّ من حيث أسسه، ووسائله، وثمراته.

وبذلك يتمكّن القارئ من استيعاب أهمّ ملامحِ الثقافة الإسلامية وأبعادها الرّوحيّة الإيمانيّة، وصبغتها الخُلُقيَّة القيميّة، وآثارها الحضاريّة والإنسانيّة، التي تسْهِمُ بها في حقيق السعادة للبشرية.

والحمد لله ربّ العالمين

الفهرس

- **مقدمة** 6
- **المحتويات التفصيلية لكتاب مساق الثقافة الإسلامية** 10
- **مدخل إلى الثقافة الإسلامية** 14
  - مفهوم الثقافة الإسلامية وأهمّ ملامح الخطاب الشّرعيّ 15
- **منابع الخطاب الشّرعيّ** 22
  - **القرآن الكريم** 23
    - تعريفه ومقاصده 23
    - منهج فهمه 30
  - **الهدي النبوي والسّيرة العطِرة** 37
  - **الفقه الإسلاميّ والفتوى** 43
  - **الحضارة الإسلامية** 56
    - تعريفها – مكوناتها - أخلاقياتها 56
    - صلتها بالعلوم الإنسانية والكونية 64
    - إسهامات المسلمين في بناء الحضارة الإنسانيّة 73
  - **القوانين والأعراف** 82
    - القوانين المحلية 82
    - المواثيق الدّوليّة 87
    - الأعراف والتّقاليد 90
- **مكونات الخطاب الشّرعيّ وقضاياه** 94
  - **الإيمان** 95
    - مفهومه – أركانه - أثره في حياة الإنسان 95
    - معرفة الله سبحانه وتعالى، ودلائلها العقلية والعلمية 101
    - الإيمان بالكتب السماوية 106
    - الإيمان بالرسل عليهم السلام 111
    - من الخصال الخلقيّة للنّبيّ محمّد ﷺ 118

- **القيم الإنسانية** 120
  - مفهومها – خصائصها - أبعادها 120
  - نماذج من القيم الإنسانية 122
    - أ- قيمة التزكية 122
    - ب- قيمة العلم 126
    - ت- قيمة الحكمة 139
    - ث- قيمة الرّحمة 146
    - ج- قيمة السلام 150
    - ح- قيمة المواطنة 160
- **التّحصين الفكريّ: أسسه، وسائله، وثمراته** 170
  - تعريف التّحصين الفكريّ وأهمّيّته 171
  - أسس التّحصين الفكريّ 171
  - وسائل التّحصين الفكريّ 178
  - ثمرات التّحصين الفكريّ 181
- **الخاتمة** 186
- **الفهرس** 188

ملخص الكتاب

يتعرف القارئ في هذا الكتاب على مفهوم الثقافة الإسلامية، وأهمّ ملامح الخطاب الشّرعيّ، ويطلع فيه على منابع هذا الخطاب ومكوّناته وأهمّ قضاياه، في مجالَي الإيمان والقيم الكبرى، كما يجد فيه بيانًا للغاية من تأسيس الثّقافة الإسلاميّة على هذا الخطابِ، وهي التّحصين الفكريّ.

إنّ القارئ وهو يُجيلُ نظرَه في هذا الكتابِ، سيتمكّن من بناء تصوّرٍ صحيحٍ عن الثّقافة الإسلاميّة من حيثُ أسسُها الإيمانيّة، وصبغتُها القيميّة، وآثارها الحضاريّة والإنسانيّة، التي تُسهم بها في تحقيق السّعادة للبشريّة.